تَرفـ

رواية

《 حب في عمق الجحيم 》

فاتن علي

ترف

« حب في عمق الجحيم »

فاتن علي

سألتني ذات مرة ..

لماذا تتوقعين أنكِ خُلقتِ ...؟!!

أجبتك بما أحفظه ..

- أعتقد بأننا جميعًا خُلقنا لكي نعبد الله ..

- لا لا ..ليس هذا ما اقصده .. أقصد أنكِ أنتِ لوحدك دونًا عن البشر ..لماذا خُلقتِ ...!!

أجبتك بحيرة - اممم .. لربما خُلقت لكي أكتب ..

ولكنك صدمتني حين كان ردك غير متوقعًا ..

" هل خُلِقتِ لكي تكتبين .. أم أنكِ قررتِ أن تكتبي لكي تُخْلَقين من جديد !!.. أبحثِ عن ذاتك فيما تفعلين ولا تفعلي أمرًا لأجل أن تخلقي لنفسك منه ذاتًا جديدة ..!!

هذا الكتاب مهدى للذين وجدوا الغاية الحقيقية من خلقهم دونًا عن البشر أجمع ..

مقدمة....

ليس للحب ممرات ولا طرق ولا بيوت ولا اماكن .. ليس له ابواب ولا نوافذ ولا كتب تعليمية ومطويات ارشادية ..ووصفات الخمس دقائق التي تملأ الانترنت لم تأتي بوصفة سحرية للحب يوما .. انه هكذا بلا ادله مادية ولا براهين ومحاكم العالم التي لا تقتنع بغير الماديات تعلم سرا انه موجود جدا والا لما كانت ثلاثة ارباع الجرائم ترتكب باسمه ..

يعلمنا الأصدقاء صيحات الغش الجديدة ،طرق القفز من نافذة المدرسة دون ترك ادلة ، كيفية سرقة ورقة امتحان من مكتب المعلم والحصول على علامات كاملة بعد ليلة سهر طويلة (بالطبع لم يكن السهر من اجل المذاكرة) ..واخيرا وان كنا مقربين منهم فانهم يساعدوننا بأسرار خفية لجذب الفتيات.. ولكن عندما يتعلق الامر بالحب يصبحون عاجزين تماما عن اعطائنا طريقة واحدة صحيحة او ممر نسير به ..يعجزون عن الاشارة لنا لمكتب نسرق منه ورقة للحب او فكرة نحصل بعدها على نصف العلامة حتى في قلوب من نريد ...

ان سألت عن الحب فسيتحدث الجميع ولكنها مجرد فلسفة وقناعات لن تأوي قلبك التائه .. ستكون قناعاتهم متضادة ..احدهم يشير لك بالا تنسى الاهتمام بينما الاخر يقسم ان بعض البرود نار ..

ذاك ينصحك بالاقتراب الدائم بينما الآخر يتوعدك بسيل من العادة والملل ان انت لم تعطي لحبك شيئا من الفراق .

سيعلمك الجميع ولن تتعلم وستبحث لاهثا عن الحب الذي ينتظرك بعد ساعات الدراسة (لمعلوماتهم) لتجد السراب امامك ..

لو ان للحب طرق لكانت خرائط Google تعج بها ولوجهتك الى احداثياتها وهي تصيح بك (وجهتك الى اليسار ثم ... الى اليسار ..ثم ...) .. ولو ان له نظريات لترك العلماء همّ الفيزياء التي لم تخلف لهذا العالم سوى الالحاد ولتخلى الكيميائيون عن موادهم التي لم

تسبب لهم سوى مزيدا من الحروق وليالي من المبيت في المختبرات حتى أصبحوا يدمعون حين يجرون التجارب على الفأر لأنه بات لهم الرفيق الوحيد لأقبلوا على ذلك العلم الوردي المليء بمشاعر لا توصف ليكتبوا نظرياته..

وكما أن الحب لا قانون له ويختلف من شخص لآخر فإن الحياة كذلك ايضًا.. تختلف حياتنا وطرق تعاملنا مع الواقع ..تختلف قوتنا وقدرة تحملنا ومدى استيعابنا لكل ما يحدث ..

ولكن ..ومهما كانت القصة ومهما كان عمق الوجع.. يجب علينا ان نتعامل معه ونقف في وجه الحياة ..نقابل امطارها الغزيرة وعواصفها القوية بمظلة الارادة التي لا تنضب والعزيمة التي لا تفتر ..

ينبغي ان نحاول ان نبقى اقوياء فحسب.. لنواجه الحياة والحب ..

« ولم تكن امرأة فحسب ..

كانت غابة من النساء »

« لست كأي شيء... فأنا كل شيء »

أولا... من أنا..

فتاة غريبة بأحلام أكثر غرابة... احلام أكبر من ان تستوعبها أوراق وأعمق من أن يختزلها كتاب... وكما كان الحال في الزمن الغابر لم يكن الوأد قد انتهى من زمننا الحالي... لم يكن مجتمعي قد تخلى عن تعصبه الفكري القديم ولكن قد تكون الاوضاع تغيرت قليلا لربما بسبب العقوبة التي قد تلحق بقتل النفس حاليا فأصبحوا يئدون الافكار والاحلام بدل وأد الاجساد.. ولكن ما الاختلاف.. وهل قتل الاحلام إلا مسمى أخر لقتل النفس؟!! قتل حلمك بأن يكون لك وطنا تنتمي اليه وشعبا وقبيلة تفاخر بها.. حلمك بأن تعيش حياة طبيعية دون المزيد من الدراما... حلمك بأن تجرب مشاعر صادقة وتقابل أشخاصا مخلصين يوفون لك وينذرون ارواحهم لأجلك كما فعلت من قبل بقلبك لأجلهم..ولكنك بالمقابل تجدهم بعد ان بعت ممتلكاتك وأعطيتهم كل اوراقك واصبحت لاجئا في مخيمات قلوبهم يطردونك دون ادنى رحمة ويرفضون طلب اللجوء متعذرين ان وثائقك ناقصة... تصرخ عاليًا... اي وثائق؟؟!!.. لقد اعطيتكم كل ما املك ولم اطلب حتى وصل امانة او اجلب اي شهود... لقد وثقت بكم.. صدقتكم...!! لقد اعتقدت اني مكتمل بكم وها أنتم ذا ترموني خارجا... فلا يأبهون لكلامك.. ولا يعطونك على الاقل حتى نصفك.. ولا ثلثك.. يتركونك مبعثرا .. مشتتا ..ضائعا ..وفي وسط ذلك الجحيم .. تولد لديك فكرة هي اقرب الى قلبك من اليقين "لن اهدي قلبي لأحد " ... لن اكون لاجئا بعد الآن ... لن ابحث عن وطن في زمن بات فيه الوطن كلمة بلا معنى ... خدعة العالم لعقلك كي يشعر بالانتماء وبأنه ليس مجرد مشرد و السلام .. في عالمٍ اصبحنا نحتمي من اوطاننا بدل ان نحتمي بها ،هل تظنه عالما سويًا!!! تعود لتكمل وعودك القلبية التي قطعتها ،والتي لن تلتزم بها على اي حال(لن اؤمن بأساطير الحب مرة اخرى ..تلك الاساطير التي ملأت حياتي بها على امل ان اصبح احداها يوما ..لن اقدس روميو ولن اكون كجولييت ..لن اؤمن بمصداقية الحب وسأعتبر فكرة الموت والتضحية من

اجل بشر شاركني ذات القلب يوما ضربا من الجنون ليس الا ... ذلك ان زمن الحب قد ولّى وما عاد احدهم يغير خصلة فيه من اجل من يحب فضلا عن ان يموت من اجله ... ورغم كل تلك الافكار والمبادئ الخاصة بالاستقلال العاطفي التي تخطر على بالك ..بعد كل تلك الايام التي تقضيها مقنعًا نفسك ان الآخرين لا يستحقون، قد يدق الحب باب قلبك او بالأصح يخلع الباب ويدخل وعندما تتخذ كل احتياطاتك وتقف حارسا امام الباب قد تجده يتسلل اليك من النافذة الاقرب الى قلبك على هيأة عصفورٍ وديع تؤخذ ببراءته وتتعلق بتغريده ويكون التربيت عليه والتحديق بتحليقه نوع من الاستمتاع لروحك.. بل واكثر.. تجد نفسك سجين احدى زنزانات الحب رغم انك لم تفارق باب منزلك... تجدك محتاجا اليه بعد ان ظننته هو المحتاج.. تجد روحك معلقة.. ونظرياتك ممزقة... أحاديثك مدججة.. باسمه مفخخة.. تجدك قد بُعثِرت.. ومن اجله جننت.. وها قد اصبحت داعية للحب بعد ان كنت ضده.. حافظا لقوانين عشقه ومبادئه.. لاغيًا للفراق.. وجاعلًا من الابدية ترياق.. عاشقًا للمجهول.. طويل البال على اقدار الحب ومفاجآته التي لا تظهر سريعا.. حسنًا حسنًا.. لنتحدث بواقعية قليلا بعيدا عن فلسفة الكُتّاب وتوريتهم المضللة ...هل تريدون حقًا التعرف عليّ .. فليكن اذا ... اسمي ترف ... ولم اولد مترفة ..او لربما ..ولكن ورغم كل شيء شعرت بغربةٍ في داخلي ..طُردت من وطني حين كنت صغيرة ...كانت الحروب قد اهلكت الجميع فاستقر اهلي في مكانٍ آخر ... بلد جعلته بلدي ..وناسه اصبحوا اقرب الي من نفسي .. بل والطف من نسمات الهواء لروحي .. عشت فيه اروع سنين حياتي ... لحظات ما كانت لتكون لو انني ما زلت في ذات البلد الذي انتمي اليه .. لذلك ولأجل هذا السبب لربما ..اشكر بعض الاقدار التي بدت في ظاهرها مزعجة وجعلتني احد ضحايا وطن غادر لأجد وطنا غريبا اشعر به ينتمي الي رغم غربتي ويداوي جروحي دون ان يتأفف .. وها قد تُهنا ...لنعد للحديث عني مرة أخرى ..!! اشبه اميرات ديزني الى حد كبير ... او هكذا خُيل الي في صغري وانا البس التاج واجوب بفستاني المنفوش .. اتذكر كيف كنا واخواتي نتشاجر بصخب لأجلهن .. بالطبع انا المغرورة التي لا ترضى بغير سندريلا ..ولربما لعبة أخرى ان وقف ابي في صفي ..!! اختي تلك تريد حورية البحر و بينما

الثالثة لا تسعدها سوى (ريبونزل) ... مشاجراتنا لم تكن تنتهي ...كنا نتشاجر عشر مرات في اليوم على اقل تقدير هذا غير الاشواط الاضافية ..وفي اليوم الذي لا نفعل فيه نكون بالتأكيد طريحات الفراش ..لا شيء يريح امي من فك نزاعاتنا سوى الحمى ولكنها ترهقها بالسهر واعطاء الدواء ... مسكينة هي أمي .. تحملت جنون خمسة شياطين ولم تشتكي ابدا ..حب الامهات مرعب بالنسبة لي ..اخاف ان اكون امًا ذات يوم .. ان اعطي بصخب ،اتعب ،اسهر ،اقلق ،اطبخ ،افك النزاعات ،اعطي قبلة المساء ،وقصة قبل النوم ... وكل ذلك دون مقابل ... ورغم قلقي من ان اتحمل مسؤوليتهم الا انني عندما التحقت بكلية الطب فكرت جديا في دخول تخصص اطفال .. فأنا اراهم لونا مختلفا في عالم ملأته العتمة ..الا انني حدت عن هذه الفكرة لئلا اضعف في كل مرة واشرع بتقبيلهم بدل اعطائهم الحقنة ... او لربما ليس هذا هو السبب .. فلطالما كنت مهتمة بالبحث في الامراض وتعديل التركيبات ..اعشق هذا النوع من العلم كما ان فكرة ان اكون سببا في احياء انسان كانت تبدو مغرية تماما بالنسبة لي .. لذلك تخصصت في تحليل العينات وفحص الادوية وتركيب النسب .. وها أنا قد حققت حلمي وها هي سنتي الجامعية الاخيرة ستبدأ بعد ايام لأودع مقاعد الدراسة واشرع بتحقيق احلامي كلها..

مبدئي هو "ان لم ترقص للحياة طربًا ..حتمًا سترقص ألمًا " لربما تبنيته بناء على كل ما شاهدت وتعلمت ..او لربما هو لا منطق اكتسبته من جنون زوربا ولكنه نافع بالنسبة لي الى حد كبير ..فالآلام هي الآلام ،والجروح هي الجروح ولن تكف الحياة عن كونها سيئة لأجل دمعة تذرفها ولا مقالة تكتبها لتلعن فيها سلف الحياة ... فالحياة لا تخجل منك ولا تضرب لضعفك اي حساب ..هي ستمضي وستستمر بالمضي سواءً كنت واقفًا تطالعها بكبرياء وتدوس على فتحات قلبك غير آبهًا بانها ستتلوث ..او حتى ان اقتضى ان تسير هي فوقك ان كنت جاثيا على الارض تتلوى ألما .. ارقص مع الحياة ،فلم يعد البكاء مجديا على اي حال ..

(ارتباط)

" لست سوى امرأة مجنونة تريد شخصا اكثر جنونا يشاركها متعة العيش بلا قيود "

.. تقدم لخطبتي شخص وبالطبع لم يكن الامر غريبا فأنا اعلم اني اثير اهتمام الامهات كثيرا (والابناء ايضا) !!..فلطالما رآني الجميع جميلة وذكية وقد كانت معدلاتي عالية ايضا ولا اذكر من قبل انني رضيت بالقليل يوما فلطالما سعيت كي اكون الأولى في نظري اولا واخيرا ورغم اني لم اهتم يوما بأحد الا ان انجذاب الآخرين لي لم يكن يتوقف .. لربما هي جاذبية من نوع آخر امتلكها ولا ادركها .. ولكن اغلبهم سرعان ما يتوقف لينعتني بالمغرورة ..لست مغرورة ولكني لا اطيق فعل ما لا اريد لأجل ارضاء بشر ..كنت مستهدفة للخطبة كلما ذهبت الى حفلة او قابلت امرأة تنوي تزويج ابنها ،ورغم العروض المغرية كشاب ثري او انسان ذا منصب الا انني لم اكن لأحيد ابدا عن هدفي اولا وأخيرا ولو جاء احد الأمراء لن اتزوج حتى انهي دراستي ... تساءل اهلي مرارا ان كنت واقعة بالحب ام لا ..ظنوا انني اتهرب من اجل شاب بعينه ولكنهم لم يكونوا يعلموا ان الحب بالنسبة لي ترف مشاعر لا املك له طاقة ..ففي كل الاحوال كنت افرغ مشاعري على صديقاتي وصغار اخواتي ولم يكن لدي فائض لما يسمونه الحب ..فضلا عن اني امرأة واقعية جدا تضرب لذاتها الف حساب ولا بأس بكبت للمشاعر من اجل ذاتي .. عموما لم اجد بُدًا من اخضع لأمي التي جننتني بقولها "سأموت قبل ان اراكِ عروس " وكأن ملك الموت ينتظرها امام عتبة المنزل ..رغم ان صحتها جيدة ولكنها مراوغة الامهات .. وافقتُ على مضض على هدنتها التي اقامتها معي ..وهي ان اقبل بفكرة الزواج عندما اصل لعامي الجامعي الاخير ... حسنا .. لم يكن لدي الخيار واقنعت عقلي بكل ما فرغته فيه امي...اخبرتكم ان فكرة الزواج لا تثيرني ابدا ..ولكن عندما اخبرتني امي اليوم بأن هناك من حدد موعدا لخطبتي ..لم

اكد اصدق جنون مشاعري ... مهلًا يا فتاة ..!!انه ليس اول خاطب .. ماذا دهاني ... بربي ؟!!!هل انا بخير ام انه جنون فتاة في الخامسة والعشرين تخاف ان تكبر ويفوتها قطار الزواج فتعنس ... تعنس !!!انا اعنس ؟!انني اهذي فحسب ... فتاة مثلي تخطب حتى وان كانت في عمر الخمسين ..ان لم يجلبهم الجمال ووظيفة ابي فمنصبي الوظيفي القادم قادر على جلبهم .. عموما سأتوقف عن قمع نفسي وسأترك تلك المراهقة بداخلي تشعر .. بصراحة كنت متحمسة للغاية لدرجة انني كدت ارقص من شدة الفرح ،او لعلني رقصت ..هكذا اخبرتني نظرات امي المصدومة .. اتصلت على اختي فورًا لأخبرها بحدث الغد المنتظر ..لم احمل نفسي مشقة اخبار البقية لأنني موقنة ان اختي ستتكفل بذلك .. أتى الغد سريعا ..وبين ماسكات وفستان ،ولمسة ماكياج ضاعت الساعات .. اتت اختي حنان وكانت سعيدة لدرجة ظننت انها هي من ستخطب ولست انا .. علقت بقولها كشخة كالعادة .." كالعادة ... لابد انكم اقتنعتم انني لست وحدي من اقر بجمالي .. ضحكت خجلا كرد لقولها ..ورغم انني لم اكن من النوع الخجول الا انني حاولت ان اتفاعل مع الموقف لا اكثر .. غزت اخواتي الغرفة ..نصائح وتوضيحات وكيف امشي ومتى اجلس .. ماذا دهاهم ..هل ظنوا بانني سأطبق نصائحهم الغريبة .. بالطبع لا .. يكفي ما لدي من انوثة ولن ازيد كما ان التصنع ليس ما افضله لم اكن قد وضعت الكثير من الماكياج فأنا اؤمن بمدى كون المرأة الشرقية فاتنة .. اقدس الشعر الاسود كليل حالك .. وسحر العيون السوداء التي تناقض نفسها ..بين نقاء الابيض وغموض الاسود يشعر المرء كأنه امام لوحة فنية مبهمة ،غامضة ،تشعر وكأنك تفهمها ولا تفهمها ..تضيع بداخلها رغم أنك تجد ذاتك فيها.. لا ريب في ان يعشق البشر ما يخطفهم من ذاتهم أوليس الأسود ملك الألوان..!!

. . .

قَدِم الضيوف بعد أذان العشاء واستقبلناهم بكل حب ،ولكني رأيت ما صدمني حقًا .. لحظة .. لم يكونوا غرباء !! .. أنا اعرفهم جيدًا .. انها صديقتي فرح واهلها ..!..يا لحماقتي ،كيف لم اتوقع ذلك ..!! أتذكر اني دعوتها الى زفاف ابنة عمي وقد حضرت امها معها .. أتذكر كيف كانت

تحدق بي عندما مددت يدي لأسلم عليها فقد كنت ارتدي فستانًا قصير باللون البنفسجي مزين ببعض الورد الأبيض الذي وضعت طوقًا مشابهًا له على شعري حيث تركته منسدلا بطوله الواصل الى نهاية ظهري .. ظلت وقتها تنظر الي وكأنها ترصد كل تحركاتي ..كيف لم اشعر حينها بأي شيء ؟!! .. أدخلناهم مجلس الضيوف في حين أن فرح لم تتوقف عن رمقي بنظرات طفولية تملؤها السعادة بينما ناقضتها ورميتها بنظرات الوعيد ..

حقًا أسماؤنا ليست مجرد لقب يطلقه علينا والدينا ،بل انها بالفعل تعنينا وتؤثر بنا.. اذ انه وحسب تقديرات نفسية فإننا نتصف بأغلب صفات الاسم الذي نحمله ،بسبب ان العقل يفعل ذلك لأن اسماؤنا هي الكلمة التي يصفنا الأشخاص بها اكثر من مليار مرة وطوال فترة حياتنا ..فيبرمج العقل على جعلك تشابه ما يناديك الآخرين به، وعند التقاء العلم النفسي بالدين نجد ان الرسول صلى الله عليه وسلم أوصانا قبل الف واربع مئة سنة تقريبًا "وقبل ان يؤسس حتى سيغموند فرويد علم النفس "بأن نختار احسن الأسماء لأطفالنا ،كما انه غير اسم عاصية وقال لها "أنتي جميلة "!! .. لطالما كنت أبحث عن معاني أسماء جميع الذين اعرفهم ،ولكني غالبًا ما افضل الأسماء البارزة ذات المعاني الواضحة التي تغنيك عن اي بحث ..فمثلا ..أن يناديك احدهم طوال الوقت ب (أميرة) او (قمر) أو حتى (روز) ماذا تريد أكثر من ذلك ؟!!..

لطالما كان لفرح من اسمها نصيب، فقد كانت فرحةً بذات عينها ،أينما ذهبت كانت تملأ المكان سعادةً ..تبدو صاخبة جدًا وقادرة على انتشال احدهم من عمق اليأس والألم وجعله يضحك بسذاجتها ان ارادت .. كنت اعشق شخصيتها تلك كثيرًا ..انها تشابهني حين انسى نفسي واكون طبيعية ..انها تشابه ذاتي الداخلية عندما اختلي بنفسي وابتعد عن البشر والحياة واتوقف عن لعب دور المرأة العاصفة .. لذلك احببتها كثيرًا .. لأنها تذكرني بذات قمعتها ودفنتها في اعماق غابة لم أكلف نفسي عناء البحث عن اسمها أو حتى موقعها رغم انها عاشت معي لمدة سنين طوال ..

أخبرتكم أنني لم اؤمن بالحب قط .. ولكن الحقيقة أنني لم اعد أؤمن بالحب قط... فقد آمنت به سابقًا ..ولكنه هو .. كان سبب كفري بدين الحب وإلحادي عن أديان المشاعر كافة ..

ذكريات

«بسذاجة مراهقة ؛أحببتك »

كنت قد أكملت ربيعي التاسع عشر حين أقبل ربيعًا آخر في ذلك الشتاء الكئيب.. كان ذلك العام مختلفًا جدًا فقد حمل لي في طياته ربيعان وخريفان .. آمنت فيه بأشياء كثيرة وشعرت فيه بمعاني كلمات كثيرة لم اكن ادرك حقيقتها قبلا ..وكفرت فيه بأشياء كثيرة أيضا وألحدت عن أشياء أخرى ..

بدأ كل شيء بتناقض كبير ثم تشابه كبير ولسذاجتي وغياب فكري عن العمل نسيت درس الفيزياء الأهم "الأقطاب المختلفة تتجاذب "يليه درس الكيمياء " المذيبات تذيب أشباهها "وقد انجذبت ثم ذبت قبل ان ادرك انه يناقضني ويشابهني في الوقت ذاته ..

28 يناير 2008 .. (قبل عام من اغتياله لمشاعري)!!

..مسندًا ظهره الى سيارته الداكنة المزينة بتصاميم ورسومات على طريقة تصاميم الشارع ،يقف هو ..بشعره الفاتح ونظاراته الشمسية الخارقة السواد وجسمه المتناسق دون ان يكون هناك اي اثر لعضلات او توقيع لآلات رياضية عليه .. ينظر بثقة ودون خجل وقد تسمرت نظرات صديقاتي الثلاث عليه بعد ان جلسنا الى طاولة في مقهى قرب الجامعة معًا في انتظار أن تنهي صديقاتنا الأخريات محاضراتهن بعد نصف ساعة .. كنت منشغلة جدًا وانا احاول ايجاد طريقة ابتدأ بها واجبي الجامعي الطويل الذي كان عبارة عن بحث .. كنت قد افرغت محتويات حقيبة لابتوبي أمامي وشرعت بالعمل ،وبين كتب وأوراق ومسودات وطقطقة أصابعي على لوحة اللابتوب ضاعت هيبة المقهى و رومانسيته .. كنت مشتتة جدًا

وافكاري تكاد تعصف بي ،هكذا أنا عندما أفكر ..اشعر وكأن مخي قد اصابه التهاب او ان بركان فوهته قريبة من منتصف دماغي قد اوشك على الانفجار .. ورغم ذلك وجدت احدى صديقاتي تهزني بعنف ،غير مبالية بتعابير الغضب على وجهي وكأنها لاواعية وهي تخبرني أن استدير قليلا لأنظر الى تلك" التحفة" الموجودة خلفي والتي تحدق بي بدورها .. رغم ان تعبيرها كان سخيفًا الا انني لم استطع ان امنع نفسي من الالتفات للخلف لأرى ما هي تلك "التحفة" التي شلت فكر صديقاتي .. التفت لأواجه زجاج المقهى الذي كنت قد اوليته ظهري فقابلت نظراتي لحظة ازالته لنظارته الشمسية وضعت في وسط اللهب الأخضر المتقد من عيناه دون ادرك ذلك .. وجدته ينظر الي بكل جرأة ،استمريت في التحديق فيه غير مصدقة لقلة حيائه وعندما وجد نظراتي قد أصبحت مخيفة ركب سيارته المرسيدس ؛وانطلق ...

14 فبراير 2008

تجمعت الغيوم في السماء حتى ملأتها عن آخرها .. وعندما ازداد غزو السحب للسماء اصبح الجو غائمًا جدًا مما أعطى انذارًا بنزول الأمطار في ذلك اليوم ..كان صباحًا عاديًا ككل الصباحات الشتوية في مدينة جدة التي لم تعتد الحرارة المنخفضة يومًا .. اعتذرت الدكتورة عن الحضور بسبب خوفها من تقلبات الجو المحتملة مما جعلنا ننهي اليوم باكرًا ونغادر الجامعة .. كانت الساعة تشير الى العاشرة والربع في حين أنني قد حددت موعدًا مع السائق في الثانية عشر والنصف حسب موعد محاضراتي .. اتصلت كثيرًا ولم يجب وشعرت بالخيبة ..انتظرت ربع ساعة فإذا برقمه يظهر على شاشة هاتفي .. طلبت منه الحضور فأخبرني انه يرافق أبي في عدة مشاوير و سيحضر بعد نصف ساعة تقريبًا .. اكتأبت جدًا فالجو ليس جيدًا على الاطلاق ،كما أنني لا املك اي طريقة اخرى للعودة الى المنزل حتى صديقاتي جميعهن قد تغيبن عن الجامعة اليوم بسبب الجو ،عدا أنا .. وقفت على مقربة من عمود إنارة وأخذت اقلب في هاتفي لأتفقد جدولي الأسبوعي .. كان مزدحمًا للغاية لدرجة أنني علمت أن ليس هناك اي مجال لأي انشطة ترفيهية او ممارسة لأية هوايات .. لم أكد اكمل تنهيدتي

حتى وجدت احدى زميلاتي تلوح لي من بعيد مرحبة .. اسمها نغم ،تدرس معي في كلاس الأحياء الدقيقة ... فتاة فلسطينية جميلة للغاية ..ومرة أخرى ؛هادئة كنغمة .. ليس علاقتنا بالقوية ولكنها توطدت عندما عرضت عليها أن اساعدها في شرح أحد الدروس التي استصعبت عليها ولشدة حيائها لم تملك الشجاعة لتسأل الأستاذة عنها .. ابتسمت لها بالمقابل ولوحت بيدي اشارة الترحيب ، أقبلت الي وهي تسألني عن حالي ثم ما لبثت أن استغربت وقوفي في هذا المكان وفي هذا الجو .. وجدت من افرغ اكتئابي امامه و أخبرتها أنني مضطرة للوقوف حوالي النصف ساعة حتى يحضر السائق .. قبضت جفونها وهي تقلص من اتساع عينيها وتركز نظرها علي بحقد مضحك ..

- " برأيك ما الذي أفعله هنا كي تنتظري نصف ساعة كاملة ..اركبي معي هيا ،سأوصلك في طريقي " ..

نظرت اليها وانا ابتسم ورغم اني حاولت الاعتذار الا انها اصرت كنوع من رد الجميل .. بصراحة لم اكن بحاجة الى مزيد من الجدال فقد كنت مرهقة للغاية ، وافقت على الركوب معها شاكرة بعد أن اخبرتني أن أخاها من سيوصلنا.. ما ان جلست على المقعد الخلفي حتى وجدتها تحدق بي بمكر .. ذات العيون الخضراء المتقدة التي رأيتها قبل مدة ..ذات الحدقتان الماكرتان التي لا تعرف للخجل طريقًا ..ذات النظرات الغريبة ، المخيفة ، الخبيثة ،والجميلة .. انه هو ... سرت في جسدي رعشة غريبة وتصبب العرق من جبيني رغم برد الشتاء الذي كان يلفح هواءه وجهي من النافذة القريبة مني .. شعرت بالغضب الشديد ،وكدت أفتح الباب لأنزل لكنني استعدت رشدي حين وجدت السيارة قد تحركت .. أطلت علي نغم من مقعدها الأمامي بجانب السائق ..رأت امتقاع وجهي الظاهر ونظراتي المختنقة فضحكت علي وهي تعلق أنها لم تكن تدرك أنني خجولة لهذه الدرجة .. ضحك هو بدوره وقد علم تمامًا سبب غضبي المفاجئ الذي بررته نغم بالتوتر والخجل .. عرفت عنه من نغم ..أخبرتني في حديث علني انه اخاها " تيم " .وهو يكبرها بأربع سنوات .. تحدثت بحرية وكأنها قد وجدت نافذة للحديث .. تحدثت عن شجاراتهما الدائمة وعن صبيانيته

وعن ..... زفرت بقوة علامة الغضب، فاعتذرت عن كونها خرجت بالحديث عن مسار آخر ... حاولت ان استعين بذات الهواء البارد الذي هربت منه منذ قليل لأستعيد بعضا من هدوئي .. كنت انظر من النافذة واشعر بخفقان قوي في قلبي .. ظننت انه الغضب هو ما وترني هكذا ولكن ..عندما اشحت ببصري عن النافذة وقابلت عيناه في المرآة الأمامية انقبضت عضلات معدتي فعلمت أنني لم اكن غاضبة فحسب ،بل هناك أمر آخر .. وصلت الى المنزل بعد ربع ساعة على الطريق بتوقيت ساعة يدي ، وربع عام من الانقباض والخفقان السريع بتوقيت مشاعري .. ما الذي يحدث ...!! رميت كتبي وحقيبتي على كنبتي النمرية المركونة في زاوية غرفتي ورحت أذرع الغرفة ذهابا وايابًا كعادتي عند كل توتر .. كان هناك نص يُكتَب في داخلي بلغة غريبة لم استطع ترجمتها وقد أقلقني ألا افهم ما يحاك سيناريوهه بين تياراتي العصبية وشراييني .. كان كل شيء معقدًا لدرجة أنني شعرت وكأن كيان آخر تلبسني حين وجدتني أفتح مدونتي الإلكترونية وأنقر فيها بشاعرية ..

.. مجرد شعور ..

"وكالخيال كان ..

فوق التوقعات وبعد الحقائق ...

شيء سامي ..غير مرئي ..غير مسموع ..وغير متوقع ..

أبعد من تعريف وأكثر من عبارة ..أروع من صفات مدح تتباهى بها لغةٌ ما عرفت معنى الجمال الحقيقي يومًا وأقوى من روابط عطف وجر تحاول لملمته بجمل قاصرة بالنسبة لكماله ..

كان كالحلم .. أو ... لربما كان خارجًا من حلم أحدهم فتاه وسط الطرق وحملته الأقدار ... إلي ...

نظراته ناعمةً كريشة .. لطيفةً كوردة ..متألقةً كنجمة ..عذبةً كنغمة .. لامتناهية كقصيدة ..محيرةً كعلامة تعجب ..غامضةً كنقطة ابتدأ معها الكلام بدل أن تنهيه .."

16 فبراير 2008

لم يكن قد مضى سوى يومان على ذلك اللقاء المدمر الذي هز كياني .. كان هناك شيء غريب فيه يحيرني .. نظراته الصامتة وأحاديثه البصرية .. ثقته الزائدة بنفسه وكأنه يوقن تمامًا ان له الحق في أن ينظر الي بتلك الطريقة اللاخجولة .. استغرب انجذابي له رغم مناقضته لما اعشق .. شعره البني الذي يميل لكونه أصهب في حضور أشعة الشمس .. وقاحته وغروره الزائد عن حده .. صبيانيته وتعامله العادي مع كل شيء واي شيء ... واستغرب أكثر ،تلك الخاطرة التي كتبتها والتي تفاعل معها العديد من صديقاتي بالتلميحات والاشارات ،خصوصًا من حضرن منهن نظرات "روشان " كما أسمو عيونه بعد ذلك اللقاء في المقهى ..

استيقظت من النوم ..مبكرًا جدًا كما أحب .. أديت طقوس صباحي بدءًا بالسير لفترة ثم ..قهوتي الصباحية على نغم تغريداتي على تويتر ..فتحت مدونتي لأجد تعليقًا جديدًا على خاطرتي التي كتبتها قبل يومين " لربما لسنا كاملين حد التعجب، ولكننا نصبح كذلك حين ترمقنا أعين الآخرين بنظرات عاشقة .." ذيل تعليقه ب (تيم) ...

خفق قلبي بجنون ... هل كان هو من كتب التعليق ..!! ثم ...ما ادراه بمدونتي ... يا الهي ..أعتقد انها نغم ... لربما حصل عليه منها .. ما الذي يريده ذلك المجنون ..!! لم استطع كتم غيظي وراسلته عبر بريده لأكتب له بتهور " ما الذي تريده أيها السيد ..!!" وكأنني كنت أنتظر منه ان يرد على مزاجي المتعكر في ذلك الوقت المبكر من الصباح ... ولكنني تفاجأت حين اهتز هاتفي الصامت بجانبي لينذر عن وصول رسالة " وعليكم السلام .. لم اكن ادرك ان تعليق واحد في مدونتك قد يفجر براكين غضبك .. كان ينبغي ان تلغي كتابة التعليقات ".. عندما بدأت اجاريه ..علمت أن صباحي قد أُفسد تمامًا ...

" انك تدرك تمامًا كما ادرك انه ليس تعليقًا بقدر ما هو محاولة لتفهيمي أنني واقعة بك " ..

" وهل ترين نفسكِ واقعة بي ..!!"

.. ابتلعت ريقي ..ما الذي يقوله هذا المجنون .. " لم ،ولن أفعل ..ولكنك وقح للغاية "

.." كان مجرد سؤال .. لا أعلم لمَ تنفعلين بسرعة ..عمومًا لدي عمل على كل حال .. طاب صباحك ايتها الراقية ..!!"

.. انفجرت حينها .. ما الذي يعنيه ب " الراقية !!" ..انه يشتمني بالفعل ..ولكن بطريقة خفية ... ما الذي أقحمت نفسي فيه أنا ... ما الذي يحدث !!" ..

.. ***أسبوع بعد ذلك ..***

وجدته يهاتفني بسذاجة ذات صباح وأنا اخرج من احدى محاضراتي ،ورغم تفاجئي به الا انه أخبرني بأنه سينتظرني في ذات المقهى الذي كنت فيه ذلك اليوم.. صدمني بطلبه .. أردت أن أشتمه ..أن ... ولكنه فاجأني حين قاطعني بهدوء واضح وترجي وهو يعلق بأنه لن يأخذ من وقتي سوى خمس دقائق فحسب " ..أحسست بأن في نبرته أمرًا غريبًا ..ذهبت الى المقهى ،وجدته يجلس بهدوءٍ تام ..هناك تغيير كبير في شخصيته اليوم .. لم ارتح لحاله ..أردت ان اسأله عما به ولكنه فاجأني عندما نطق قبل ان اسأل .. "اعتقد انكِ لاحظتِ أن نغم لم تحضر الى الجامعة منذ فترة .. قال وهو يطبق عينيه بحزن ..لقد توفيت والدتي منذ ثلاثة أيام .. و نغم في حالة ضياع تام .. انها خجولة جدًا لذلك لا تملك العديد من الصديقات .. أتمنى ان تذهبي اليها ان استطعت فهي منهارة تمامًا .. وقف وقد ارتدى نظاراته السوداء ليغطي عيناه التي استحالت خضرتها أحمرًا قاتمًا .. مشى ثم التفت ليرمي بتعليقه " بالمناسبة .. لقد كانت نغم من طلب مني ان اتصل بك .. لا تخبريها بذلك ... "

تغيرت فجأة بعد ذلك اليوم و تغير كل شيء .. رغم مناقضتي له غالبًا في معظم الأمور ..وعنادي الكبير لما يقول ..ومحاولتي لإظهار خطأه في كل ما يتفوه به .. لم أكن ادرك أنني أذوب في اختلافاته عني يوما بعد

يوم ..مناقضته لشخصيتي كانت نقطة انطلاق لي لأرى العالم بعين أخرى .. عين غريبة ..مجنونة .. تعشق الحرية كثيرًا ... ثم ... وجدتني ألتقي معه في نقطة تشابه .. كان بلا وطن تمامًا كما كنت ... لذلك ... لم أنتظر مطولا كي اعترف له بمشاعري بعد ان ارسل الي أخاه الصغير كي يعطيني رسالة بوحه في ذات المقهى ...وعدته بعدها أن اكون وطنه ... وليتني لم اعده بشيء ...

19 ديسمبر 2008

عشقت قراءة الكتب حد الهوس ولكنني لم أدرك مدى لا وعيي وانا اقرأ حتى اطل ذلك اليوم في أواخر خريف ديسمبر العتيق ... لطالما قالت دكتور خولة حمدي بأن كل الأحلام تنتهي في ديسمبر.. ولكنني لم اصدق ذلك.. ويا لسذاجتي.. اردت دومًا ان تكون لي علاقة خاصة تصمد مع نهايات خريف ديسمبر وبداية شتاءاته لأواجهه بها .. ولكنني لم امعن النظر في حقيقة ذلك الشهر وأن انتهاء الموسم الخريفي المبهم في الواحد والعشرين منه ليبتدأ موسم آخر هو أشد كآبة دليل على أن هذا الشهر هو خريف لعلاقات سابقة وشتاءٌ عاصف لعلاقات أخرى على وشك الولادة.. قابلني في ذات المقهى ولكنه كان شخصًا آخر .. كان وجهه حزينًا للغاية ،وعيناي لم تسبر اغوار عيناه المختبئتين خلف نظاراته التي يواري بها نظراته عني عندما يكون على وشك صدمي ... لم تزد حقيقة شكله قناعاتي سوى تأكيدًا ولكن قلبي لم يرد التصديق .. سألته عما به ،فلم يجب ... أخبرني انه مضغوط في العمل ولديه مشاكل مع بعض الأصدقاء .. اردته ان يتحدث عن تلك المشاكل ولكنه ابدى عدم اكتراثه ... سألته عن سبب لقائه بي فأخبرني انه قد اشتاق لحديثي .. رغم انني لم اصدقه الا انه اسكتّ هواجسي حين رأيته يعاملني بحنانٍ كبير ... عدت الى المنزل وانا مقبوضة القلب ...

يومان من ذلك اللقاء ... سافر لوطنه كي يؤدي حقوقه تجاهه ...

كان ذلك آخر عهدي به ..

رحل كما يرحل ديسمبر كل عام.. دون وداع ..

.. مدونتي ..

.. في احدى معاركي ..

..وقد حدث ان كنت حكمًا في معركة حملت عدوان يبتدئان من داخلي .. معركة حدثت في التاسع عشر من خريف تحطمي .. في تلك الليلة اجتمع الخصمان في انتظار حكمٍ مني سينهي المسألة والى الأبد .. اخترت عقلي ..فقد كنت عقلانية أكثر من كوني عاطفية .. مشيت على رصيف خيباتي وأنا انظر الى ركام احلامي المتخلفة ورائي والمتناثرة حولي .. خطوت خطوات بطيئة ..ثم .. رقصت بهدوء .. رغم تعثري ..ألمي .. الا أني رقصت .. كطائرٍ جريح ..أو .. كقطٍ متألم يدور حول نفسه في محاولة منه للوصول الى ذيله.. ليعض على ألمه..

.. تركت ذكرياتي جانبًا وذهبت الى المطبخ كي أساعد في ترتيب العصير وتقديمه ..

- وها قد جئتِ أيتها المتلصصة .. اخرجي حالا والا دخلت على إثركِ السجن .. لماذا لم تخبريني بذلك سابقًا .. هاه ؟!!

ضحكت ببراءة وهي تقول ..

- أخبرك للمرة الألف بأنني اردتها أن تكون مفاجأة .. ثم صارحيني الآن .. ألستِ سعيدة لأنكِ ستصبحين قريبة مني .. كانت غمزاتها تلك لا تجد سوى الحنق المصطنع مني ..

" سأصارحك ..ولكن دعيهم يرحلون أولا .. " !!

نظرت الي بقلق ثم أخذت تضحك بصوت مرتفع وهي تهمس لي .."أعتقد بأني سأخبر أخي بأن زوجته المستقبلية عصبية جدًا .. أمعنت النظر فيها وانا ازم شفتي محاولة ألا افقد الموقف هيبته ،ولكني لم استطع المقاومة أكثر وضحكت معها ..حقًا السعادة معدية .. أعتقد بأنها داء يتفشى بسرعة وقبل ان تدرك انك بحاجة لأخذ الحذر منه ،والأجمل انه لا يوجد لقاح

ضده ففي دقيقة قد يصبح مزاجك "راايق " بوجود شخص مشرق حولك مهما كانت ظروفك ..ستشعر وكأنك بدأت تفقد همومك شيئا فشيئا .. وكذلك التعاسة معدية فاختر بدقة مع من ستكون ..

.. قاطع ضحكاتنا صوت أمي وهي تناديني كي أعجل تقديم العصير فمشيت ببطء محاولة عدم التعثر بأي شيء .. كانت والدته تنظر الي بإعجاب وكأنني كل ما تريد لابنها .. ما ان قربت كأس العصير منها لتأخذه لم تستطع منع نفسها من الثناء علي .." ما شاء الله ،وش هالجمال !!" .. رددت عليها بابتسامة حيية دليل على كل الخجل الذي يعتمل بداخلي ،أما امي فردت بلباقة " هذا من ذوقك "!! ..تمنيت لو أن لي غطاءً كذلك الذي تحمله السلحفاة فوق ظهرها عندما أعلن أبي أن موعد النظرة الشرعية قد حان .. صحيح انها كانت خطبة تقليدية بحتة ولكنني وبعد تجربتي المريرة صدقت كلام والدتي في أن الحب يأتي بعد الزواج وسلمت أمري لمشاعر غريبة كي تجتاحني .. لأول مرة في حياتي أشعر بهذا الكم من الخجل .. كانت يداي ترتجفان ولم استطع حتى رفع عيناي للأعلى لرؤيته عندما دخل .. حاولت استراق النظر بين الثانية والاخرى وعندما حدث ورأيته .. علمت كم أنني محظوظة للغاية .. فتنت بالهالة الضوئية المحيطة به ..شعره البني الداكن والمائل للأسود بطوله الذي يلامس الكتفين تقريبًا ..عيناه اللامعتان بذات لون شعره ولكنها أفتح قليلا .. واعتقد ان لحيته الخفيفة والتي تعطي لوجهه منظر شاب ورجل راشد في الوقت ذاته قد كانت الضربة القاضية .. لم انتبه وسط خجلي لنظراته التي كانت تطلق علي بين الحين والآخر ،ولكن بطريقة غريبة .. متعبة نوعًا ما .. استطعت ان اعلم من البريق في عينيه انني اعجبه ولكن لم اشعر بأي ارتياح بصراحة اذ انني لم استطع ايجاد أثر لأي سعادة على وجهه .. حاول والدي أن ينهي التوتر فاقترح .." هل تريدان الحديث ..أم اننا قد انتهينا "!! ..اومأ لوالدي وهو يبتسم " لا بأس ..لقد انتهينا .." .. نظرت اليه عندما أطلق سهام حروفه تلك ورحل .. حسنًا .. لم يكن ينقصني الا أن اسمع صوته لأذوب أكثر .. لا اعلم ما الذي يحدث لي ..ولكنني موقنة انني لست أنا .. لست اعرفني هكذا ..عاطفية كامرأة .. اعتقدت أنني عقدت هدنة سابقة مع المشاعر وأصبحت عاصفة هوجاء لا

تعرف للأحاسيس طريقًا ..ولكنه أتى بتلك الطريقة العادية ليثبت لي خطئي ..ورغم " عاديته " الا أنني بدأت انجذب لمحيطه من أول لقاء .. لم نكد ننهي توديعهم حتى اجتمعن أخواتي الثلاث حولي لأعطيهم التقرير حول كل ما حدث وكل ما شعرت به تقريبًا ..كنت أعلم انني لن اتخلص منهن بسهولة فأخبرتهن أنني شعرت بالارتياح وانه راقي نوعًا ما ولربما هادئ كذلك أو ان هذا ما ظهر لي ..يحدث ذلك بأن تأخذ انطباع عن شخص منذ أول لقاء بينكما ..أحيانًا تتحدث مع شخص لدقيقة واحدة لكنك تشعر بارتياح لم تجده في عشرات الساعات مع شخص آخر ،وأحيانا العكس ..أعتقد انها مجرد كيمياء لا اكثر تقربك من شخص منذ اول لقاء ..او لعله نوع من التواطؤ الفكري ، الشعوري ، المعنوي ،واللامادي ..

.. لم اكد انهي ليلتي الطويلة تلك واستلقي على سريري حتى تدافعت الأفكار نحوي على صورة اسئلة كثيرة ..هل ما فعلته صواب بتسليمي لحديث امي وسيري نحو حياة مجهولة المعالم ؟!! .. هل سيكون لي حياة أخرى اكثر سعادة من حياتي الحالية .. ؟!! .. هل سيكون حقيقيًا ولا يتركني في منتصف الطريق ويرحل .. ؟!! هل سيعطيني الحب الذي يغنيني عن العالم أجمع ام انني سأعيش معه جفاف حقيقي من الأحاسيس ..؟ اسئلة كثيرة دارت في ذهني وتركتها للقدر كي يجيب عنها ..

مر يومان لأجد والدي يفاتحني بذات الموضوع ..

- انصتي الي جيدًا يا ابنتي وركزي فيما سأقول ..لقد سألت معارفي عن بندر وبعض من الناس المحيطة به وبصراحة لن اجد شخص اكثر احتراما منه كما وصفه لي الجميع .. وبحديثي معه علمت انه ضابط شرطة يعيش مع والديه وحسب ما ذكر لي فإنكِ ستعيشين معهم في ذات المنزل اذ ان اخواته الثلاث متزوجات عدا صديقتك تلك ،لذلك فالمنزل شبه خالي تقريبًا .. اهله من طبقة اجتماعية ممتازة واتوقع انه الشخص المناسب لك تمامًا ..هذا من وجهة نظري أنا وبالنهاية تلك هي حياتك وهذا هو مستقبلك ..ان كنتِ تودين الارتباط به فسأرحب بذلك جدًا وعلى

الفور ..وان كنتِ لا ترغبين بذلك فهذا قرارك وحدك ولن أناقشك فيه أبدًا .. أعلم أن والدتك تضغط عليك كثيرًا بهذا الخصوص ولكن لا تكترثي لذلك ..لن يجبرك احد على شيء طالما انا على قيد الحياة ..حتى لو بقيتي بلا زواج لباقي العمر ...

نظرت اليه وطبقة من الدموع تغطي عيناي.. هل كنت قادرة على التفريط بحنان والدي ذاك وخوض غمار حياة جديدة مع شخص آخر لا اعرفه ...!!

فكرت مطولا في الأمر ..ورغم خوفي من التسرع الا أنني لم اجد اي سبب كي اعترض او اؤجل الموضوع فتمت الخطبة رسميا بعد أسبوع ..

* بعد ثلاثة ايام من خطبتنا ..

- ألو ..السلام عليكم ..كيف حالك يا ابنتي ..

- أنا بخير و الحمد لله ..ماذا عنكِ يا خالة ..

- بألف خير والحمد لله .. حسنًا ،اتصلت بك لاستفسر اذا ما كان لديكِ الوقت كي تخرجي لتناول الغداء في الخارج أنتي وبندر .. أعتقد انكما بحاجة لكي تتعرفا أكثر على بعضكما ..

- اممم ..هل هو من طلب منكِ ذلك ..؟!!

- حسنًا ..في الحقيقة لم اخبره بعد ..انه منشغل قليلا هذه الأيام و لكنه سيرحب بالفكرة حتمًا ..

- انها فكرة جميلة حقًا ..ولكن للأسف ..لدي الكثير من الاختبارات في الجامعة خلال هذا الأسبوع ..ارى ان نؤجلها لوقت لاحق ..

- حسنًا ..لا بأس بذلك ..ما رأيكِ في أن يزوركِ في المنزل هذا المساء ..؟!!

- أوه ..اعتقد أن هذا افضل .. سأكون بانتظاره ..

- حسنًا اذًا ..الى اللقاء يا ابنتي ..

رغم أنني كنت استطيع تعديل جدولي ليتسنى لي تناول الغداء معه الا أنني لم ارحب بالفكرة كثيرًا خصوصًا انها لم تكن فكرته هو .. ورغم ذلك سعدت لأنه سيأتي لزيارتي اليوم ..اعتقد انه توقيت مناسب كي اخرج من عزلتي الدراسية .. فتحت دولابي لأختار ما يناسب هذه الزيارة .. وقعت عيناي على فستاني الأسود المخملي ذو الأكمام الشيفون المزينة ببعض النقط السوداء من ذات قماش الفستان ..ارتديته واسدلت شعري خلف ظهري كعادتي ..ولأظهر جاذبيتي أكثر استعنت بأحمر شفاه أحمر اللون ... وما هي الا ساعات حتى أتى بندر ..حاولت ان اظهر ثقلي فتركته يتحدث مع أبي لمدة ربع ساعة تقريبا قبل أن اطرق الباب بهدوء حاملة معي ثلاثة كؤوس من العصير .. تحجج والدي بأنه مضطر لإجراء اتصال مهم وتركنا وحدنا ... مرت الدقائق الواحدة تلو الأخرى دون ان يقطع أحدنا ذلك الصمت ويتحدث ..حاولت ان اكسر الحاجز ..

- مرحبًا .. تو ما نور البيت..

- بدا وكأنه كان شاردًا واستعاد تركيزه عند حديثي .. " النور نوركم " .. وجدته ما زال على صمته فوجدت ان اضيف بعضًا من المرح للجلسة ..

- اممم.. هل اصبحتما اصدقاء الآن ..!!

نظر الي باستغراب وهو يسأل " ماذا ...!!

- اقصد أنت والسقف ..هل اصبحتما أصدقاءً الآن .. منذ ان اتيت لم تكف عن التحديق به ..اعتقد ان بينكما تواطؤ صداقة ...

حاول الابتسام ولكن ابتسامته خرجت شاحبة جدًا "اعتذر ..ولكننا ما زلنا لم نعتد على بعضنا ..لذلك ليس لدي ما اقوله " ..

تخليت عن مرحي قليلا وبدأت اتحدث بعقلانية أكثر ..ان كان لا يملك ما يتحدث عنه فلنتحدث عن المستقبل اذًا ..

- حسنًا اذًا .. هناك عدة امور كنت اود اخبارك بها منذ البداية ..تستطيع اعتبارها شروط اكثر من كونها امور اود ان تحدث ..

طالعني بنظرات فاترة وهو يرد " تفضلي !!"..

- أولا ..لم يتبقى على تخرجي من الجامعة سوى عام وبعدها سأبدأ مشواري المهني .. أنا فتاة عملية جدًا بطبعي واولي مستقبلي اهتمامًا كبيرا لذلك فإن شرطي الأول والأخير ألا تطلب مني تحت اي ظرف ان اترك عملي .. كانت نظراتي الواثقة تواجه نظراته اللامبالية وهو يردف "حسنًا .. وبعد ؟!!" .. قد ارغب في الحصول على دكتوراه او ان اكَمل دراسات عليا في الخارج ،كل هذا لا اعلم عنه شيء في الوقت الحالي ولكنني قد اقرر فعله في يوم من الأيام وأرجو ان تكون داعمًا في كل ما يخص مستقبلي وعملي ...

اومأ برأسه لكي أكمل ورغم عدم تفاعله بأي تعليق على حديثي الا أنني اكملت .." حسنًا .. هذا كل ما لدي للآن ..وآمل ان تتفهم ذلك ،وأعدك ان افصل بين عملي وحياتي معك لدرجة لا تشعر فيها بأي تقصير من جهتي ..

زفر وهو يقف ويبتسم بتصنع ..

- ليس هناك اي مشكلة ،فبالنهاية هي حياتك ومستقبلك .. علي ان ارحل الآن لدي الكثير من العمل .. الى اللقاء ..

لم استطع تقبل طريقة تصرفه الغريبة تلك ..صحيح انني اردت رجلا يتفهم احلامي ومكافحتي لصنع هوية لي ،ولكن ..كان عليه ان يناقشني على الأقل ..ثم ما حكاية (بالنهاية هي حياتك) ..أليست هي حياتنا معًا ..!! رغم ان لامبالاته تربكني الا انني يجب ان اوقف التفكير بذلك فلا يمكنني التراجع بناءً على اعتقادات لا أكثر .. حاولت تهدئة قلقي بشتى الطرق ولكن تساؤلاتي الكثيرة ارهقت عقلي حد التعب .. لمَ هذا الجمود المبالغ به ؟!!.. هل هو هكذا ،ام انه لم يأخذ علي بعد لذلك فهو يخجل .. !! أربكني ان امه هي من ترتب لنا لقاءات التعارف في حين انه لم يفعل ذلك ولا لمرة واحدة .. او .. لربما هو من يطلب منها مكالمتي .. لا اعلم ..كل ما اعلمه هو انني يجب ان اخرج من هذا الجحيم الفكري فحسب ..

مررت على رف الكتب في غرفتي علني أجد ما يلهيني عن ذلك ..فوجدتها محشورة هناك بين صف الروايات في انتظاري.. اسمها "أماريتا " الجزء الثاني لرواية أرض زيكولا التي قرأتها قبل اسبوعين تقريبا ..كانت قصتها تكمل تلك الرواية ولكنها تعززها كذلك ..قصة غريبة عن عالم أغرب يتعامل فيه البشر بوحدات الذكاء بدلا من المال ورغم ذلك ركز الجزء الثاني على طبيبة ارض زيكولا الاولى والتي هربت من مدينتها لتأخذها مدينة أخرى من اجل الاستعباد فيقع ملك تلك المدينة في عشقها وتبدأ قصة حب مجنونة بين ملك مستعد للتضحية بشعبه وجيشه وملكه من اجل انقاذ حبيبته التي تحتضر ..في ذلك النوع من القصص يتجلى حب الملوك واخلاصهم الدائم واستعدادهم للتضحية بأنفسهم مقابل وطن حقيقي او وطن يتمثل في بشر يحبونه وهذا ما اعشقه .. لم أكد انهي ربع صفحات الرواية حتى وجدت آلاء تقف بتململ أمام الباب وهي تضع يدها على خصرها وتنظر الي من بعيد .. رمقتها بنظرة متسائلة ،فصرخت بي " وماذا بعد ...!!" ابتسمت لها وان اسألها عما حل بها فوجدتها تتحدث بإسهاب " امي وابي ناما مبكرًا اليوم وكأن حافلة المدرسة ستكون بانتظارهما امام الباب غدًا صباحا وعليهما الا يطيلا السهر ..وأنتِ يا آنسة لا تخرجين من غرفتك مطلقًا وكأنك تعتكفين بها ..سأجن من الوحدة في هذا المنزل "!! .. لم استطع كتم ضحكتي فانفجرت بي تهدد وهي تضحك وبدأت بعدها معركة الوسائد ... لم استطع تحمل جنونها وضربها الموجع أكثر وكأنها تنتقم من تململها بي وعرضت عليها ان تكف عن رمي الوسائد علي وسأشاركها مشاهدة فيلم اسطوري ..بالطبع لم ترفض ذلك ،فأنا وكما يعلم الجميع سيدة الأفلام الصعبة في المنزل ، اخترت لنا فيلمًا مرعبًا وبدأت رحلة الجنون تحت اضواء التلفاز الذي لم يكن هناك ما يضيء الغرفة سواه .. اعشق مشاهدة الأفلام ،خاصةً أفلام الأكشن والرعب ،اعتقد ان تشويقها واثارتها تستطيع ان تجعلك متشوقا حتى آخر قطرة منه ..

لا أعلم ما هذا المزيج الغريب في شخصيتي فأنا لا اعلم ان كنت هادئة ام فوضوية، قوية ام ضعيفة ،شديدة او لطيفة ..لكنني اعتقد ان كل هذه الصفات موجودة بداخلي ولكنها تظهر حسب المواقف ..ففي علاقاتي دائما

ما اترك الَمجال لقلبي لذلك ابدو ضعيفة ،لطيفة ،وفوضوية ..ولكن في مستقبلي فعقلي دائما هو المتحكم لذلك أصبح قوية ،شديدة ،ذكية ولربما مزعجة قليلا حين يتعلق الأمر بأحلامي .. أراني طموحة وواثقة من قدراتي وفعلا لا احب الاتكال على أحد غيري ،لأن المرأة في نظري قوية بذاتها ،صحيح انها تحتاج الرجل بجانبها احيانًا ولكنها تستطيع العيش دونه .. هي ليست نصف المجتمع كما يقال فحسب ،بل انها تستطيع ان تكون مجتمعًا كاملا اذا ارادت ذلك .. احداث كثيرة عشتها جعلتني اقرر الا احتاج الى احد ، ارى كيف تضحي بعض النساء بسعادتها فقط لأنها بحاجة الى زوجها او أي من كان كي يعيلها .. لو ان كل امرأة تحاول الا تتكأ على حائط قد يسقط ما كانت حياة البعض بتلك الصعوبة التي هي عليها اليوم ولتغير الوضع كثيرًا ..

. . .

مرت الأيام وأنا منشغلة للغاية بتحضيرات زفافي ،تمنيت لو اننا اكتفينا بحفلة صغيرة تضم كل من أحب فقط ..ولكن عبثًا ،اذ لم استطع اقناع امي بذلك ولا والدة بندر التي بدت متلهفة لحجز جزيرة بأكملها ان كان الأمر بيدها لتقيم عليها زفاف ولدها الوحيد ..كانت الأيام تجري وأنا في سباق حقيقي مع الزمن ..كانت الاجازة الصيفية قد بدأت لتوها وانتهى عامي ذاك في الجامعة بعد ان مت الف مرة ..كنت ادرك تماما انني اقع تحت ضغط اكبر مما يمكنني تحمله ،ولكنني استطعت ان اجتاز ذلك العام بثقتي بقدراتي و مساعدة من حولي ..لم استطع التخلص منهن ابدًا ..كن دائمًا موجودات محيطات بي قبل ان اشعر بهن ..حقًا الصداقة غريبة ،قرابة دون دم ،وحب حقيقي دون رجاء لأي مصلحة ..

والأصدقاء اغرب بطبعهم ..لا يأتون الا مرة واحدة في العمر ،وعليك ان تحسن استغلال تلك الفرصة ..

تتلون الحياة شيئا فشيئا معهم وتبدو كل المشاكل قابلة للحل بوجودهم .. ستقدم تضحيات لم تكن تتوقع انها ستقدمها لشخص وستتنازل عن امور ما كنت لتتنازل عنها في حضرة اشخاص دونهم ..

***بعد مرور شهر**

استيقظت من النوم و..... يا الهي ..اكاد لا اتنفس ..!

هل فعلا هناك فرحة تقبض الأنفاس ..!!

اليوم هو يوم زفافي .. هناك الف فكرة وفكرة تدور في رأسي ..جهزت كل شيء على وجه السرعة القصوى ،ذهبت للصالون ،وكان مساءً كارثيًا ..يا الهي ، كيف وافقت ان احضرهن معي ! اخواتي ... كل واحدة منهن تريد امرًا مختلفا لي رغم اني لا املك الا وجهًا واحدًا فقط ..

حنان : ترف ، يجب ان تضعي احمر الشفاه هذا (قالت وهي تمد الي بأحمر الشفاه العودي القاتم) بينما قاطعتها آمال " واات !! احمر شفاه عودي ،ومسكة ورد حمراء ؟!!! هل تمزحين..!! هيي ترف لا تستمعي لما تقول ،ستكونين مثيرة بالأحمر .. " .. تأتي وفاء من بعيد وهي تؤكد علي " توتة .. انظري لتسريحة الشعر هذه ،اعتقد انها ستناسب وجهك تمامًا " .. تتلصص حنان لتنظر الى الصورة فتصرخ دون ان تكترث لكل من هو موجود معنا "ويع ..يا للقرف ..لماذا لا تملك اي واحدة منكن ذوقًا حقيقيًا ..!!" لم استطع السكوت اكثر من ذلك فصرخت فيهن مهددة " حسنًا حسنًا ..اعتقد اننا سنؤجل الزفاف حتى تنهين حفلة المعارضة هذه " كنت قد وتركت الكرسي ووقفت فوجدت ثلاثتهن يمسكن بيدي ويتحدثن بصوت واحد " لا بأس ..لا بأس ..لن نتدخل لبدًا ..افعلي ما تريدين فحسب " .. بدأت بالضحك بعد ان رأيت علامات الاستسلام على وجوههن وشاركنني الضحك ايضا ..لطالما كان ازعاجهن مسلي ..اممم ..بعض الشيء ..

وانتهينا من الصالون .. الحمد لله أننا لم نُطرَد ..ارتديت فستاني الأبيض في غرفتي الموجودة في القاعة ونظرت الى نفسي في المرآة فشعرت بأحاسيس مختلفة تمامًا عن كل ما شعرت به مسبقًا .. رغم اعتيادي على لبس الابيض الا ان تلك المرة كانت هي الأغرب ..عندما اختنقت العبرات

في طرف عيناي علمت كيف ان الفرح احيانا قد يكون مُبكي .. مر امامي شريط ذكرياتي مع عائلتي التي لم اكن اتوقع يوما انها بهذا الجمال..
يقولون اننا لا ندرك قيمة الاشياء سواءً كانوا اشخاص او حتى اماكن الا حين نفقدهم ..وقد كانوا محقين ..يحدث ذلك بأن نسلم بأمور او نعتاد عليها لدرجة اننا لا نعود نشعر بعدها بالفرق الكبير الذي يحدثونه في
حياتنا ..وعندما تحين لحظة الفراق ، يقتلنا الوجع كوننا لم نكن نعتقد انهم بتلك الاهمية ..نظرت الى الخارج قليلا فتسرب شيءٌ من الصخب ..كان الجو صاخبًا للغاية بينما رسم الجميع ابتسامة على وجهه ..البعض يحمل ابتسامة حقيقية ناتجة عن حب صادق ،بينما البعض الآخر يحمل ابتسامة مزيفة تشي عن حقد يعتمل داخله ..ولكننا في كل الاحوال لا نستطيع التفريق بين هذا وذاك .. لا يمكننا ان نفرق بين من يريد لنا الخير ومن يضمر لنا الشر .. ولهذا فان اسوأ ما قد يحمله شخص بداخله هو ان يكون منافقًا ..فعلى عكس اعدائك الذين تعرفهم وتحذر منهم يظهر في هيأة العدو الصديق ..امامك اخير الناس ومن ورائك اشدهم سوء .. مرت لحظات قليلة دخلت بعدها المصورة تحمل كاميرتها وطلبت وهي تجهز ادواتها بأن يحضر العريس لتبدأ جلسة التصوير ،وما ان انتهينا مشبعين بالقلق والتوتر حتى اعلن الجميع عن اقتراب موعد الزفة ..

.. خرجت حينها من غرفتي لأسير في ممر قصير مزين بالورد الاحمر الذي ينتهي عند بداية الدرج لتزينه ورود بيضاء.. سرت ببطء وشعرت بأني كالأميرة حقًا ..كان جميع من في القاعة يولي اهتمامه بي ويركز نظراته علي ..خرج بندر ليشاركني نزول الدرج ،وعلى صوت حسين الجسمي كنا نسير .. يزفنا بهدوء وشاعرية بكلماته " بسم الله الرحمن وسمو عليها ..تقبل وكل النور منها وفيها .. لا اله الا الله ..لا اله الا الله .. الف الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله محمد " .. اتوقف قليلا واتغيب على إثر كلماته.. يكمل الغناء وأكمل المسير، وعلى مقطع من اغنيته ذاب خجلي " والورد الابيض من عذوبة حياها.. احمر لونه لو يلامس ايديها.." حقًا لقد احمرّ خجلا وقتها، بالرغم من انه كان احمرًا منذ البداية الا انه ازداد احمرارًا.. مضينا وانتهت الزفة وحان الوقت كي أودع اهلي قبل رحيلي النهائي عنهم.. ويا لصعوبة الوداع، كانت امي تبكي واخواتي

ومعها حق في ذلك فقد كنت معها دائمًا خصوصًا بعد زواج اخواتي ورحيلهم عنها، لم يتبقى لها من احد سواي ..حاولت الا ابكي كيلا افسد مكياجي على الاقل ..ودعتهن والحزن ورغم اني اكره الوداع الا انه بالنسبة لي طقس من طقوس الرحيل يحرم التملص منه ..

. . .

كان التوتر مسيطرًا ،ركبنا ذات السيارة ورغم اننا كنا عروسين الا ان لا شيء يدل على ذلك سوى ما نرتديه ..اعتقد اني خلعت قلبي في القاعة قبل ان اغادر .. اعتقد انني نسيتني عندهم ..لربما كنت قد بقيت في حضن امي حين ودعتها .. لست مستوعبة لحقيقة انني امرأة مسؤولة عن منزل وزوج وحياة جديدة الآن ... اتساءل لم كان ابي يكذب علي ويخبرني بأنني سأبقى صغيرته للأبد .. اين هو الآن .. كيف تركني هكذا ..؟!! ألم اعد صغيرته ..ام انه نقض عهده تسليمًا لمسلمات الحياة وسنن الكون ..

كنت حزينة للغاية ،ومكياجي الذي حافظت عليه طوال الحفل قد انمحى هو الآخر ..وصلنا الى الفندق الذي سنقيم فيه ليلتنا قبل السفر ..

نظرت الى ذلك الغريب بجانبي والذي اصبح محسوبًا علي كزوج علّني اجد عزاء حزني عنده .. ولكنه كان تائهًا في عالم بعيد كل البعد عن فندق هيلتون .. كان صامتًا بطريقة محيرة ،وكعادتي لم استطع منع نفسي من سؤاله عما هو شارد به ..

- بندر ..وش فيك .. هكذا سألت ببراءة ولكنه لم يرد ..هل اعتبر صمته تجاهل ،ام انه توقير لحزنه وشروده الذي يقبع به .. اعدت سؤالي مرة اخرى لأترجم سبب هذا الجمود .." بندر وش فيك ،واضح عليك انك متضايق .. "!!

تنهد ليقول دون ان ينظر الي "انا بخير ..لا تخافي لن افسد عليك ليلة عمرك ..كان يتحدث باستهزاء وكأنه يقصد شيئا ما ولكنه اكمل ،وعلى كل حال ..ما اتوقع ان الامر بيفرق لو كنت متضايق او لا .." نظرت اليه باستغراب واشتعلت بداخلي شرارة غضب جراء استهزاء وتلميحاته ..

حاولت استعادة هدوئي "مين قال انها ما تفرق، بالعكس اكيد تفرق .. لو في شيء مضايقك تقدر تشاركني اياه " ضحك بصوت عالي وبطريقة جنونية لدرجة شككت في سلامته العقلية .. نظر الي وعروق حمراء تفرض حضورها بداخل عينيه .." حسنًا اذا .. لم اكن اريد ان افتح هذا الموضوع ولكنك من أصر.. هل تريدين ان اخبرك بما بي حتى لو ان هذا الامر له علاقة بكِ " .. كنت استمع اليه وانا مدركة بحاسة الانثى السادسة ان هناك ما سيغير مجرى هذه الليلة تمامًا ..ولكنني لم اكن ممن يهربون ..

- لا عليك ..مستعدة لسماعك ..

زفر بتقطع وكانه يتجهز للبوح بسر يقتله منذ زمن ..

- اولا ..وقبل كل شيء ،لا استطيع ان انكر انك امرأة مثالية تماما ،ولا عيب بها ..وبصراحة في ظروف اخرى كنت سأقبل بفكرة الارتباط بك جدًا ،ولا انكر انني اشعر انني كنت سأحبك .. ولكن ليس الآن ..وليس وفي قلبي امرأة اخرى .. تنهد وهو ينظر الى وجهي ليرى الكوارث التي خلفتها قنبلته التي رماها توًا.. ولكن الصلابة التي كانت تحملها تعابير وجهي شجعته على اكمال حديثه ..

- ترف .. اعلم انني انسان انانى للغاية ،واعلم انك لا ذنب لك في كل هذا .. ولكن .. صدقيني، الامر ليس بيدي .. لقد حاولت جاهدًا ان امنع هذا الزواج لكيلا اظلمك معي ..ولكن ابي كان مصرًا وامي كذلك .. لم يكونوا ليقبلوا بتلك الفتاة التي احبها ،لذلك قاموا بتزويجي منك ..ورغم مكابرته الا اني استطعت رؤية احتباس دموعه داخل عينيه ..

" صدقيني ، لن احرمك من الاحترام الذي تستحقينه ابدًا ،ولكني لا استطيع ان اعطيك حبي "

.. كان قلبي قد زاد من نبضاته وشعرت بأن حالة الغضب التي بداخلي تستطيع ان تدمر مدنًا بأكملها ان هي خرجت ..ما الذي يقوله هذا المجنون.. اعتقد انه يهذي فحسب ..!! لماذا يحدث هذا معي ،هل تجازيني الايام على ثقتي بها واعطائي لقلبي فرصة ثانية..!! هل كان غفراني لرجل

هجرني ،وثقتي بآخر هي كل خطيئتي .. هل كنت ساذجة لتلك الدرجة .. وما الذي سيحدث الآن .. سأعيش حياة تافهة خالية من المشاعر معه ..!! انا التي لطالما آمنت ان البيوت تعمر بالحب .. !! يا الهي ..

نظر الي في انتظار ردة فعل ..او قول .. صراخ ..تكسير ..او حتى ان اتصل بأهلي لأنهي كل هذه المهزلة .. ولكنني لم افعل.. حملت همومي معي والعبرات المختنقة على لساني وتأبى الخروج ،وذهبت للاستحمام ..

. . .

- ما هو اسمها .. ؟!!!

ازلت طبقات المكياج ومعها ازلت يأسًا كان قد بدأ يتسلل الي ..هل كان من الجنون ان يكون اول شيء اسأل عنه بعد ان اخبرني عنها هو ان اسأل عن اسمها ... النظرة المرتابة المرتسمة على وجهه تجعلني ادرك كم ان تصرفي كان جنونيًا ..

- ماذا .. ؟؟!! .. لم يكن سؤالا بقدر ما كان استفسارًا مباشرا حول مدى كوني بخير .. لكنني اعدت السؤال ..

- سألتك عن اسمها ..!! حبيبتك تلك ...

جحظت عيناه وهو ينظر الي وكأنه غير متأكد من ذلك الهدوء الذي يكتسي ملامحي ..قال وهو يزدرد ريقه " للل ... لميس .. اسمها لميس " ..

ابتسمت بمكر "واو .. اسمها كثير حلو.. بالإضافة انو لايقين على بعض ..اخذت اكرر وكأني احادث نفسي .. بندر.. ولميس .. روعة ..

-ممكن اعرف وش اللي تخططي له ..؟!!

- اخطط؟!! .. حسستني اني بانتظرك لين تنام واقتلك ... شوف .. أنا اعقل من اني ابكي الحين او اسوي لك مناحة ..وبصراحة اشكر لك صراحتك معي ، واتوقع ان معرفتي لكل شيء من بدري هو الافضل لأني مثلك ما يرضيني اعيش مع شخص ما يكن لي اي مشاعر او ان قلبه متعلق بغيري ، او اني اكون سبب في هدم حب اثنين متعلقين ببعض ..

نظر الي ونظرة اعجاب واضحة تغزو تعابيره على ما قلت ..

- بس المشكلة اننا ما نقدر ننهي الموضوع ، لأن اهلي ..... اقصد ابوي ...اخذ يتنهد فقاطعته بحديثي ..

- شوف .. انت تبي ترضي اهلك وانا كانت غايتي اني اريح ماما .. وبالنهاية هذا مو حلمي ،وانا عندي اهداف اكبر بحياتي .. حاولت تركيز نظراتي عليه وانا اعرض عليه صفقتي .. انت عيش حياتك وحب اللي تحب ،وانا اعيش حياتي واسوي اللي ابيه واحقق احلامي كيف ما كانت السبل ...

كانت نظرات الحيرة تغزو عينيه اكثر .. وكأنها متلهفة لسماع الحل ..

- نعيش اصدقاء ... زواج عالورق وبس ... مجرد عقد رسمي يربطنا وغير كذا ما لنا عند بعض شيء ..

ارتسمت الدهشة على وجهه ،وكانت ملامحه متفاجئة بصورة كبيرة..لربما لم يتوقع ذلك الحل ..وفي الحقيقة انا ايضا لم اتوقع ذلك الحل ..ولكن ، ماذا يسعني ان اقول ،لقد كان وليد الموقف لا اكثر .. بالإضافة الى انني لست شغوفة بأن اكون ربة منزل وام لعدة اطفال ..اذن فقد كان ذلك الحل يخدمني كثيرًا ..أغرتني فكرة ان اعيش حرة دون قيود ..ان اعيش كما يحلو لي ..كانت تلك اعظم معجزة اهداني اياها القدر ، فبالطبع لست من عشاق الحياة الدرامية ، لست اعشق قصص الحب الناقصة ..بل افضل ان أن يكون لي عالم انا الاولى والأخيرة فيه ..

. . .

كانت الهدنة قد بدأت عندما سافرنا في صباح اليوم التالي الى باريس ..ورغم انه لم يكن شهر عسل كما كان يجب ،الا انه كان اجمل ..زرنا معالم كثيرة كنت اعشقها في صغري ولطالما تمنيت ان ازورها ..

مرت الايام جميلة ،وعلاقتي ببندر في تطور مستمر "كصديقة" ..بدأنا نثق ببعضنا ونتحدث عن اسرارنا ومشاكلنا ..ساعدته في استعادة حبيبته التي

اخبرها عما حدث، ورغم انها كانت شبه مصدقة ،الا ان حديثي معها قتل اي شك قد يكون تسرب لداخلها ..اخبرته انها تبدو لي مغرورة بطريقته الجميلة تلك وأخبرني انني لم اعرفها بعد ، فعدت اخبره ان ضحكته اجمل ما في باريس ..

كان من السهل ان نندمج معًا ، فقد كنا نتشابه كثيرًا ،خصوصًا وانني اكتشفت اننا كلانا لا نحب لعب دور الضحية ، لذلك كان خروجنا من ذلك الموقف ابسط مما اعتقدنا ..

مضى الوقت وعدنا لجدة ..فتحت الجامعات ابوابها واستأنفت عامي الدراسي الأخير ..كنت متحمسة للغاية لإكمال ذلك العام الذي بدا لي انه سيكون مرهقًا جدًا ..ولكن ..يقال ان ايام الجامعات هي الاجمل ، وهي كذلك ..لربما أن البدايات تكون صعبة قليلا ولكننا نعتاد مع الوقت كل تلك الصعوبات ..وبالرغم من كل شيء يكمن سر حبي للجامعة انني ادرس فيها ما احب باستثناء المدرسة التي تعلمنا كل شيء سواء كنا نحمل ميولا تجاهه او لا ..

وجدت في بندر شخصا رائعًا بحق ..لا ادري لو ان لي الامر ان كنت اخترت ان تسير الامور كما سارت عليه ولكنني سعيدة جدا بقدري حتى وان كان ناقصًا .. كان يساعدني كثيرًا وهون علي صعوبة الدراسة وضغط المشاريع ..كان ينتشلني من مقعدي عندما يجدني "أتحلطم" واذاكر ويغير لي مودي ..كان عبارة عن فسحة أمل رائعة في ذلك الوقت واكتشفت اننا نحمل هوايات متشابهة قليلا ..كنا نمارس الرياضة كل يوم صباحا في حديقة المنزل وبعدها يذهب كل منا نحو عمله او "جامعته " ..وكتشابه هواياتنا كنا نعشق القهوة كذلك ، لذلك بات ستاربكس شاهدًا على جنوننا الصباحي الذي لا يبدأ الا بقهوته ..وفي ايام الويكند كنا نستمتع كثيرًا ..صينية فشار كبيرة وذات الكنبة التي تصبح سرير والتي كان ينام عليها ،وشاشة التلفاز الكبيرة ،وبالطبع فيلم من اختياري انا ..كان يعشق الافلام الامريكية كما افعل وكانت ليلة الويكند تبقى مشتعلة مع توم كروز ،ذا روك ،روبرت دوني ،وغموض اغلب افلام ليلي كولينز الساحرة.. مرت حياتي بقدر كبير من التوافق ،وكم هائل من الاختبارات ، الى ان

انقضت الايام ووجدتني أُعلَن كخريجة ..تنفست الصعداء وفرحت للغاية بإنجازي ،كما وجدت الجميع من حولي سعيدين بذلك أيضًا .. دامت التهنئة لمدة اسبوع كامل وكلما قابلت أحدًا وجدته يهنئني كونهم يعلمون كم تعبت لأجل ذلك ..أما امي فقد جعلتني اشعر انني اكثر تميزًا من مكتشف البنسلين اذ انها لم تكف عن اخبار صديقاتها عني وجعلي محور حديث كل مجلس عائلي ..

..شعرت انني قد قسوت على نفسي كثيرًا في ذلك العام ..وكان ان عرض علي بندر ان اختار الهدية التي اريد ،كونني بطلته التي عانت كثيرًا في تلك الفترة ..فوجدت المكافأة المناسبة لي .. سفرة الى دبي تفي بالغرض ..اعتدت دوما على مكافأة نفسي تقديرًا لجهودها فذلك يحفزها دومًا على بذل المزيد ..لكي تعطيك ذاتك كل ما تريد عليك ان تدللها ،وكنت ادلل ذاتي كلما انجزت ..

سافرنا الى دبي ..رحلة الى النعيم ..مدينة اسطورية مبنية بأيدي بشرية ..انيقة للغاية ومليئة بالأضواء والأجمل من ذلك انها تضم بشر من جميع الدول ومن مختلف الجنسيات ،فلا فرق هناك بين اماراتي وآخر ..ليتني استطعت البقاء أكثر ولكن ، كان اسبوع واحد حسب ما سمح به عمل بندر ..

عدنا لجدة ..وبدأت ابحث عن عمل ..لم يأخذ مني البحث وقتًا كبيرا اذ ان درجاتي وبحوثي التي قدمتها أيام الجامعة كانت اضافة لامعة لسيرتي الذاتية بالإضافة الى توصيات بندر قبل المقابلة ..

.. عملت في مختبر لأحد اكبر المستشفيات في جدة ،وكان عملي يقتضي البحث المستمر واكتشاف وتحليل التركيبات التي تطرحها الشركات الدوائية كما انني كنت اطمح شخصيًا الى اكتشاف ادوية تقلل من تفشي السرطان في الجسم وتمنع انتشاره ، وهذا كان هدفي الأسمى ..أما بندر فقد فعل الكثير ومن ترقية لأخرى ..

. . .

بالنسبة لحياتي العاطفية فقد كانت فارغة نوعًا ما الى أن أتى ذلك اليوم الذي قلبها رأسًا على عقب ..كان الأول من اغسطس وكعادتنا فقد كنا نعقد اجتماع في الاول من كل شهر ..تحدث المدير بمقدمة طويلة وشبه مملة ثم اشار الى اخلاقيات الطبيب التي يجب ان يتحلى طاقم العمل بها من اخلاص وامانة فأي خلل في عملنا هذا ثمنه روح انسان .. وبعد حديث قارب الساعة تمنى التوفيق للجميع وأمرنا بالانصراف ..هممت بالخروج فوجدته يشير الي بأن ابقى كما أشار الى الدكتور عمر كذلك .. نظر الي مباشرة وهو يقول بلهجة مرحة كما اعتاد ان يتحدث معي دومًا " كيف حالك دكتور ترف.. لاحظت تململك في الاجتماع ، هل كان ثقيلا ؟!!" .. ابتسمت وأنا محرجة " لا لا..كان مميزًا كالعادة " ..وكأنه لم يسمع تعليقي الأخير وشرع في الحديث عما اراد فورًا ...

- أعتقد انكم تتساءلون الآن عن السبب الذي من اجله طلبت منكم البقاء .. اولا .. لا يخفى على أحد يعمل في هذا المكان انكم من افضل الاشخاص فيه ..وباختلاف تخصصاتكم الا ان لكل واحد طريقة مميزة في انجاز عمله ..

عمومًا .. هناك شركة دوائية جديدة في مجالها انتجت تركيبة دوائية وتزعم انها الأفضل لعلاج بعض الامراض العصبية المزمنة ..احد اعضاء تلك الشركة تربطني به علاقة وثيقة وقد طلب مني ان ادعم حملته تلك ليتكمن من المضي قدمًا في ابحاثه ..

والآن يأتي دوركما ..حيث انني لا استطيع دعمهم قبل ان اتأكد من مدى جودة ابحاثهم ونسبة نجاحها على اقل تقدير .. لذلك فإنني اردت ان تتركا كل ما تفعلانه الآن وتركزا على هذا الأمر ..سأوفر لكم كل ما تحتاجانه وستجدان الابحاث وكل ما يتعلق بذلك لدى سكرتيرتي سارة ..

نظر بثقة وهو يهتف .."أي استفسار ..؟!!" .. تبادلنا أنا وعمر النظرات فهز رأسه دليل النفي وكنت كذلك ..

-" حسنًا اذًا ..بالتوفيق .." !!

..كنت ادرك ان العمل كفريق حتى ولو كان مؤلف من اثنين يتطلب التوافق ،بحكم وجودي في المختبر طوال الوقت فإنني لم اكن اعرف الدكتور عمر بصورة جيدة ..كان ينبغي ان يتعرف كل منا على أساليب الآخر في عمله وذلك لم يأخذ منا أكثر من أسبوع بعكس ما توقعت .. استطعنا الاندماج بسرعة في العمل ،فقد كان عمر بعكس مظهره شخصًا مرحًا ودائم الابتسام ..بغض النظر عن مظهر الوسيم المغرور الذي يحمله الا انه كان متواضعًا ،ويستطيع بسهولة ان يمتص غضبي الذي يتفجر بعد عشرة ساعات يومية من البحوث الغير متطابقة في المختبر ..

مرت الأيام واحرزنا تقدمًا مبهرًا ولحسن الحظ فقد دعمت ابحاثنا ابحاثهم وايدتها كثيرًا ..كانت تلك بصمة رائعة لي في مجال عملي فقد أقيم بعدها حفل التكريم السنوي الذي يقيمه المشفى وكنت من بين الأشخاص الذين كرموا كأفضل الاطباء لهذا العام ..بخلاف شعوري بالفخر كنت اعلم انني اسير على الطريق الصحيح باتجاه احلامي ..

لم تهدني تلك الأيام شارة تمهيد للوصول الى احلامي فحسب ، بل حصلت ايضا على صداقة الدكتور عمر الثمينة والتي لا تقارن بشيء .. انتشلني من جمود المختبر ومن سكونه واصبح يتردد علي بين الحين والآخر ليسرقني نحو مطعم المستشفى.. مضى شهران تقريبًا على ذلك الوضع ،الى ان وجدته يطرق بابي بارتباك ذات يوم ..لم اكن منشغلة كثيرا فقد كنت انقل بعض المعلومات لحاسبي فحسب ..أطل برأسه من فتحة الباب وهو يسأل "هل تسمحين لي بالدخول " .. ابتسمت وانا اشير اليه "تفضل" ..

كنت على وشك انهاء عملي والخروج عندما دخل ..وجدته ينظر الي دون ان ينطق بكلمة فاستفزني ذلك الأمر كثيرًا ..

- لم تخبرني ..ما الذي اتى بك الى هنا...؟!! لم يرد على سؤالي وظل صامتًا..

- دكتور عمر انني منشغلة للغاية، ان كان لديك امر يتعلق بالعمل فقله والا فاتركني انهي عملي .. كانت لهجتي جدية في حين ان الابتسامة الساخرة على وجهي تعطيها نبرة هزلية ..

- جيد جدًا ..ومن أخبرك انني هنا لأجل امر لا يخص العمل ؟!!

ابتسمت ابتسامة صفراء" حسنًا ..اخبرني ما الامر ؟!!"

قال بطريقة ماكرة "..اعتقد بأنني مريض يا دكتورة ، مريض للغاية ..ولن اجد دوائي لدى اي طبيب سواكِ " ..نظرت اليه وتلك النظرة الخبيثة تكتسي ملامحه،ولم استطع الا أن اضحك بسخرية وأنا اقول "شكلك مضيع طريقك .. انا مسؤولة عن المختبر ، دكتور حسام في الدور الثالث تقدر تعمل فحوصك عنده اذا تبي .." ..ولكن لهجته زادت مكر عندما قال " دوائي لن اجده لدى شخص سواك ..قلبي متعب ،ووحدك علته ودواءه ، وجع غريب استبد بي منذ عرفتك ، رغم اني حاولت ان اتجاهل الامر، الا انني لم استطع .."

فتحت فمي لأرد عليه ولكنه سبقني وهو يقول " لا داعي للاستعجال الآن .. لديك كل الوقت ،فكري جيدًا فيما قلت ،صدقيني ،انا مستعد أن اتقدم لخطبتك غدًا ان اردتِ ، ولكنني رأيت من الأفضل ان اعلمك بمشاعري أولا .." لم استطع استيعاب ما قاله.. كانت صدمة كبيرة بالنسبة لي .. فرغم اني كنت اكن له قليلا من المشاعر الا انني لم اشعر يوما انه يبادلني الشعور .. امسكت هاتفي بيدان مرتجفتان واتصلت عليها هي ،ومن لي سواها ..

- مرحبا .. رغد .. !! هل من الممكن ان نتقابل ..

- امم ..لماذا صوتك هكذا ..ماذا هناك ؟!!..

-في الحقيقة هناك امر مهم اود الحديث معكِ فيه .. هل من الممكن ان أراكِ ..؟!!

- نعم ،بالطبع ..متى ؟!!

-الآن ..في ذات الكافيه التي نتقابل فيه كل مرة ..

-حسنًا .. شعرت بقلقي يصبح اقل ..نعم ، سأستشير رغد ،اعتقد انها ستساعدني لحل هذه المشكلة ..من الجيد ان تكون هي بجانبي ،فقلد كانت بمثابة اخت لم تلدها امي ، كانت قريبة مني في كل تفاصيل حياتي ..اجمل ما قد تهديك الحياة هو صديق يستطيع فهمك من نظراتك ،نبرة صوتك ،حركة يدك ،دون ان تعبر ،تفسر ،تتحدث ..صديق وكأنه قطعة فقدت منك ذات مرة وعندما وجدته اكتملت ..

هل احتجت اكثر من عشر ثواني بالضبط كي التقط حقيبتي وارتدي عباءتي واغلق باب المكتب وانطلق للكافيه؟!!

..وجدتها بانتظاري ..كانت تشرب ذات القهوة بالحليب التي تشربها عادة.. لم أكد اجلس تمامًا حتى وجدتها تمطرني بالأسئلة والعتاب ..

-أقسم أنني سأقتلك ..هل تعملين العناء الذي واجهني في سبيل الخروج من عملي في هذا الوقت ..؟ ما الذي فعلته هاه ..!!أخبريني اي مصيبة اوقعت نفسك بها ..

نظرت اليها وانا اكاد انفجر من الضحك رغم القلق المميت بداخلي

- دقيقة واحدة فقط ..لم اجبركِ على المجيء ..لقد جئتِ بإرادتك الكاملة ..كما أنك تجعلينني اشعر وكأنني اوقع نفسي في مصيبة كل خمسة دقائق ..

- حسنًا ،حسنًا ..اعتذر ايتها المجنونة ..اخبريني فقط لماذا بدا صوتك لا يترجم ..؟!!

أخذت نفسًا عميقًا "استمعي الي ولا تقاطعيني رجاءً .. هل تذكرين الدكتور عمر؟!!..ذلك الذي كنت عمل معه قبل فترة ..هزت رأسها بقوة وهي تستعجلني "نعم ،نعم ..اكملي !" ..

-حسنًا ..لقد ...لقد اتى الى مكتبي اليوم ،واخبرني ....زفرت بقوة وأنا أرى نظرات الحيرة تجتاح عينيها.. اخبرني انه يريد التقدم لخطبتي..

هل ابالغ عندما اقول ان عيناها كادت تخرج من مكانها من شدة عدم التصديق ورغم ذلك وجدتها تضحك كالمجنونة وهي تقول ..

-ما الذي تهذين به، لو أخبرتني الآن انك احتسيت خمرًا بالأمس لصدقتك .. بربك ..كيف له ان يتجرأ ويطلب يد امرأة متزوجة !! هاه .. نظرت اليها وأنا ابتلع ريقي واحاول تخمين ردة فعله ..

-الا اذا كان لا يعلم بأنها متزوجة أصلا ...

سكت ضحكها المستهزئ، وحاولت تهدئة نفسها وهي تتحدث بعقلانية " ما الذي تقولينه.. كيف ذلك " ..

- أنا لم اخبر احدًا من قبل انني متزوجة ..لأنني ببساطة لست متزوجة كما تعلمين ..كان زواجنا عبارة عن هدنة مؤقتة ،وطالت لأنني لم اكن اريدها ان تنتهي ،بصراحة معلوماتي في الCV وفي جميع اوراق العمل تقول بأنني عزباء ..فهمتِ الآن!! ..

"نعم ،نعم ..فهمت اكثر مما يجب.. عمومًا ما الذي ستفعلينه الآن..!!

-هذا ما اردتك ان تخبريني به ..!!

-اممم.. بالنسبة لرأيي فأنتِ امام خياران لا ثالث لهما، اما ان تخبري عمر بعدم موافقتك وهذا الحل شبه سيء لأن كذبتك تلك ستستمر وسيظل الجميع في العمل يظنون أنك غير مرتبطة وقد يتقدم اليك أحد آخر في المرات القادمة.. اما بالنسبة للحل الثاني فهو ان تنهي زواجك الذي طال، وتخبري عمر بقصتك وتتركِ له حرية الاختيار، وهذا الحل هو الافضل فلن يضطرك للكذب مستقبلا. كنت شاردة تقريبا عندما نظرت اليها " اعتقد أنني اعلم جيدًا ما الذي سأفعله؟"..

. . .

وجدته يجلس على كنبته التي اصبحت عرينه منذ تزوجنا .. نظرت اليه والغضب يكاد يقتلني والشرر يتطاير من عيناي وانا اسأله ..

-ما الذي تفعله ؟!!

-اممم ..توي مخلص عمرة والحمد لله..

كان يريدني ان اضحك لدعابته السخيفة تلك وعندما وجد نظراتي تصبح اكثر حدة التفت بحذر وهو يسأل " ماذا هناك ؟!!" ..

- أنا وأنت ..لماذا لم ننفصل الى الآن ؟!! ..

وكأن سؤالي ذاك هو كل ما كان ينتظره ويخافه "ما الذي ذكرك بهذا الموضوع ،هل حدث اي شيء " ..

نظرت اليه بغضب ،وكأن كلماته تلك قد اخرجت كل الشياطين بداخلي " ما الذي ذكرني بهذا الموضوع ..؟!!! هل جننت أنت ..وهل نسيته أنا يومًا من الاساس..!! ان حياتنا هكذا تأخذ من مستقبلي الكثير .. ان فرصي تنفد مني ..!! هل تعتقد انك وحدك من يحق له ان يضمن مستقبله .. !! ضحكت بسخرية وأنا اقول ..اوه نعم ..كيف لا .. وحبيبتك تنتظر اشارة منك كي تصبح زوجتك ..يمكنك ان تتركني اليوم لترتبط بها غدًا ..ولكن ..هل فكرت يومًا ما الذي سيحدث لي أنا .. !!

- لقد كنا هكذا دومًا ..ما الذي تغير ..اخبريني ؟!!.

-دومًا ..ماذا تقصد بدومًا .. ان هذا الزواج مجرد هدنة وانت تعلم بذلك وقد اتفقنا ان نتطلق في حال رغبنا بذلك ..! ولقد اصبح هذا الزواج يقيدني اكثر مما يجب .. حدقت مطولا في عيناه ونظرات التحدي تكاد تغتاله .. لقد وجدت من ينبغي ان ارتبط به ،ولا يمنعني من ذلك سوى ذلك العقد الفارغ الذي يربط بيني وبينك ، دعنا ننهيه فحسب ..

حاول تجاهل كل ما قلته.. التقط مفاتيح سيارته وخرج دون ان ينظر الي ..لم اصدق ما فعله .. ما الذي يحاول الوصول اليه بكل هذا .. لم اكن يومًا اكثر غضبًا مما انا عليه اليوم ،ورغم ذلك حاولت ان اتوصل الى المنطق بأفعاله ،لماذا يرغمني على تأجيل انفصالنا الذي لا بد منه .. هل اعتاد على وجودي ام انه حب التملك ؟!! .. لقد كنا دائمًا رائعين كأصدقاء ،فهل تزعجه حقيقة انه قد يفقد صداقتي ..!!

كانت الايام تسير ببطء شديد ،خصوصًا بعدما اصبح يتجاهلني باستمرار ويعاملني بجفاء تام ،كان يقتنص الفرص كي ينام مع اصدقائه في الاستراحة ،وفي احيان اخرى كان يبيت يومان او اكثر .. واحترت اكثر لتصرفاته ،انه حقًا غريب ..أليس هو من اخبرني بأنه يحبها ..ألا يشعر المرء بحاجة للارتباط بمن يحب.. مرت بي خاطرة معقدة في تلك اللحظة .. أتراه يحبني ؟!!!

. . .

كنت متقبلة اعتقاد ان السيء سيحدث بيني وبندر ،فوجدت الاسوأ يحدث في مكان خارج علاقتنا وداخل منزلنا.. تعرض والد بندر لأزمة قلبية مات على اثرها واجتاحت موجة حزن فظيعة كل من في المنزل ..لطالما كان والدًا آخر بالنسبة لي ..كان كلما رآني تحدث معي وسألني عن حالي ..كان يحبني حقًا وينادني ب (ابنتي) .. ورغم حزني الا اني شعرت ان بندر قد يدخل في حالة اكتئاب ان لم يتداركه أحد.. لقد كان والده سنده الحقيقي في كل شيء ، صحيح انه كان يقسو عليه احيانًا ولكنه كان يحبه حقًا .. كان بندر يخاف الموت كثيرًا ،عندما اخبره عما اراه احيانًا وانا اتجول في المستشفى كان يحاول اغلاق الحديث بأي وسيلة ..ومعه حق ..من منا لا يخاف ان ينام ويستيقظ على خبر وفاة من يحب، أيًا كان صديق أو أب أو أخ ..ومن منا لا يخاف ان ينام ولا يستيقظ أبدًا.. ولكن ..هذه هي الحياة ..في ذات اللحظة التي يموت فيها العشرات يولد المئات ..لسنا من نقرر .. الموت قدر نسير فيه ولا نختار ..كانت المستشفى مليئة عن آخرها بمعارفنا ،هناك من يبكي وهناك من لم يستوعب الامر بعد.. باستثناء خالتي هدى التي كانت تبكي ولكن بوقار، كانت مؤمنة جدًا بالقضاء والقدر ،وهذا ما كان يزيد احترامي لها اكثر .. ما الذي بيدنا ان نفعله اكثر من تقبل حقيقة فقد من نحب ..انها الاقدار وليس علينا سوى التسليم ،وفي النهاية الموت حق على كل مخلوق كما الحياة.. منذ اللحظة الاولى التي نطلق فيها اولى انفاسنا ونكبر، نتعلم شيئا فشيئا اننا سنودع هذه الحياة يوما ما ،واننا يجب ان نفهم ذلك ونتجهز له ايضا.. وما العمر الا رقم ،ولا

يفرق الموت بين صبي او كهل ولا يرحمنا اذا ما رآنا متمسكين بالحياة ،لذلك فإن الاستعداد هو كل ما نملك ..

. . .

كان قد مضى على الدفن ثلاثة ايام، امتلأ فيها البيت عن آخره بأشخاص كانوا معنا في الافراح وقرروا ان يشاركونا الاحزان ايضًا..

..لم يأكل بندر منذ ثلاثة ايام تقريبًا، ورغم كل الحزن جازفت بتحضير الطعام والصعود للغرفة .. طرقت الباب كثيرًا ولم يجب، فقررت الدخول .. "احضرت لك بعض الطعام ،لقد اعددته بنفسي من اجلك .." قلت بطريقة مرحة قليلا .. فوجدته يصدني " لا اريد ان اي طعام اخرجي رجاءً .."

-ولكنك لم تأكل منذ مدة ..لا ينبغي ان تفعل ذلك بنفسك ..

-قلت لك اخرجي ولا اريد اي شيء .. كان الغضب يلمع من بين كلماته ،ولكنني آثرت البقاء .. في النهاية ما اسوأ ما قد يحدث؟!! .. حاولت ان اكون حنونة اكثر وانا اقترب منه " صدقني أنا افهمك.. وأعلم ان ما حدث لم يكن سهلا، ولكن.. لا دخل لك بالأمر ،ما حدث لم يكن ذنبك انت فلماذا تعاقب نفسك ..!! صرخ بغضب "قلت لك أخرجي "ورغم ان صرخته القوية تلك كانت كفيلة بإخراجي الا انه دفعني بشدة فسقط كل ما كان بيدي.. فصرخت بدوري ..كانت صرخة خوف وألم ،فقد دخلت بعض شظايا الزجاج الى قدمي وبدأت تنزف .. امسكت بقدمي وجلست على الأرض وأنا احاول اخراج قطعتا الزجاج بالداخل .. ومع انشغالي بألمي وجدت خالتي هدى تصعد لأعلى وهي تسأل "ما الذي يحدث !!" ..سمعت صوتها فمسحت دمعتي التي نزلت رغما عني، وجدتها امام الباب تنظر الى قدمي النازفة وهي تسأل بلهجة حنونة " ترف يما وش صار لك " .. لم ارد ان اجهدها اكثر ،فرسمت الابتسامة على وجهي وأنا اخبرها " لا شيء ، لقد سقطت الاواني من يدي بالخطأ، وجرحت قدمي.. حاولت الا اثير قلقها فأكملت بمرح .. آمل فقط الا يزعجك الامر فقد كانت الصحون من طقم السفرة الذي تحبينه"..

- وش تقولين حبيبتي ، يفداك الف طقم ..نظرت الى بندر ..بندر يما وديها المستشفى ،وش تنتظر .."..

- لا داعي لذلك، لدي حقيبة الاسعافات ،ثواني وسأصبح بخير ..

- طيب ،سلامتك يا بنتي ..

راقبتها وهي تغلق الباب والتفت لأجد بندر ينظر الي بأسى، اعلم بأنه لم يكن يريد ان يحدث هذا ،نظرات الاعتذار في عيناه تحكي ذلك، أعلم انه يمر بوقت عصيب ،ولكن ..لم يخرجه الحنان الذي عاملته به من شروده منذ ايام ،سأجعله الآن يشعر بالذنب ..

كنت أحاول بعناء أن اسكت ألمي وأُخرج قطعة الزجاج ،فوجدته يجلس بجانبي ويحاول مساعدتي وهو يقول ..

- رجلك تنزف بقوة ..خليني اساعدك ..

- انت ما تستحي ..وخر عني وبس ،اقدر أساعد نفسي ..

نظر الي بتوسل - بطلي عناد رجاءً وخليني اساعدك ،اللي فيني مكفيني ..لم استطع ان اقاوم أمام رجائه وتركته يخرج قطعة الزجاج من قدمي وأنا مغمضة عيناي بقوة وممسكة بيده بقوة أكبر.. لم أكن أدرك انه قد انتهى الا عندما سمعته يضحك ويمسك بيدي وهو يقول "قطعتي يدي.. خلصنا.. " .. فتحت عيناي وانا انظر الى قدمي " من جد ؟!! ما حسيت " .. ضحك وهو يعلق "خوافة!!" كانت قدمي تنزف بعد اخراجه للزجاج فكان لا بد من وضع الشاش حولها ..وقف وهو يهم بحملي ..نظرت اليه ،مشدوهة، مستغربة ،مفتونة، ومسحورة ..التقت عيناي بعيناه فوددت لو يتوقف الزمن اكثر ..كيف لم الاحظ من قبل الرمادي المخالط للون البني في عينيه.. ان لونهما غريب حقًا ،كنت اعلم ان له جدة تركية الاصول، لذلك فإن شكله مزيج بين البني والاسود ،ولكن لم اكن اعلم ان الرمادي الفاتح يسكنه ايضا ..كانت لحظة شاعرية اعجز عن وصفها، ولكنني لا استطيع انكار انها كانت رومانسية للغاية ، احضر المطهر وبدأ ينظف الجرح ،لف الشاش حوله ، و.. فرقع بإصبعه ليخرجني من شرودي .. "

وين رحتِ ..خلصت " ..لم ازد عن الايماء برأسي فوجدته يحتج "ما في حتى كلمة شكرًا "!!..

- ايه صح نسيت اشكرك ..اقول اطلع بره ..كانت لهجتي مرحة بعض الشيء ولم استطع اخفاء الابتسامة التي اعتبرها اشارة خضراء ليكمل احتجاجه ..

- وات ...!! تمزحي صح.. من جد ما في شكرًا ..!

-انت صاحي .. لا مو من جدك ..انت السبب في اللي صار ..

ضحك وهو يقول - اوكي ادري ..وانا بجد آسف وادري انك راح تسامحيني .. ادري ان قلبك طيب ..اعرفك ..

-لا تكون واثق جدًا..

-مو مشكلة عندي ..اثق ان قلبك ما في ابيض منه..

-اوكي اوكي ..حزنتني ..اعتقد اني بسامحك ،بس مو عشانك، عشاني انا، لأني ما احب اخلي بقلبي على احد .. لمعت عيناه بطريقة حزينة ووجدته يخفي نظراته عني ..كان يهم بالنهوض عندما استوقفته حركتي ..فتحت يداي وأنا انظر اليه "ممكن ؟!!" استنكرت عيناه تصرفي ولكنه اختبأ سريعًا داخل حضني كطفل صغير تدعوه امه لتعانقه بعد ان أصفحت عنه ..كان بريئًا جدا وفيه ..الكثير من الألم ..ربت على رأسه بحنان بالغ رغم شهقات قلبي المستمرة.. بغض النظر عن كل الصراع الشعوري الذي بيني وبين بندر الا انني كنت احبه بحق ..احبه كانسان حقيقي وقف بجانبي دومًا ولم يتخلى عني قط ..اراه شخصًا بريئًا رغم نظراته الخبيثة احيانًا ومظهره المثير ،الا انه كالطفل .. لقد كان مختلفًا جدًا ..كنت احاول ان أغدق عليه بكل الحنان الموجود بداخلي.. واسيته بكلمات كثيرة.. وغنيت له ايضا ..ضحك حينها وهو يقول "واو ..مواهب متعددة ..تصدقي احس كأنه Arabs Got Talent بكبره جالس قدامي .. ضحكت على تعليقه "تافه ..اقول قوم ..قوم بسرعة ..خلاص ما راح اغني"

-اوكي ،اوكي ..ما راح اعلق ..ترى كنت اقصد ان صوتك حلو..

ضحكت و أكلمت غنائي عندما استوقفتني نظرته الي بعد ان رفع رأسه

" ترف.. لو حابة ، ممكن نعيد النظر في موضوع علاقتنا **!!"**

هل يمكن للكلمات أن تحدث انفجارات**!!**.. حسنا.. هذا ما فعلته بي كلماته تلك..

(بداية جديدة)

« أحيانًا لا تكون البداية الجيدة في اول فصل من القصة، بل في وسط القصة او آخرها ،أو حتى وليدة الأزمات المتكررة »

لم اعد استطيع انكار مشاعري تجاه بندر حتى بيني وبين نفسي.. لذلك ازددت اقتناعًا بضرورة اخبار عمر بحقيقة زواجي.. كانت احاسيسي تعصف بشدة مع كل كلمة تخرج من فمي، ولكنني قاومت.. أحب بندر نعم ..ولكنني لا اجد ان لي مستقبل معه ..اعتقد انه قال ذلك بعد ان وجد في حضني الدفء الذي أراد، ولكنه يحب لميس.. لقد اعترف لي بذلك اول مرة ،وهذا ما لا استطيع نسيانه.. أدرك انه لا يجتمع امرأتان في قلب رجل، لذلك تركتها له وتركتني لقدري مع عمر ..

..تفهم عمر كل ما قلته ..طلب بعض الوقت فأعطيته ..عاد الي بصك الموافقة القلبية منه ،وازدادت معرفتنا ببعض اكثر ..تكررت لقاءاتنا واصبحت اكن له المشاعر ..هو رجل جيد ،فيه مسحة من الجمال، مرح ،ويعرف جيدا كيف ينتشل الحزن من روحي ..غضضت النظر عما قاله بندر وعدنا اصدقاء بعد تلك الليلة تمامًا كما كنا ..ولكننا لم نجرأ على مشاركة شعورنا او البوح بأحاسيسنا لبعضنا مرة أخرى.. او وحدي وجدت السكوت افضل ..

ذات مساء كان الجو جميلا جدًا ،مسحة الغروب في عمق السماء كان قاتلا ..جلست الى طاولتي في الشرفة، بدأت اكتب مذكراتي كما كنت منذ فترة طويلة ،ولكنه أتى ليفسد علي الأمر .. تحايل علي كي نخرج لتناول العشاء في مطعم فاخر كان قد حجز فيه مسبقًا فلم استطع الرفض.. كان المطعم ساحرًا للغاية اكثر مما ظننت ،واستطعت ان اتفهم لم يحتاج المرء لحجز مسبق ،فمكان كهذا يتسابق لأجله جميع العشاق بالطبع ،باستثنائي انا وبندر فقد كانت جلستنا اقرب لجمعة شباب ،تحدثنا في كل شيء تقريبا ، عملي ،عمله ،اصدقاؤنا ، لميس التي لم تعد كما كانت سابقًا ،وتعليقاتي الساخرة بأنه هو الممل فحسب ..كانت الاضواء تشكل اختلافًا عميقًا في نفسية جميع من يرتاد المطعم والموسيقى الصادرة من

اغنية Don't let me Down كانت تجعلك تنفصل عن الواقع.. تمنيت لو اننا نحضر انا وعمر الى هذا المكان يومًا ..ترى كيف سيكون اللقاء!! بندر يجاري الموسيقى بكلمات الاغنية التي يحفظها وانا احاول الا اضحك ومع ذلك اضحك ..يقطع ضحكي صوت رنين هاتفي.. ابحث عنه.. إنه في الحقيبة ..اخرجه واجدها امي ..اتحدث معها وانا اجول بنظراتي في المطعم ، اخبرها انني بخير ..ثم .. ارى ما لا تتمكن عيناني من تصديقه .. يا لهول اللحظة ...ارمي هاتفي واحاول تمالك اعصابي ففضيحة في مكان كهذا لا تغتفر ..

انه عمر ..نعم ...لقد كان هو ...!! ولكن من تلك الشقراء معه.. انها ليست حتى زميلة في العمل ..كان ينظر اليها بذات النظرات التي اعتقدتها ملكًا لي وحدي ،ولكن للأسف اتضح لي انه يعاملني ككل الفتيات في حياته ..ذهبت الى طاولتهم رغم استنكار بندر لما افعل وسؤاله لي عما حدث .. اردت ان اجعله عبرة للخائنين امثاله ،ولكن ..أمر ما منعني من الحديث .فوزعت نظراتي عليهما وثبتها عليه ..كانت نظرات ازدراء اكثر منها نظرات انكسار، كانت نظرتي كفيلة بقول الف كلمة لم اقلها ،واهمها انني لن اكون معه بعد ذلك ولو حتى في حلمه ..

ادرت ظهري له وانا اسير والدموع تحاول الهطول من عيناي، ولكن عبثًا ..لم اكن لأُري خصمي انني منكسرة ..يا الهي ..هل قلت خصمي؟!! غريبة هي الحياة كيف أن الروابط تنكسر في لحظة ومسمى العلاقات والاشخاص كذلك ، قد نتحول في لحظة من احباء الى غرباء حين يشوهنا من نحب ...

كان ذلك آخر عهدي برجل وثقت به وظننت انه يستحق الحب ..كان ذلك آخر عهدي بعمر ..

وبداية تفكيري بالمضي قدمًا في علاقتي مع بندر حين أخبرني انه قد ترك لميس بجدية بعد ان وجد انه ليس الاول في قائمتها المحتوية على عشرات الشبان.. فتاة ثرية ،جميلة ،وليس لديها اهل تقلق من اجلهم .. كنت قد حاولت ان اجعل بندر يعدل عن قراره ولكنه لم يوافق ابدًا ..وهنا بدأنا

نظهر مشاعرنا لبعضنا وبت مستعدة لتقبل دخوله لقلبي ..كنا متشابهان ،منكسران ،بقلوب جريحة وارواح لم تتعافى بعد ،وكان لزامًا ان نداوي بعضنا كوننا نعلم جيدًا ما يشعر به كل واحد منا.. جمعتنا الاقدار بدايةً وها هي تجمعنا مرة أخرى ..انه القدر ولم اكن لأرفض كلمته بعد كل شيء..

*بعد مرور عدة أيام ..

..بالرغم من كل ذلك، وأن هذه هي مشيئة القدر، الا ان لميس لم تكن لترضى بأن تفقد حبيبها بتلك السهولة، حاولت عدة مرات معه ولكنه لم يعد اليها وهكذا اعلنت العداء لي واصحبت تُكن لي الكره وهذا ما لم اكن افضله ،في البداية حاولت ان اشرح لها ما يحدث وانني لا دخل لي في الامر ولكنها ارادت ان تعلق خيبتها تلك على اي شخص ولم تجد سواي.. لم تكن تدرك ان تصرفاتها هي السبب.. بالفعل قد يعمي الغرور ابصارنا ،فلا نعود ندرك اننا بشر.. وان الخطأ فينا طبيعة ،سواء اردنا ام لم نرد.. لم تكن تدرك ان عليها ان تحسن سلوكها ،ولم تدرك ان بعض الرجال لا تغريهم اموالها وان كثرت .. اخبرها بندر انها كانت نزوة في حياته ،وان طالت جدًا، الا انه لم تكف عن تهديدي حتى امتلأت ووجدتني اقابل رسائلها التافهة بالحظر واللامبالاة ..

تأخر بندر في العمل كثيرًا ..الساعة الحادية عشر والنصف ولم يأت بعد ، ووجب أن انام فلدي عمل في الغد ..حاولت الاتصال به ..

- بندر ..أين أنت لماذا لا ترد على اتصالاتي؟!

-أوه ..اعتذر انني منشغل للغاية ولكنني اشتقت اليك كثيرًا..

- حقًا !! اشتقت الي ولم تأت للمنزل بعد ..

- ليس الأمر بيدي ،لدي الكير من العمل وعلي ان انهيه ،انها قضية جديدة وعلي العمل عليها ،اعتقد انني لن اعود للمنزل هذه الليلة..

-هل تمزح ..!!هذا يعني انني سأبقى وحيدة الليلة ايضًا ..

- لا بأس ،اصبري قليلا سأحاول الا اتأخر ..تصبحين على خير..

- انتبه لنفسك ..

كان عمله كضابط يبقيه ساعات طويلة خارج المنزل ومع ذلك لم اكن اعترض، فرغم كل شيء كنا على تواصل دائم مع بعضنا، رغم ان علاقتنا لم تتغير كثيرًا الا انها باتت افضل ..

(كارثة)

شعرت بصداع غريب ولم اقوى على النوم بسببه.. حاولت كثيرًا ولكن لم استطع لذلك طلبت من لارا ان تحضر لي كأس من الماء ودواء لتخفيف الصداع ..بلعت الدواء وانتظرت قليلا ،شعرت بأن الصداع يتلاشى شيئًا فشيئًا ومعه لم اعد ارى ما حولي جيدًا ..اعتقد بأني بدأت اتوه في ظلمات النوم المتداخلة و..... لم أعد اشعر بشيء مطلقًا ..

. . .

ونامت ترف ولم تعد تشعر بأي شيء ..او ...لربما لم تنم طوعًا ،او ان هذا ما سيتبين لها لاحقًا .. كانت المؤامرات التي حيكت لأجلها قد باتت قيد التنفيذ .. مؤامرة قادرة على ادخالها في متاهات عاطفية كبيرة جدًا ..

في الوقت الذي كانت هي فيه غارقة في نومها كانت غرفتها ترتب بطريقة غرامية ..قميص رجالي ملقى على سريرها ،والكارثة انه ليس قميص بندر ،بل قميص لا يمت له او لها بصلة ..شموع بسيطة في الارجاء ،وبالطبع لن ينسى شخص ذكي يدبر كل هذه المكيدة ان يجعلها ترتدي قميص نوم فاخر يليق بأمسية متخيلة ..

في نفس الوقت وفي مكان آخر كان هاتف بندر يرن بلا توقف.. والمتصل شخص مجهول ..حاول ان يتجاهل ولا يرد ولكن مرة ومرة اخرى باتت الاتصالات تزعجه اكثر ولم يعد قادرًا على التركيز ..

- مرحبًا ..من معي ..؟!!

-مضى وقت طويل لم نتحدث خلاله ..هل حاولت ان تعد الايام التي مضت دوني ،ام انك تركت لي مهمة عد الساعات والدقائق..

-هذه أنتِ ؟!! أخبرتك الا تتصلي بي مجددًا ..اخبرتك انني لا اريد ان اعرفك .. كان يصرخ فيها وهو يهم بغلق المكالمة ..

- لو ان الامر بيدي لم اكن لاتصل ،ولكنه متعلق بأميرتك..

سكتت ولم تعد للتحدث ،الا انه وجدته هو من يسأل .." ماذا هناك.. ما الذي حدث لترف ؟!!"

- واو.. يبدو لي انك مهتم جدًا بها ..عمومًا اعتقد بأنك ما زلت في العمل ..اوه ..يا حرام ..انت تقضي الليل في العمل وهي تقضيه في ....

-في ماذا ..ما الذي تقولينه ايتها التافهة ..أتعلمين ..كان خطأي من البداية ان تحدثت مع واحدة مثلك ..

-لا لا لا ..دقيقة واحدة فقط.. لست امرأة سيئة بالطبع ولكني اريد الافضل لك... أو ليست هي من كانت على علاقة بشخص من قبل .. اوه ..ماذا كان اسمه ...!!

-اغلقي فمك ولا تتحدثي عنها مجددًا ..انا المخطئ منذ البداية .. كان غضبه قد تسرب الى جسده كافة بحيث انه اغلق الهاتف بيد مرتعشة .. ما الذي تقوله تلك الفاسقة .. انها ترمي الجميع بكلامها الذي لا تهتم بأن كان يليق او لا ... قرر ان يطرد كل ما قالته من عقله ويركز ولكنه لم يستطع ،فوجد نفسه يمسك هاتفه رغمًا عنه ويبحث عن اسمها في هاتفه الملغم بالأسماء ..نقر على صورة الهاتف ليتصل عليها ..وضع السماعة على اذنه خائفًا يترقب صوتها الذي سيبدد ذلك الغمام الواقف فوق رأسه، ولكنه ازداد خوفًا وازدادت يداه رجفة عندما وجدها لا ترد ..اتصال فآخر ..كانت تنتهي المكالمة دون ان يصله صوتها ..هنا لم يعد يستطع الصمود اكثر ..ترك مكتبه كما هو وملفاته وكل ما كان يعمل عليه وانطلق نحو ما لم يكن يعلم انه سيغير حياته..

كانت الساعة الثانية ليلا، اي انه قد مضت ثلاث ساعات بالضبط منذ ان اخذت ترف دواء الصداع والذي لم يكن كذلك، وهذا يعني انها قد تستفيق في اية لحظة .. صعُب على بندر تكذيب ما رآه فقد كان كل شيء مرتب بحيث لا يترك مجالا للشك ..نظر مطولا الى ترف وهي نائمة، الحالة الفوضوية للغرفة وكأنها لم يكن فيها شخص واحد فقط ، توقفت نظراته مطولا أمام ذلك القميص الغريب ،أخذه ونظر اليه عن كثب ..لم يكن

قميصه ..ثم ..كانت المصيبة عندما وجد ورقة على الطاولة بجانب الباب .." لقد كانت ليلة رائعة بحق.. آمل ان تتكرر كثيرًا ..أحبك " ..

لم يستطع تمالك اعصابه وصرخ فيها بأعلى صوته " تررررف ؟!!" كانت صرخته تلك مزيج من الألم والغضب الا انها لم تكن كافية لكي توقظها تمامًا.. نظرت اليه ولكن دون ان تعلم انه هو ..كانت رؤيتها ضبابية تمامًا.. تراه طيف انسان يجوب الغرفة بجنون ولكنها لا تدرك من هو او ماذا يريد ..فركت عيناها وصداع رهيب يلتهم رأسها ..رأته هذه المرة ،ولكنها لم تكن متوازنة ..كان الخوف على وجهه اكبر من ان يقاس، سألته قبل كل شيء وقبل ان تستفيق كليًا .." ماذا هناك ..؟!" لكنها وجدته يثبت نظراته الحاقدة عليها ويدفعها من امامه ثم يمضي ...

كان ارتطام رأسها بالجدار كفيل بأن يجعلها تفتح عيناها بوضوح وتدرك ان هناك خلل ما قد حدث ..نظرت الى الغرفة ، لم تكن هكذا قبل ان تنام ..نظرت الى ما ترتديه وصعقت تمامًا.. تتذكر انها قد نامت ببيجامتها الزرقاء المخططة ،فكيف اصبحت الآن ترتدي قميص النوم الفاضح هذا ..ثم ..هناك شيء غريب ..حيث انها لا تتذكر اي شيء مما حدث قبل ان تنام ..تتذكر انها كانت في انتظار بندر ولكن.. متى نامت او كيف ،هذا ما لا تسترجعه ذاكرتها ..خطر على بالها بندر ..ما الذي كان يقوله.. يا إلهي لقد خرج وهو غاضب.. كيف تركته يذهب هكذا ..كان يبدو انه منزعج .. كيف له ان يقود السيارة بتلك الحالة.. امسكت بهاتفها واتصلت عليه ومازال ألم رأسها الرهيب ينهكها ..حاولت مرة اخرى فلم يرد ..استمرت بالاتصال وبعد المرة الخامسة وجدت هاتفه مغلق ..لم يكن شيئًا مما يحدث مفهومًا بالنسبة لها ..حاولت ترتيب القطع في عقلها ودمج الاحداث لكي تصبح مفهومة الا انها لم تستطع وهكذا بقيت تفكر وتفكر الى ان وجدت بندر يتصل بعد ساعتان من آخر اتصال لها به

-بندر ..اين انت ..لماذا لا ترد على اتصالاتي ..ما الذي حدث ..

كانت تمطره بوابل من الأسئلة عندما توقفت اذناها امام موجات صوت لم تكن لبندر بل لشخص آخر ..

- اعتذر عن المقاطعة ..ولكن ..هل حضرتك زوجة الاستاذ بندر ..؟!
ردت بصوت مختنق - ننن.... نعم !! من انت ..ماذا هناك ..

- للأسف فقد تعرض صاحب هذا الهاتف لحادث منذ لحظات ونقلناه الى ..... ماذا قال ..؟!!! هل سمع احد غيري ما تلفظ به هذا المجنون ام انني وحدي التي اصبح سمعي ضعيفًا ...هل توقف هو عن الحديث ام انني وحدي التي لا اسمعه .. رمت الهاتف ..وازداد ذلك الصداع بطريقة فظيعة ..امسكت برأسها خشية ان تقع وهي تسمع احدهم يناديها ..عفوًا ..مدام ..أما زلتِ معي على الخط..؟!! رفعت الهاتف رغمًا عنها وهي تحاول التأكد مما سمعته .. "نعم.. هنا ..ما الذي كنت تقوله ..؟!!

-كنت اقول ان اردتم عنوان المستشفى الذي نقل اليه ...

-اوه بالطبع ..بالطبع ..ما هو ..!!

اعطاها عنوان المستشفى ..استجمعت قواها بمعجزة ..كبتت الدموع بفظاعة وهي تدرك انها مقدمة على امر يحتاج منها كل قوة تدخرها في جسدها ..ماذا لو انها ذهبت لهناك ولم يكن الامر للاطمئنان عليه.. ماذا لو كان الامر للتعرف على جثته ..!!كانت الافكار الشيطانية تلك تدور في رأسها ولم تكن قادرة على صدها ...نزلت الدرج بسرعة وقابلت خطواتها لحظة خروج خالة هدى من غرفتها ..كان اذان الفجر قد بدأ منذ عشر دقائق ..حاولت ان تسير بسرعة لكيلا تراها وهذا ما حدث ..

لم يأخذ الامر دقائق او ساعات كما يجب ،بل استغرقت دهوراً طويلة الى ان وصلت الى عنوان المستشفى الذي تلقته ..نزلت كالمجنونة ..سألت عن الشخص في الحادث قبل قليل فأخبروها انه في غرفة العناية المركزة ..واصلت كبت ضعفها وصمدت حتى وصلت الى هناك ..انتظرت فترة ،الى ان خرج احد الأطباء من الغرفة ..سألت بصوت مرتجف .. "كيف حاله يا دكتور " سألها ..

-هل حضرتك قريبته ..؟!!

-في الواقع انا زوجته ..؟!! رق لحالها ،ونظر اليها بطريقة متعاطفة، ولكنه عاد لتحدثه بطريقة هادئة .. "للأسف ..لقد دخل في غيبوبة".. كانت تحاول الصمود منذ وقت طويل ..حاولت ان تبقى هادئة والا تنهار ،الا انها لم تقف جامدة امام ذلك الخبر وسقطت فاقدة لوعيها..

. . .

(متاهات)

« بعض الاختبارات التي نمر بها في حياتنا احيانا تكون اصعب من حياتنا نفسها »

لقد مضى يومان الى الآن منذ دخول بندر في غيبوبة ،لا اعرف اواسي من بالضبط ..نفسي ،او والدته ،او اخواته ، او فرح التي تشعر بالعجز بين دراستها وبين العودة للاطمئنان عليه ..لم يتغير شيء ابدًا ..طقوس البكاء هي اول ما يبدأ به اليوم وآخر ما ينتهي به ..لم اجد الوقت الكافي لأفهم ما حدث ،ولكني لا اكف عن لوم نفسي عما حدث ..اشعر ان كل شيء كان بسببي ..لدي عدد من الافكار في رأسي قد تكون صحيحة بخصوص ما كان بندر يقوله ولكني عاجزة عن دراستها ..فكرت ان ما حدث قد يكون من تجهيز احدهم ..لا انسى منظر الغرفة ، او شكلي ،او شكله وهو يصرخ باسمي .. الهاجس الذي احاول ابعاده من رأسي هو انه قد يكون يظن انني خائنة وهذا هو اسوأ ما قد يحدث .. حاولت ان ابعد كل هذا من افكاري واركز على ما هو آتي ..لم يعد البكاء مجديًا ولن يغير من الأمر شيء.. حان الوقت كي استعين بترف التي خبأتها بداخلي منذ فترة ..ترف القوية التي لا تهاب شيئًا .. كانت الصعوبات تواجهني من كل جانب ..صعوبات نفسية ،وعملية ولكني حاولت صدها ..تحدثت مع ادارة المستشفى بخصوص نقله للمكان الذي اعمل به وحدث ذلك .. حدثت مديري بخصوصه وتعاطف معي جدًا ،بل واعطاني الحق في اختيار الاطباء المشرفين على حالته ..كنت اتابع وعدد من الاطباء المميزين حالته... كنت اطمئن عليه كلما استطعت ،ولكنه كان رفيق ليلي بالكامل ..لم اكن اعد الى البيت الا لتغيير ملابسي .. في الصباح اكون في المختبر من اجل عملي وحين انتهي في الساعة الرابعة عصرًا كنت ابقى معه ..اقرأ التقارير بخصوصه واساعد الممرضات في اداء بعض التمارين لجسده كيلا تضمر عضلاته.. حينها تعود خالتي هدى للمنزل فهي لم تعد تحتمل التعب ..وابقى انا معه ..كنت اقرأ له قرآن ، اشتري كتب اجاثا كريستي واقرأها له تمامًا كما كان يحب .. وفي الليل انام بجانبه

وانا احكي له عما حدث في يومي ..تركت كل شيء.. صديقاتي، اهلي ،اهتمامي بنفسي ،النادي ،وبقيت معه هو ، كرست يومي كله له فقط ..ولكن ..لم يحدث اي فرق وهنا يئست جدًا ..

*بعد ثلاثة شهور ..

روتين ممل ..ولا شيء جديد ..جميع الاطباء يدركون انه لن يستيقظ ،او هذا ما يقولونه ..كرهت نفسي ،وعملي ،وأملي ،وكرهت تحفيزي المستمر لنفسي ..اصبحت انطوائية بالمعنى الحرفي للكلمة.. اكتأبت جدًا لدرجة انني لم استطع التملص من زيارة طبيب نفسي ..كنت بحاجة لمن يضحك علي ويخبرني انه سيستيقظ ..كنت بحاجة لان يكذبوا علي ..نعم يكذبوا علي ،لكي استعيد املي فحسب ..كانت طبيبتي مؤمنة ان هناك خير فيما يحدث ،وارادت مني ان اؤمن بذلك ..كنت مؤمنة بذلك قبل ثلاثة اشهر ولكن الوضع ما زال يصبح اسوأ في كل يوم واخاف ان اموت بأملي ذاك ..حاولت ان تجعلني اتحدث كثيرًا ولكنني لم اكن افعل ..سألتني عن هواياتي فأخبرتها انني كنت اكتب ..حاولت ان تخرجني من حالتي تلك ..فقالت لي.. "ما رأيك ان تكتبي رسائل لشخص مجهول ..هناك عدد من الجروبات في وسائل التواصل هدفها تخفيف وجع الاشخاص بجعلهم يتحدثون عن ألمهم امام اشخاص لا يعرفونهم .. ما رأيك " .. هل كان لي رأي !! كنت بحاجة ان اخرج من عزلتي تلك بأي طريقة ،وان اعود لأخرج كل ما بداخلي هذا ما قد يغير نفسيتي ويساعدني لكي اساعد بندر .. انهيت موعدي وعدت للمستشفى للبقاء مع بندر .. اردت ان ادخل ولكني سمعت احدهم يتحدث في الداخل وبطريقة لاإرادية وجدتني اقف لاستمع لما يقول ..

- ما الذي فعلته بنفسك حبيبي ..ليس هذا ما كنت اريده بالطبع.. كانت الخطة كلها ان تترك تلك الغبية لتعود الي ..ولكنك تركتنا نحن الاثنتان وبقيت وحدك ..كان صوتها مألوفًا لدي .. انها لميس ..نعم لميس .. حاولت ان اوقف تدفق افكاري حين وجدتها تكمل ... ولكن ..اتعلم ..لم

يكن خطئي وحدي ..لقد كان خطؤك ايضا ..نعم خطؤك انت .. كانت تضحك كالمجنونة ثم تبكي ..يا الهي ما الذي حدث لها .. انت من تركني انا وذهب اليها هي.. كيف استطعت ان تترك فتاة مثلي لأجلها.. لقد اغرقتك بالهدايا وكنت مستعدة لإعطائك كل مالي.. ولكن.. ما الذي فعلته انت.. نعتني بالخائنة ،ورحلت .. اخذت تضحك بصوت عالي وهي تقول ..ولكن ..كنت اود ان اراك مرة واحدة ،مرة واحدة فقط كي اسألك .. ما هو شعورك عندما تراها هي ايضًا تخونك ... !!

.. ابتعدت عن الباب وانا اضع يداي على اذني.. لا اريد ان اسمع اكثر من ذلك ..لا اريد ..ما هذا... ما الذي سمعته للتو .. لم اكن بحاجة لأكثر من ذلك لكي تتأكد هواجسي التي لم تفارقني منذ لحظة رؤيتي له في ذلك اليوم ..

(رسائلي لغريب)

كنت سأجن ان لم استمع لكلام طبيبتي وابدأ في كتابة آلامي لمجهول ..وهكذا وجدته ..يكتب الي ..يسأل عن حالي .. ويقرأ كل رسائلي ليرد علي بأنها ستمضي ..

(1)

.. لكل كاتب منظر معين يتأمله جيدا قبل الشروع في عملية الكتابة ..منظر بحر أو نهر ..منظر لشروق أو لغروب .. يسكن البعض "بيت شجرة " ليكتب ،بينما الآخر يجرد غرفته من كل الأثاث سوى من كرسي وطاولة كيلا يشغل تفكيره عن "كلماته" أي شيء .. وحدي لا أهيئ منظرًا ولا أستحضر ذكرى ..ذلك أن حياتي حبكة أعمق من مناظرهم ..أشرع الكتابة في أي مكان فمنظري أحمله بداخلي .. أمسك قلمي .. آاه ..قلمي الذي لم أعد اثق بأي كائن سواه .. قلمي الذي يعرفني جيدا أكثر من ملايين البشر حولي ..قلمي الذي شهدني قوية وضعيفة .. أسيرة وكسيرة .. شهد حقيقتي ثم رآني أكذب وازيف الواقع ..وحده يعرف وجهي الحقيقي فقد رآني متجردة من كل أقنعتي ..

.. أقنعتي ..!! نعم أقنعتي .. فنحن في زمن أصبح فيه من الغباء أن تمشي بقناع واحد .. قناعٌ للفرح المزيف وآخر للحزن الكاذب .. قناعٌ للمناسبات العائلية وآخر للجلسات الاجتماعية .. قناعٌ لأكتوبر وآخر لنوفمبر .. هناك قناع لكل شهر ولكل مناسبة ..وحدها الكتابة تجردني من كل أقنعتي .. وحدها الورقة لا تقبل الخداع ..انها الأنثى الوحيدة الفاضلة التي عرفتها فهي لا تغير قناعاتها ومبادئها أبدًا .. لا تبيع نفسها ولا تغوي سوى ذكرٍ واحد ..ذلك القلم الذي سيفرغ حبره عليها .. ووحده القلم أوفى ذكر على وجه الأرض ..لا يهوى تغيير الأيدي والتنقل بين لمسات الأصابع ..يحمل أنبوبة واحدة لشخص واحد .. جميلة هي العلاقة بين الورقة والقلم .. نادرة جدًا ولا تكاد تشبه أي علاقة أخرى ..

(2)

..عندما ينام الجميع .. تبدأ فوضى مشاعري ..

أبعثر الرسائل حولي ..انظر لبعضها .. احتضن بعضها ..بينما أمطر بعضها بدمع عيني علّني ان سقيتها يتبدل كل ذلك الجفاف الذي بات بيني وبين أصحابها .. أناسٌ احتكرتنا معهم الظروف في بيتٍ واحد ،وأجلستنا تحت سقفٍ واحد ،وأطعمتنا من إناءٍ واحد ..بينما لم تتمكن أبدا من ان تجعل قلوبنا قريبة كقلبٍ واحد .. وآخرون في شرق الكرة الأرضية وضعتهم الظروف ،بينما رمتنا نحن في أقصى شمالها .. تقلبت أنماط حياتهم فكان ليلهم هو نهارنا ..ونهارهم هو ليلنا ..ومع ذلك لم تبتعد القلوب عن بعضها ولا مسافة شبر واحد ..وكانوا يتألمون لألمنا ويضحكون لأجلنا ويشاركوننا كل لحظة مهمة من حياتنا .. ذلك أن الحياة علمتني ان هناك أصدقاء دروب وهناك أصدقاء قلوب ..الأولون ينسوننا بمجرد اختلاف الأماكن بينما الآخرون تربطهم بنا قوة هي أكبر من أي مسافة ..

أشتاق لأشخاص كثيرون أناروا حياتي وأسعدوني حقًا ثم ذهبوا ..أعلم أن الفراق حتمي وأن الدنيا لا تدوم أبدا ..ولكنني أشتاق ..أشتاق لنوع نادر من البشر انقرض منذ مدة .. اشتاق للأشخاص الحقيقيين وللعلاقات الصادقة في وقتٍ كثر فيه من حولي العابرون ..

اشتاق لهم ..ولي أيضًا ..

ذلك أنني فقدت مع كل وداع جزءًا صغيرًا مني وبعد عدة سنوات اكتشفت أن ذلك قد أثر عليّ حتى اصبحت متهشمة ..

(3)

أفتش بجنون عن قلمٍ أروي بحبره ظمأ كلماتي ..

كمن يبحث عن أمر أدمنه ،أبحث هكذا هنا وهناك لأجده بعد تعب مختبئًا في جيب حقيبتي الخلفي ...

بالمناسبة " لا يجب أن تثق بكاتبة لا تبالي بالاستغناء عن قلمها في الأسبوع عشر مرات على أقل تقدير .."

حسنًا اذًا .. كنت أريد أن املأ فراغ وحدتي بالكتابة اليك .. لقد كنت اقرأ للتو رواية أخرى لأحلام ..انها الرواية الثالثة التي اقرأها لتلك الكاتبة في هذا الشهر ..شهيتي تزداد لأسلوبها كتابًا بعد آخر ولا أدري ما الذي سأفعله بعد أن أنهي جميع رواياتها ..لا أعلم ما خطبك بالفعل .. أما زلت مصرًا على ألا تقرأ لكاتبة تكتب عكس ما تفعل .. !!

.. بصراحة لا أتخيلك وأنت تقرأ كتاباتي يوما ..ذلك انك ستصدم بي حقًا .. ليس من الواجب ان نكتب أمرًا نفعله او نريده ،أو أمرًا يشبهنا او حتى اعتدنا عليه .. نحن نكتب ما نحتاج لا ما نعيش .. فليس من الضرورة ان أعيش قصة حب أسطورية وألتقي بحبيب مثير كي أكتب عن الحب ..!! قد أكون اتمرغ في وحل العلاقات الفاشلة وأرتوي الخيبات وأشرب المرارة الكأس تلو الآخر ..ومع ذلك آخذ (دوشًا) عميقًا ليزيل عني بقايا خيباتي وأشرع في الكتابة ..(عن الحب) ..

لم يكن يوما الصدق في تصوير الأحداث بندًا من بنود الكتابة.. يكفيك كلمة واحدة من شخص لتبني معها ألف حوار.. أو حتى نظرة واحدة تبدأ معها قصة عشق أزلية.. في الكتابة هناك دائما تفصيل واحد واقعي وحقيقي نرتب عليه جميع الخيالات والأكاذيب القادمة ..

لا تعقدها يا صديقي فليس من العدل أن نكتب بواقعية .. ولو أننا فعلنا لكرهت الأوراق نفسها من مدى بشاعة ما ملأها ..

على حافة النوم واللانوم أقف الآن ..وأعتقد بأني سأسقط بعد دقائق في شِباك النوم كما أفعل دومًا .. تصبح على خير ...

(4)

يقال بأن اقوى المشاعر هي تلك التي لا نعلم عنها شيئا ..

وأجمل قصص الحب تلك التي لم نسمع عنها ،وأقوى تجارب الألم هي تلك التي لم نعرفها لنقدم العزاء لأصحابها لأن الانسان ببساطة لم يخلدها بالكتابة ولذلك هي الأقوى .. ليس لدينا خيار ، فإما ان نعيش مشاعرنا او ان نكتبها ،فلا مجال لدمج الخيارين معًا .. اما ان نفرغ مشاعرنا على البشر او على الورق ..

يتعارك بداخلي الف شعور وتصنع مئات المقالات لدرجة لو ان احدهم صنع جهاز قراءة ما يدور في العقل أو ترجمة المشاعر الى كلمات ، لصنع لألمي كتاب في كل يوم .. متعبة هي فكرة أن يهاجم قلبك عقلك ..وعقلك مبادئك ..ومبادئك أحلامك.. واحلامك لا تجد سوى الواقع لتتعارك معه ..

اتساءل دوما ..لماذا نحمل بداخلنا مخيلة واسعة وعميقة في حين أن الموارد المتاحة واقعيًا هي أقل من القليل .. لماذا يلهمنا أهالينا صغارًا أن نحلم ونتخيل ونوسع دائرة ما نريد ان نصبح عليه ،لنكبر و نتفاجئ بأنفسنا ممتلئون بالأوهام فتأتينا الصفعة لتلقي بنا أرضًا فيتهدم كل ما قضينا طفولتنا نحلم به ونبنيه طوبةً طوبة ..

نعيش على سطح كوكبٍ فاسد ..هاجمته بكتيريا العَفن منذ أمدٍ بعيد فتعفن وانتشرت رائحته لتهاجم البشر وتئد أحلامهم وأمانيهم .. لتخترق رائحة فساده انوفهم رغمًا عنهم وشيئا فشيئا تصبح الحياة لا تطاق امام تلك الرائحة فيتجه البشر نحو اول مقبرة فكرية يقابلوها ليذبحوا كل ما أملت به انفسهم امام ضريح الواقع ويقدمونه قربانًا له ..!

(5)

مرحبًا .. وها قد عدت بعد طول انقطاع .. ولكن ..

من اين ابدأ.. اممم ..لا أعلم ..فلم يكن للأمر بداية ..

لدى كل شخص منا شبح وهمي يطارده .. يحاول تخويفه وايقاظ الهواجس بداخله .. ولكننا نختلف في ماهية الشبح الذي يطاردنا .. البعض لديه شبح ماضي والآخر شبحه الأكثر رعبا في الحاضر، وهناك صنف يخشون المجهول وآخرون لا يخافون الوقت ،وتكمن مشكلتهم الكبرى في الاشخاص ... شبح صديق .. او قريب .. او حبيب .. او حتى هناك من يخشون الغرباء ..

من اي صنف أنا ... ؟!! هل تصدق انني حقًا لا اعلم ...

امرأة متحررة .. مستقلة .. لا تسمح لأي شيء بأن يقيدها .. لا ماضي ولا حاضر ولا مستقبل .. لا صديق ولا قريب ولا حبيب ... امرأة تعيش في اللاوقت وتعشق اللاشخص .. تتنكر لمشاعرها وتتجاهل مخاوفها .. تعيش على حافة الانتظار وما زالت تأمل .. ولكن .. كيف لها ان تجمع متضادان .. فالعلاقة عكسية بين الانتظار والأمل ..

كلما طال الانتظار كلما بهت الأمل وخفت بريقه .. الانتظار هو قاتل الأمل .. يفتك بنا ولكن بصورة بطيئة جدا جدا .. الى ان نجد انفسنا بعد فترة من الزمان وما عدنا نريد اي شيء سوى ان ينتهي ذلك الكابوس فحسب ...عبثًا نحاول تضييع الوقت بالنسيان .. ولكننا لا ننسى ولا نُشفى من ذاكرتنا كما تقول أحلام .. لهذا نحن نكتب .. نرسم .. لهذا نحاول دفن الأشخاص في رواية نستبدل فيها بياض الكفن ببياض الورقة .. ولهذا نختزل الوطن في لوحة .. نحاول التنكر للذاكرة .. تجاهلها .. ولكنها احدى الأرواح التي تسكننا ..كل ندبة في جسدك تذكرك بحدث .. كل طاولة في مقهى تذكرك بموعد أنفقت من اجله ألف حلم .. كل قطعة حلوى تذكرك بلحظة جمعتك بفلان على مائدة طعام كان هو أشهى اطباقها ..

كل صدفة صغيرة تنبش الذاكرة وتعيدها فوضى عارمة .. ذلك أننا نعتقد اننا نرتب ذاكرتنا .. ولكن عبثًا .. فغرفة الذاكرة لا تحمل مكتبة ولا أرشيف .. كل شيء ملقى على الأرض بانتظار هبّة هواء تعيد فتحه .. ذلك ان الذاكرة لا تغلق ولا "تؤرشف "محتوياتها .. كل ما نفعله معها ان نحزم محتوياتها في صناديق قابلة لإعادة الفتح ... لتصبح فوضاها منظمة فحسب ..

(6)

وما عادت الأشياء تستهويني كما كانت تفعل ..

لم اعد أرقص على الالحان بذات الشغف الذي كنت ارقص به .. بل اصبحت أترنح .. اترنح عبثًا على موسيقى لم تعد تشبهني .. سيمفونية غريبة وكأن عازفها من عالم آخر لا اجيد التواصل معه .. وكأن الأنغام استحالت الى سهام تصيب فكري بالخيبة في كل مرة .. ما كان يحملني مرفرفةً الى عنان السماء أصبح يهوي بي الى الحضيض.. أماكنٌ دون المستوى اصبحت هي وطني .. هذا ان صح القول .. وان كان جدير بفتاة مثلي خانها وطنها ان تطلق ذلك المسمى على مكان آخر.. حين تتكالب عليك الخيانات أيجدر بك أن توقن أن الثقة موجودة ولكنها لم تصادفك بعد .. حين يخونك صديق ويكون عزاؤك حضن أهل .. فتجد أن الأهل لم يعودوا عزوة واصبح الغرباء أكثر قربًا ..!

حين يجبرك وطنك على الرحيل وتطردك الحروب من بلادك دون اوراق ثبوتية حتى ..فتغدو مقيما ، لاجئًا ،أو حتى هاربًا ..

ليس هناك اي اهمية للمسمى طالما انك تشعر بداخلك بأنك بلا مكان حقيقي تنتمي اليه .. طالما انك سترى حيوانات الغاب تعيش في موطنها الأم في حين انك ... **بلا وطن** ..

(8)

.. أشعر بالحاجة للكتابة .. حقًا اريد ان اكتب ..

هناك ما يدفعني لفعل ذلك كنوع من الادرينالين ..ولكنه لا يحفز سوى افكاري .. وبالطبع.. اصابع يدي ..

لِمَ .. ولمن سأكتب ..

لا ادري ..ولكن فكرة الكتابة للمجهول تبدو مناسبة لي تمامًا ..

هل أكتب لخيباتي ..! لأشباح الماضي ..! لذكرياتي المريرة ونظرياتي الضريرة ...! لأحلامي الموؤودة وسعادتي المغتصبة.! بطريقة أو بأخرى تشكل الكتابة خطرًا على الكاتب .. كل مقال جديد يبدأه يعقد فيه هدنة مع الألم ويلوح فيه للسعادة بأسى ..

كل قصة هي استجلاب لطيْف ذكريات وتجارب وآلام وخيبات ..

كل مقال عن الحب يحمل في طياته آلافاً من الانكسارات الداخلية ..

.. انكسارٌ للمبادئ وخيانة للذكريات التي تعاكس ما نكتب .. انها استحضار لخيال تافه لا يمس للحقيقة بصلة على مرأى من الواقع ..

أتساءل .. هل هناك ما يربط بين الكُتّاب ..؟ هل صحيح أننا ورغم اختلاف افكارنا وتنوع منتوجاتنا الا أننا نتشابه بشكل أو بآخر ..!!

تهربنا المستمر من القلم وكأننا مجبرين لا شغوفين ..

.. طقوسنا الخاصة قبل الكتابة ..

حاجتنا "لجلي الأواني " لولادة فكرة جديدة ..

.. تعلقنا بشخصيات خيالية ووقوعنا في غرام أبطال رواياتنا في كل مرة ..

لا أدري ولكنني أعتقد ان هناك رابط .. كما انبهر من كون بعض معظم نظريات احلام توافق تصوري .. لها زاوية تشبه زاويتي التي انظر بها نحو الحب والفراق .. كما تفاجأت ايضا عند قراءتي لكتابها "شهيًا كفراق " بأنها تصف حبنا لتملك الأشياء بإضافة ياء الملكية لها .. تمامًا كما أفعل .. أضيف

" يائي " الخاصة بي لكل ما اراه جزءًا مني .. أنني معجبة بها بحق .. على الأقل فهي كاتبة حرة .. وما أجمل أن يكون المرء حُرًا ..!!

ما أجمل ان نملك الحق لنتحدث دون ان نقيد ارواحنا بأمر .. ودون ان نخاف من سلطة او عقاب ..

ما أجمل ان نكتب لأنفسنا ونسترضيها قبل ان يكون همنا رضا الآخرين فحسب ..

(قد اتضح كل شيء)

« لا شيء اسوأ من حقائق نهدر وقتنا للعثور عليها ،وعندما نجدها تتمنى لو انها ظلت مبهمة »

قضيت الليل أمام شاطئ البحر ..فلا احد يفهمني اكثر من البحر ..هكذا اصبحت عادتي منذ شهر تقريبًا ..او ..منذ ان سمعت بالصدفة حديث لميس ذاك ..اصبحت مشوشة ومتعبة ومتألمة نفسيا وجسديا وأشعر بأنني اريد ان اموت فقط .. كنت اضع رأسي على صدره كل ليلة وأنام ، حتى وان كان لا يشعر بي .. كنت احكي له وكأنه يسمعني ،ولكنه لم يكن .. كنت افعل كل شيء بدافع الحب ،ولكن ..ماذا بعد ان عرفت بالتفصيل كل ما حدث ..؟!! ان يظنني خائنة ..ان يحمل لي تلك النظرة ..!!ان يشك بي أنا ..!! كيف لم يستمع الي في تلك الليلة ..كيف لم يخبرني بما حدث ..او بما ظنه ..لماذا لم يخبرني بالسبب الحقيقي الذي اتى به الى المنزل رغم انشغاله .. هو الآن هنا بسببي ..او ان هذا ما يظنه ولكن ما الذي ينبغي ان افعله.. كيف يجب ان اتصرف .. حكيت للبحر عن كل ما بي و هدوءه جعلني اؤكد قراري الذي كنت قد اتخذته منذ فترة مضت .. سأتركه ما ان يخرج من غيبوبته ... لست بحاجة لمزيد من التبرير او مزيد من الحديث ..و في الحقيقة انا لست مثلها هي .. لا نية لدي بأن اتخلى عن مبادئي او قيمي من اجل امرأة مثلها .. لا اريد ان ادخل في قتال من اجل رجل .. لست من محبات الحرب أبدًا ..كل ما اريده هو السلام فحسب ..

. . .

الآن قد مضت ستة اشهر تمامًا لا تسأل عما حدث فالحياة رتيبة ..ولا تسأل عن حالي ..فقد اصبحت اعيش فحسب ..لم اعد أحيا كما يجب ،او اشعر بي على قيد الحياة ..اصبحت واحدة من مئات الزومبي الذين يملؤون هذا الكوكب ..وليس الزومبي كما تصورهم افلام الخيال ، يأكلون

البشر ،ويمشون بترنح واضح واشكالهم مفزعة ..بل على النقيض ..الزومبي هم بشر احياء اموات ..يمشون بغير اهتداء او لغرض تأدية الواجب فحسب ..يأكلون لكيلا يصابون بآلام في بطنهم ولو انهم قدر لهم ان يأخذوا الموت بدلا عن احدهم لفعلوا دون تردد.. هم اشخاص ماتوا منذ فترة ولكن لم يدفنوا بعد وهذا ما يجعل الآخرين يعتقدون انهم ما زالوا يعيشون ...

وفي خضم تلك العواصف الحياتية ،والمواعيد النفسية ،والرسائل المجهولة وجدتها تتصل بي ..

رددت بغير استمتاع - مرحبًا ..

- اوه .. حقًا ..!! تقولين مرحبًا .. كنت اعتقد انك ستعتذرين اولا.. ما هذا الذي تفعلينه بنفسك وبنا معك ..هل تعتقدين ان عدم ردك على اتصالاتنا و الابتعاد عنا سيجعلنا نتركك .. !

كانت ستكمل عتابها ذاك لولا انني قلت بلهجة الجريحة " جمانة رجاءً ..تعلمين ان ظروفي سيئة جدًا ..لا تزيديها علي " ..

- حتى وان كان .. هذا لا يعطيك عذر كيلا تردين على اتصالاتي ،وحتى خطبتي لم تحضريها .. انني اشعر بالحزن لأجل ذلك ..ألم تفكري بي ..

لم تكن الدموع في عيني بحاجة لأي ضغط كي تخرج ..منذ فترة وهي تقف على طرف عيني بانتظار من يعطيها سبب كي تُذرف " صدقيني لقد فكرت كثيرًا بك ..الا انني لم اكن املك الجرأة كي احضر، كنت منهكة ومتعبة جدًا ولم يكن قد مضى سوى شهر على ذلك الحادث ..

- حسنًا اذًا والآن .. لقد مر وقت طويل جدًا ..سيكون عقد قراني بعد غد ،واقسم أنك ان لم تحضري فإنني لن اتحدث معك بعد ذلك أبدًا ..

حاولت مقاطعتها .." ولكن ... !!!

- بدون اي استثناءات ..اقسم انني لن اتحدث معك أبدا ان لم تحضري .. ماذا تقولين الآن ..ستحضرين ام لا ..

حاولت تصنع البهجة والابتسام وانا اقول " وهل تظنين أنني قد أفرط بصداقتك .. !!"

. . .

كنت انظر الى نفسي في المرآة ولا اصدق انني ذات الفتاة التي كنتها طوال سنوات ..بعد اتصال جمانة شعرت بأنني قصرت فعلا في حق الجميع ..لا انكر ان بندر كان بحاجتي في ذلك الوقت ولكن الآخرين ايضا كانوا بحاجتي ..كنت منشغلة بآلامي ونسيت ان الآخرين ايضا يتألمون لأجلي ..ماذا عن والدته التي اصبحت تحمل همي وهمها ..ووالدتي التي لم تكف عن الاتصال بي ليل نهار لتطمئن وهي تعيد علي بأن كلام الاطباء حول انه قد لا يخرج من غيبوبته مجددا وتذكرني بضرورة الالتفات لنفسي .. وماذا عن صديقاتي اللاتي جعلتهن يلبسن الحداد الروحي لأجلي ..وبعض مناسباتهن اللاتي اجلنها لأجل مشاعري .. ما الذي احاول فعله ..هل أريد من الجميع ان يموت وينسى الحياة كما نسيتها أنا ..!! كنت بحاجة ماسة للخروج وتغيير جو لأجل الجميع .. ذهبت الى السوق واشتريت فستانًا ملونًا يناقض مزاجي في ذلك الوقت ،ولكنني كنت بحاجة لمناقضة نفسيتي لكي اعيد الي ترف التي كانت .. كان فستانا قصيرا نصفه السفلي من الشيفون ونصفه العلوي تملؤه الألوان المتداخلة بتناسق ..كان هادئًا وطفوليًا ويناسب جوًا مليئًا بالفرحة .. وفي يوم الحفلة ذهبت الى الصالون ..نظرت الى عشرات الكتالوجات امامي المحتوية على الوان عصرية للشعر ،ولكني اصررت كما اردت دومًا على اللون البني ..صبغته بطريقة عصرية ..بني غامق قليلا ويتفتح تدريجيا مع خصلات بالبني الفاتح .. وكانت لمسة المكياج الخفيفة هي كل ما ينقصني لكي ابدو كأميرة بسيطة وجميلة ..اعاد لي اهتمامي بنفسي جزءًا كبيرًا من الثقة التي افتقدتها ..

وصلت الى الحفلة واول ما دخلت وجدت الفتيات في استقبالي .. ذهبت لأسلم على جمانة .. وجدتها تنظر الي بعدم تصديق وهي تقول ..

- يا الهي ..لا استطيع تصديق أنكِ ترف ..!!

نظرت اليها وانا اضحك " اوه ،اوه .. لا داعي للإحراج أعلم انني أصبحت اجمل " ..

نظرت الي بحقد مصطنع وهي تقول " هاها ها ..لا تصدقي ذلك ..كنت اقصد اننا لم نراك منذ فترة طويلة ..ما زلتِ كما أنتِ .."

ضحكت بشدة وأنا اقول " يا الهي ،ما هذا .. لست ادرك من هو ذلك المجنون الذي وقع بك .. " هزت كتفيها بلامبالاة "نصيب !!" ..

- اوه ،حقًا ..كما يقال ..الطيور على اشكالها تقع ..

نظرت الي وهي تقبض عينيها وتنظر الي كعادتها عندما لا يعجبها ما يقال ،فعدت اضحك وأنا أقول .."هيي ..لا تحقدي علي ..انني امزح فقط ..انا متأكدة ان والدته امطرته بالدعاء له في ليلة القدر يا حبيبتي ..وعلّقت .." هوا يحصلوا ياخذ جوجو " ..ضحكت بعفويتها المعتادة وهي تقول " ها قد عادت تروفة التي اعرفها .. " ..كانت ليلة جميلة قضيتها برفقتهن ، وان كان احد سيسألني عن رأيي بالحياة الآن ،فسأخبره ان هناك ما يستحق البقاء على قيد الحياة ،هناك ما يستحق المحاربة من اجله ،كحب صديق لا يريد شيئا منك سوى لحظة صفاء وصدق ، كحضن اشخاص يغرقونك بالدفء رغم انهم لا قرابة لهم بك ، كلحظة وداع ،يبكي فيها احدهم لأجلك لأنه يظن ان ظروفك قد ارهقتك ، كفتاة وديعة تنسى انها يجب ان تحتفل بزواجها وتبقى معك طول الحفل تحاول رسم البسمة على وجهك .. لقد كان في صديقاتي صفات كثيرة نسيتها مع كثرة انشغالاتي ولكن كلمة واحدة منهن في تلك الليلة كانت كفيلة بإعادة كل القوة التي سلبتها الحياة مني .. " ابقي بخير لأجلنا .." لم تكن كلمة ،بل كانت درع وهبنه لي كي احتمي به من ضربات الحياة القاسية وسيف فولاذي الوح به في وجه الاقدار السيئة واغرسه في جوفها عندما تهم بقتلي ..

(مفاجأة ومفاجعة)

عدت الى المنزل ولم ابدل ملابسي حتى ..لم ارد ان اتجرد من تلك اللحظات ،كان من الصعب ان اخلعها ،او اتخلص من رائحتها ، اردتها ان تلتصق بي ،او تنتشر فيني كي تعطيني قوة لمواجهة غد لا أمل فيه .. نمت براحة ولم اكن ادرك ان ذلك آخر عهدي بالراحة ،فما كان ينتظرني كان يتطلب الركض المستمر وللهث دون توقف ..

.. استيقظت ..ولا جديد سوى نفسيتي التي اصبحت افضل قليلا ..قهوة ارتشفها على عجل ، وامرأة تجلس بهدوء على طاولة الافطار بانتظاري كي اشاركها وجبتها الحزينة ،وددت لو اعتذر لها فلا شهية لي للأكل ،ولكن نظراتها جعلتني اشعر انها بحاجتي ،لربما الامر ليس مجرد وجبة ،بل حاجتها في أن أقاسمها الأعباء بابتسامة صادقة ..قبلت رأسها ،جلست بجانبها ، اسكب لها الشاي وآكل التوست بشهية مصطنعة ،أخبرها ان الشاي الذي تعده يحمل عبقًا من زمن ولى رغم جماله ، أخبرها انه برائحة شاي امي ولكن جودته افضل بقليل ..تضحك لمجاملتي واضحك انا واهمس "لا تخبري ماما ..سر"

اصل الى المستشفى وبداخلي طاقة كبيرة سأغير كل شيء اليوم بالتأكيد ، سأكون اكثر تفاؤلا وأملا وربما بحثت عن اطباء من بلدان أخرى لإعادة النظر في حالة بندر ،جال بخاطري امر بغرض افساد يومي "تعلمين انك ستتركينه عندما يفيق "، أتجاهل تلك الملاحظة وانا اؤكد لعقلي انني سأفعل ،ولكن الى ذلك الحين ،سأبقى معه ..احمل بعض الملفات معي واطلب من الممرضة المساعدة ان تجهز المختبر ..افكر بأن اطمئن عليه ومن ثم انزل .. ولكن ....

الجميع يركض بسرعة قصوى نحو غرفة لمريض أعتقد انني اعرفه جيدًا ..! انهم يركضون باتجاه الغرفة رقم 312 .. الغرفة المقابلة للمصعد ..ابتلعت ريقي وانا لا اكاد اتنفس ...تلك هي غرفته .. !!

اقتربت بخوف وترقب ، هل جربت من قبل ان تكون تريد ان تعلم ولا تعلم ..او انك تدرك انك يجب ان تعلم ولكنك لا تريد .. ! كنت سأموت خوفًا من السؤال ولكنني يجب ان اسأل ..اوقفت ممرضة كانت تهم بالدخول ، نظرت اليها بعينان زائغتان وانا اقبض جبيني واهز رأسي متسائلة

" لقد استفاق .. ذلك المريض في الغرفة استفاق .." ..

كانت كلماتها تلك اشبه بصاعقة ضربت رأسي حتى افقدتني صوابي .. لا استطيع تفسير الشعور الذي تملكني ..فرح، حزن ،خوف ،ترقب ،ولكنني كنت متأكدة ان القادم لن يكون اسهل .. لم اكن بحاجة لأكثر من معرفة انه استفاق لأرحل ..كنت قد عقدت النية منذ فترة طويلة ، كانت بيننا امور لطيفة ولكنني لم اعد استطيع الاحتمال ..اديت واجبي تجاهه طوال ستة اشهر والآن قد اتى الوقت لأتذكر نفسي ، كرامتي ،كبريائي ، كل ما اهانته نظراته فيني في ذلك اليوم .. دخلت مكتبي واغلقت الباب جيدًا ،فقد كنت احفظ تمامًا ما علي فعله ،هاجس شهور قد اصبح الآن واقعًا ..سأخرج من المستشفى لأذهب الى المنزل ، اخرج حقيبة السفر من الخزانة ،اضع فيها حاجياتي وانطلق باتجاه منزل اهلي في المدينة ، و سآخذ اجازة من عملي الى ان اجد حلا لذلك ..اعلم بأنه كان من السيء ان ينتقلوا للعيش في المدينة ولكن علي ان اذهب اليهم ولا خيار آخر لدي .. حاولت ان اذهب الى المصعد دون ان اراه ،ولكني لم استطع ..رغم توصيات عقلي الا ان قلبي كان يلح علي برؤيته لمرة أخيرة ؛ فاقتنعت .. وقفت بجانب الباب الشبه مفتوح ،نظرت اليه دون ان يراني ..حدقت في عينيه الجميلتان وابتسمت حين رأيته يحتضن والدته تارة ،ثم يحاول اعادة التحكم بيديه بعد ان مرت فترة طويلة لم يحركها... كنت مستغرقة تمامًا في حركاته ،ضحكاته ،وفجأة وجدت عيناه متسمرتان علي ..كان يحاول ان يتوصل الى هوية الشخص الواقف بقرب الباب ..ارتديت نظارتي على عجل

وخرجت مسرعة لا انوي العودة .. كنت تائهة ومدركة اني ذاهبة الى اللامكان حيث ان كل الاماكن ليس لها اي طعم دونه ..لم احدد وجهتي بعد .. كيف لا .. وهو وجهتي الحقيقية !! .. انتظرت الى ان استعيد توازني قبل ان احرك سيارتي .. كانت نظراته مذهلة كالعادة ،لماذا لم اترك المجال لنفسي كي اغرق فيها ..!!

. . .

رغم ما حدث لبندر ،والحادث الذي اصابه الا انه لم ينسى ما حدث ،ولكنه بات مدركًا على الاقل السبب وراء كل شيء ،او لنقل التفاصيل الخفية التي تفننت لميس بإخبارها له ظنًا منه انه لم يكن يسمع وهو في غيبوبته ..كان قد فهم كل شيء ..كما انه كان مدركًا لخطة ترف التي تعتزم فعلها ..كانت قد اخبرته بذلك وهي تضع رأسها على صدره وتبكي ذات ليلة ..ود حينها لو يضمها ،يمسح دمعتها ،يخبرها ان لا حاجة لها بالذهاب فهو يعلم انه كان مخطئًا ..ولكنه لم يستطع ابدًا حينها .. سألت والدته الممرضة عن مكان تواجد ترف فأخبرتها انها خرجت من المستشفى واخذت اجازة ،نظرت والدته باستنكار فحاول بندر تهدئتها وهو يقول "هناك امر بيننا ..سأتحدث معها .. هي الآن في بيت اهلها ..لا تقلقي !!" ..كان يريد البقاء في المستشفى الى ان تعتاد عضلاته الحركة ويعود نشاطه اليه ومن ثم يذهب اليها ..كان يعتصر شوقًا لها ،ويستميت في سبيل بدء حياة جديدة معها ولكنه كان يدرك بأن الامر مسألة وقت ،ريثما يستعيد صحته تمامًا .. مضي يومان زاخران بالعمل الشاق فهو يستطيع الابتعاد اكثر عن مهنته وزوجته منزله ..كان يمشي اكثر من ست ساعات في اليوم ،ولا يجلس ابدا .. ورغم انه تحسن كثيرًا في مدته القصيرة تلك الا انه بات بحاجة لبضع ايام فقط كي ينهي كل شيء ويصبح مستعدا للخروج حسب كلام الدكتور .. حاول ثني والدته ولكنها كانت مصرة ..اخبرته " ما هذا .. مهما كان الذي بينك وبينها الا انه لا يعطيها الحق كي تبتعد هكذا عنك ..على الاقل خلال هذه الفترة " ..كان يعلم ان كلامها غير صحيح ،فما فعله قد جرحها ،ولا بد من ان يحادثها شخصيًا

ولكنها لم تستمع اليه واتصلت عليها وعندما وجدت هاتفها مغلق اتصلت على والدتها ..

ردت والدة ترف "السلام عليكم .."

ردت والدته وهي تزفر - وعليكم السلام .. الحين يا فاطمة أنتِ راضية على اللي سوته بنتك !!"

ردت باستنكار " ليش وش في ..عسى ما شر ..وش سوت بنتي " .

- تسألين وش في بعد ؟! شلون تقبل انها تترك زوجها في هالوقت وهو له ستة شهور بين الحياة والموت ،وفوق هذا لا تتصل ولا تسأل ..طيب على الأقل عشاني " ..

كان الهلع ظاهر في صوتها عندما ردت " تتركه ؟!! وش تقصدين ..!! " ..تزايدت حيرتها وهي ترد " اقصد ... ترف ما جات عندك ؟!!! " بصوت اقرب الى صوت الموتى ردت بخوف " لا ..ترف ما هي مع بندر !!"

نظرت امه اليه بعينان خطف رؤيتهما الهلع وبصوت شله الترقب المخيف كانت ترد على محدثتها في الهاتف بالنفي ... كانت تلك بداية الجحيم الحقيقي والذي ظن الجميع انه انتهى باستيقاظ بندر ...!

(جحيم)

«أحيانًا نظن ان السيء قد حدث ،ونغفل عن توقع ان الاسوأ في الطريق »

*** قبل يومين من تلك المكالمة**

كانت قد خرجت من المستشفى لتوها ، دخلت سيارتها وشغلت المحرك ، وضعت يداها على المقود وانطلقت بصحبة ال GPS نحو وجهتها .. سارت وسارت ،كان قد مضى ثلاثة ارباع الساعة ورغم ذلك يبدو ان طريقها طويل وشاق ،ففي هذا الوقت من وسط الاسبوع لا تكون الشوارع خالية ابدًا .. مضت نصف ساعة اخرى وبدأت في الدخول الى الطرق الجبلية ..الطريق اصبح خالي الآن ،ومقفر الا منها ومن سيارة اخرى تسير معها ..يبدو ان كلاهما لهما نفس الوجهة ..سارت بضع كيلومترات اخرى ، فوجدت حركة غريبة تصدر من السيارة خلفها فقد مشت بجوارها حتى تجاوزتها ثم وقفت امامها تمامًا ..حاولت ان تتوقف بهدوء ولكن المفاجأة كانت سريعة بحيث انها اوقفت مركبتها التي كانت تسير ببطء اصلا بصورة مفاجئة وارتدت هي الى الامام ..رفعت رأسها لتنظر للأمام فوجدت مجموعة من الشبان ينزلون من تلك السيارة ،حاولت غلق ابواب سيارتها ولكن بلحظة خاطفة كان احدهم قد فتح باب سيارتها الخلفي واطبق على فهما قبل ان تصرخ بمنديل لم يسكتها بقدر ما ادخلها في ظلام .. ثم ... ظلام ....ثم هدوء تام ...وفقدت وعيها ..

كان يوم بأكمله قد مضى .. لم تكن تدرك ذلك الا عندما وجدت خيوط الشمس الذهبية تتسلل من زجاج تلك النافذة امامها معلنة قدوم الصباح.. شعرت بشيء من الضوء يخترق ظلامها الذي غرقت فيه ..حاولت فتح عيناها ببطء ولكنها لم تستطع حين وجدت رائحة المكان غريبة عنها تمامًا .. فتحت عيناها بسرعة كبيرة ..تلفتت حولها .. ما هذا المكان ..!! ما

الذي حدث ..!! اين أنا ..!! هكذا تساءلت وهي مدركة أن الاجابات لن تكون مرضية أبدًا عندما تصلها ..

. . .

كان الرعب المرتسم على وجه والدته وهي تتحدث في الهاتف كفيل بأن يثير الرعب في قلبه .. لم يكن بحاجة لسماع تلك الكلمة ليرمي تلك المغذية اللعينة ويرتدي ملابسه على عجل ويذهب ..ولكنه انتظرها ..اخبرته بخوف كبير وهي تبتلع ريقها .."ترف لم تذهب الى هناك " ..

خرج وترك والدته ،صرخت فيه بأن يهدأ ولكنه لم يكن يسمعها ، كان صوتها لا يصله وكأنه قد صُم تمامًا الا من ذكرى همساتها هي ، تسلل عبير عطرها فتلفت حوله كالمجنون باعتقاده انها قد تكون هنا ..ولكنها لم تكن .. ذهب الى المكتب .. وبعد غيابه ذاك كان ينبغي ان يهنئه الجميع بعودته ،لكنهم كانوا مصدومين بدخوله السريع ذاك وبحالة الهستيرية المسيطرة عليه .. دخل صديقه الأقرب اليه (فيصل) الى مكتبه بعد ان رآه من نافذة مكتبه الزجاجية .. " بندر ..كيف اتيت يا رجل .. ثم .. ما بال وجهك هكذا ..هل حدث شيء .." ..نظر اليه بجنون ،بذهول ، وبصوت اقرب الى الرجاء منه الى الحديث " لقد ضاعت زوجتي ..!!"

.. مرت ربع ساعة تقريبًا على استيقاظها ،فلا يمكنها الجزم وهي لا تملك اي ساعة سوى شمس تستدل بها .. حاولت فتح قيودها ولكن عبثًا ،كانت تقييدها محكمًا .. فُتح بابٌ حديدي صدئ كانت توقيعات الزمن واضحة عليه من صوت صريره المزعج ..ظهرت معالم المكان ..جدران مشققة وغبار في كل مكان ..كراكيب كثيرة جعلته يبدو اقرب الى مستودع او مخزن مهجور .. صوت طرقات الكعب كانت توضح ان امرأة هي من دخلت ،ولكنها وهي تنظر للأسفل لاحظت دخول رجلين كما يبدو وراءها .. رفعت عيناها ببطء وحذر وهي تحاول تكهن هوية الأشخاص ..ولكنها لم تتوقع ان تكون هي من فعلت بها كل هذا ..

عندما رأتها علمت انها لن تراه مجددًا ،وأيقنت انه قد خرج من حياتها للأبد ..ألمٌ غريب تملكها ولم يبدو لها انه قد طرئ عليها من قبل ..أقرت بذلك الالم وراحت تبحث عن سببه فوجدت ان هناك ما يربط قلبها بذكرياتها معه ..وهي التي كانت تظن ان الرابط الوحيد بينهما ليس سوى عقد فارغ ينتهي كل شيء بانتهائه ..ولكن قلبها اجزم الآن ان ما كانت تحمله بداخلها اكبر من ورقة وختم .. أدركت انها تحبه ..

ولكن ..هل يكشف الحب عن نفسه عندما يدرك المرء انه قد بات على شفا حفرة من الفراق ..؟!! وان كان ذلك صحيحًا ،فما فائدة ذلك الحب في وقت كهذا سوى مضاعفة الألم وزيادة العذاب ..!!

. . .

لم يكن ضعيفًا يومًا ولم يكن يستسلم بسهولة ،ولكنه يجد نفسه الآن في غاية اليأس والتعب ..افكار كثيرة تأخذه وتأتي به ..تُرى ..ما الذي حدث معها ..؟!! يفتح دولابها ،يخرج تيشرتها الاحمر ،يستنشق عطرها من خلاله .. يتذكرها وهي ترتديه ،وتغزوه ذكريات كثيرة ..كانت ترتديه كثيرًا فقد كانت تحبه ، يراها على تلك الاريكة ترتدي نظارتها ذات الاطارات الذهبية المنتهية بالأسود من ماركة ديور والتي تستعملها للقراءة ، تقرأ في كتاب من كتبها الكثيرة ،وهي تنتظره ان يعود من العمل .. يتذكرها عندما يعود ، تسأله عن يومه ،تشاكسه ،تدعوه الخروج ان كانت في مزاج جيد ،وعندما يتأخر كانت تعاتبه .. يغزو عقله امر في غاية الاهمية ،ويتساءل "كيف لم افكر فيه من قبل " !!! ..لقد كان يسمع لميس عندما كانت تزوره ..كان يسمع حديثها ..وقد علم منها ان ما حدث كان من تدبيرها هي ..ولكن ..كيف استطاعت فعل كل شيء وهي لم تدخل لهذا المنزل من قبل مطلقًا .. لا بد من وجود مساعد لها ...يا الهي ،كيف لم يرى ذلك من قبل ...! لارا ..بالتأكيد هي لارا ..

. . .

أسئلة كثيرة راودتها ولم تجد حلا لها .. ترى الآن انها عاجزة بعدما كانت موقنة ان لكل مشكلة حل ..أيعقل وبعد كل ما عاشته الا تجد حلا لما

اصابها .. !! تُرى ..هل ستعيش حتى تكتب آخر سطورها ،ام ستتولى لميس تلك المهمة عنها ..

أطلقت ضحكة خبيثة وهي تردف ..

- ألم اخبركِ مسبقًا انني سأجعلك تندمين ..! ألم اخبركِ ان لا تنازلي شخصًا مثلي لا يعرف من المعارك سوى الربح ولو بطرق دنيئة ..

نظرت اليها بكبرياء لم تشوهه سوء الأحداث وعزة نفس اختارت الموت معها على ان تعيش بدونها ...

- اعتقد ان كل ما حدث كان قدري ،ولو انه لم يُكتب لي لما حدث .. استطيع اعتبارك اداة استخدمتها الاقدار لتسيير الامور فحسب ..

سكتت قليلا ثم اكملت بثقة .." والذي عشتيه كذلك أيضًا كان قدر ..كان ينبغي ان تتقبلي الهزيمة وتدركي ان بندر لم يعد ملكك ،وان الحب ليس اجباري ..ولكن .. ما الذي استطيع قوله .. واصلتِ اللهث وراء ملكيات الآخرين ..

بطريقة مخيفة نظرت لميس الى ترف ، استشاط الغضب فيها وامسكت رقبتها بيدها بقوة وهي تهزها بعنف " اسكتي والا سأقتلك ..!! سأقتلك ولن يعلم عن امرك احد ..أتفهمين !!" ..

افلتت يدها ودفعتها بقوة فارتطمت في الجدار ..خرجت وامرتهم بحراسة المكان جيدًا ..

حتمًا لقد قتلتها الثقة.. هذا ما فكرت فيه ..لقد كانت تشعر بأنها المنتصرة ولكن ذلك الحوار قد سحق قوتها ..

انه فن بحد ذاته ..فن ألا تخوض المعارك قدر الامكان وعندما تكون مجبرًا على خوضها ،تخوضها كفنان ..! لم تكن ترف ترى انها منهزمة ابدًا ..فإن سلبها الآخرون كل شيء لن يستطيعوا سلبها كرامتها ..تلك هي الصفة التي جعلتها تشعر انه ثرية للغاية ..

لطالما تلذذ المفترس بصعف الفريسة قبل مذاقها ..هذا هو قانون الغاب الذي استند عليه البشر لمنازلة خصومهم ..كلما رأى العدو ضعف خصمه أصبح اكثر سعادة في نظر نفسه ، وتلك نشوة وهمية السعادة بريئة منها ..

..لتحقق انتصارًا ضد اعدائك، لا تعلن الهزيمة ابدًا ولا تظهر نقاط ضعفك مهما حدث ..امسح الدموع واضحك امامهم بطريقة تفقدهم صوابهم .. طريقة تجعلهم يجزمون ان الضربة التي اعتقدوها ستدمرك ؛ دمرتهم .. وان عجزت ،فلتبكِ ..ولكن بصحبة الليل وحدكما .. فإن قتلتك شجاعتك فذلك أشرف الموت ..وان احياك استعباد الخوف لك فتلك أذل حياة ..

. . .

على بُعد كيلومترات عدة من المكان المقفر الذي كانت تسكنه ..كان هو قد بدأ تحقيقاته منذ فترة .. لارا التي كانت تهم بالهروب أكدت كل ظنونه ،ولم تجد سوى ان تحكي كل شيء بعد ان فضحت نفسها ،خوفًا من السجن ..باتت اللعبة مكشوفة تمامًا، وأصبح هو يعلم من يواجه ..استطاعت تهديداته ان تجعل لارا تتجاوب معهم ،وتساعدهم كذلك ..

.. قضت ترف ليلتها الثانية في ذلك المكان دون حدوث اي امر جديد ، حتى لميس لم تزرها بعد تلك المرة .. يرمون لها الطعام من فتحة في اسفل الباب ..يجعلونها تذهب للحمام عندما تطلب ولكن ،بعد الف مناداة وصراخ ..سامرتها الذكريات في ذلك اليوم .. ترى ..ما الذي يفعله بندر الآن؟! هل علموا بما حدث ام انهم ما زالوا يعتقدون انها في منزل اهلها .. وهل سيتكبد عناء البحث عنها ،ام انه يظنها خائنة .. فكرت انه قد يفضح ما حدث امام الجميع ويخبرهم انها قد تكون هربت مع ذلك الشخص ،ولكنها طردت تلك الافكار من رأسها ..كان الوضع بشع جدًا ولم تكن هي بحاجة لمزيد من الافكار البشعة ..

نظرت من النافذة المهشمة في الأعلى ..كانت السماء مليئة بالنجوم ..لم تقاوم الابتسام لجمالها ..حاولت ان تطبق احد دروس التفاؤل التي كانت تجدها في كتب التطوير التي تقرأها ..ولكن روعة السماء انستها كل تلك

الكتب وجعلتها تركز على امر واحد فقط .. هناك رب خلق كل تلك السماوات الكبيرة في ستة ايام فقط ، فهل يعجزه امرها ..؟!! تذكرت شخص آخر في زمانٍ كان قبل قرون عدة .. يعقوب عليه السلام عندما كان يدعو لسنين عدة بأن يعود اليه ابنه ..هل كان الله غافل عنه حينها ؟!!! ..بالطبع لم يكن، ولكنه سبحانه كان يجهز يوسف ليصبح ملكًا لمصر ..لربما ترى مصيرها الآن لا يترك لها مجال للتفكير في مستقبل ستعيشه ولكنها موقنة ان ربها يخبئ لها الاجمل بالتأكيد .. أسكتت كل هواجسها بذلك الكلام وغطت في نوم عميق لم تكن تتوقع ان تحظى به في مكان كهذا ..

*** يوم آخر**

..استيقظت ترف ..يوم جديد ..أمل بأحداث أفضل ..ولكن الواقع صادم للغاية ..

في مكان آخر ..لم ينم بندر من شدة انتظاره لليوم التالي ،وما ان اطل النهار حتى جعل لارا تجري ذلك الاتصال المتفق عليه مع لميس .. كانت لميس تصرخ فيها بأن الامور قد انتهت بينهما ولكنها اخبرتها برعب زائف بأنها لم تستطع السفر وهي تحتاج خطة للخروج من ذلك المكان .. كانت لارا تطيل الحديث ليتسنى لهم فرصة تعقب المكالمة ..قطعت لميس الاتصال ،كان سيشعر بخيبة الامل ولكن ولحسن الحظ ،كانوا قد استطاعوا تحديد مكان المكالمة ..شعر بسعادة كبيرة حين احس انه قد اصبح على مقربةٍ منها ،ولكنه نسي ان الاقدار تتبدل في لحظات ،وفي لعبة كهذه لا يجب ان تصدق الا عندما ترى ..

كانت لميس تهم بالدخول الى ذلك المستودع الذي وضعت ترف فيه ،ولكن اتصال آخر عقب اتصال لارا اوقفها ..رقم غريب ..لم يثر ذلك اهتمامها كونها لا تسجل اي اسماء على الارقام ابدًا .. ردت ..و..... لقد اتتها هدية من السماء كما شعرت ..!!

دخلت لميس ،ووجدت ترف مستيقظة ،ولكنها بدت منهكة للغاية .. كانت لتقر انها مستسلمة ولكن ذلك الكبرياء للظاهر في عينيها جعلها تشعر ان

امرأة مثل ترف لا تعرف للاستسلام طريقًا ..ولربما ان كلمة كهذه لا وجود لها في قاموس مفرداتها .. ضحكت لفشلها في اذلالها وراحت تقر لها عما يجول في خاطرها ..

- أتعلمين ... كنت اتساءل دومًا عن السبب الحقيقي الذي جعل بندر يتركني وينجذب اليك ..املك الجمال والمال والقدرة على ان اجعله يعيش بثراء.. ولكن الرجال لا يهتمون لما تفعله النساء من اجلهن ويعشقن التنقل بينهن .. أو ... لربما وجد فيكِ الاخلاص الذي لم استطع منحه لأي احد من قبل .. تنهدت ..ولكن ..ليس ذلك خطئي ابدًا ..هكذا ولدت وهكذا تربيت ..كل اوامري مجابة ،وكل مطالبي محققة .. كنت اشتري العاب غالية جدًا ومع هذا العب بها يوم او يومان ثم القيها واطلب غيرها ..لم يكن احد يمنعني او ينهاني عن ذلك ..ولهذا اعتدت عندما كبرت ان افعل الامر ذاته ..كان الرجال يتلهفون لأجل التفاتة مني ، أعلم بأن الامر لا يزيد عن كونه من اجل اموالي ولكن ذلك كان يرضي غروري ..كانوا يتوسلون الي كي اعود اليهم عندما اتركهم ،ولكن المختلف ان بندر لم يعد ..سكتت قليلًا ..ثم ابتسمت بخبث وهي تقول ..أتعلمين انني عندما جئت الى هنا كان في نيتي التخلص منك .. نظرت بتركيز لترى ردة فعلها وأكملت ..ولكن ..تستطيعين القول ان القدر ارسل اليكِ بهدية تنقذك من الموت ..

ضحكت ضحكة اشبه بضحكات الساحرات ..وهي تأمرهم بتغطية وجهها .."يبدو اننا لن نكف عن التنقل ".. هكذا فكرت وهم يضعون ما يشبه الجورب الكبير لتغطية وجهها .. ساروا في طرق كثيرة ووعرة الى ان وصلوا الى سيارة ..تحسستها قبل ان تركب ولكن احدهم دفعها لكي تركب بسرعة وكانت تلك هي المركبة التي ستقلهم الى وجهتهم الجديدة ..

(انطفاء الأمل)

« نبالغ في التوقع ان الواقع سيهدينا الراحة من بعد عناء كبير ،ولكن نقع في الفخ الاكبر الذي تنصبه الحياة فوق توقعاتنا.. فنصبح ضحايا أمل زائف»

وصل بعد ان احضر معه فريقًا كاملا من الشرطة ..طوقوا المكان وبدأت الايقاعات في قلبه تتداخل بعضها بعضًا ..رغم ان طبول الخوف تقرع ،الا ان هناك نغم آخر يقاطعها ويتداخل معها ..يبدو انها نشوة اللقاء كما توقع ..لقد سئم الفراق وتصنع اللامبالاة ، سئم ان يحبها خفية وضاعت ايام كثيرة كان من الممكن ان تكون اجمل لو انه تشاركها معها .. كانت الافكار تتقاتل في رأسه حين بدؤوا باقتحام المكان ، دخلوا بحماس كبير ، ولكن ..يبدو انهم قاموا بإخلاء المكان قبل وصولهم ، شعر بخيبة كبيرة، كيف للميس ان تسبقه بخطوة دائمًا ..كان قرطها الزمردي الصغير ملقى على الأرض هناك ..حمله بحزن بين يديه ..نظر الى البقعة التي وجده فيها ..لقد كانت تجلس هنا ..!! فكر فيها كثيرًا ولكن يبدو ان شعاع الامل سينطفئ شيئًا فشيئًا ويتركه عالقًا وحده في العتمة ..

العتمة ..هذا صحيح ..فهذا ما كانت عليه حياته قبل دخولها.. لونت كل شيء بطيبتها التي لا تعرف النفاق وابتسامتها الحقيقية التي لا تعرف حمل عدة اوجه.. براءتها التي تجذبك اليها دون استئذان ..دخلت حياته بنورها الذي سطا على ظلمة لياليه ..دخلت بنورها فتنورت كل تفاصيله ..كان يعتقد انه عاشق ،وانه غارق في الحب ، ولكن منذ ان جرب طعم الحب معها علم ان ذلك المذاق لم يكن قد جربه من قبل ..لربما كان غارقًا في بحر الاوهام في الوقت الذي ظن فيه انه يسبح في بحر الحب الدافئ مع لميس .. علمته الكثير والكثير ..علمته ان بقاءنا ووجودنا على قيد الحياة لا

يعني بالضبط اننا احياء ..بل ينبغي ان نعطي ونأخذ ونشعر ..ان نبقى على قيد الفرح ..الحب ..والانسانية ،لنصبح احياء بحق .. علمته انها حياة واحدة فقط ،فلنجرب فيها كل شيء على الأقل .. فترة قصيرة معها خلفت ذكريات يمكنها ان تعصر قلبه لدهور عديدة ،تمامًا كما كانت تستشهد في كل مرة "نحن نتذكر لحظات ومشاعر ،لا شهور وايام " ..وها هي الآن تؤكد قولها وتعذبه بلحظاتها الكثيرة في ايام قليلة قضاها برفقتها ..سيطر عليه القلق ودق ناقوس الخطر ..يبدو انه لن يذوق طعم الراحة الى ان يجدها ..

..في نفس الوقت ولكن في مكان آخر ،كانت ترف تشتعل بحيرتها ..لقد سئمت كل شيء ، متى ستخرج من تلك المتاهة التي لا يبدو ان لها فتحة خروج ..ظلت شاردة في عالم التساؤلات الى ان توقفت السيارة ،ارادت ان ترى لماذا توقفوا ولكن وجهها مازال مغطى ..مر وقت قصير ،فنزلت لميس ،ومن النوافذ المفتوحة كان يظهر انها تتحدث مع شخص ما ..لربما كان رجلا فالصوت الخافت الذي كان يصل كان يبدو خشنًا قليلا...
استغلت الفرصة وتظاهرت بأنها ستتقيأ ..قاموا بإنزالها وازالة الغطاء عن رأسها ..أنزلت رأسها وامسكت ببطنها وهي تحاول اخراج اي شيء ليكفوا عن النظر اليها ..كانت اشعة الشمس قذ بدأت في الغروب لذلك لم تكن الرؤية واضحة تمامًا ..ادخلت اصبعها في حلقها لتتقيء ..ونجحت في ذلك ..عندما رآها ذلك الرجل بجوارها شعر بالتقزز فالتفت للوراء ،وهي لم تهدر الوقت الكثير لتستغل تلك اللحظة وتجري بأقصى سرعة ممكنة ..كانت منطقة شبه خالية تحفها الأشجار من كل جانب ، استمرت في الركض واستمر هو بمطاردتها ..كادت تفلت منه ،تضيعه في ذلك المكان المليء بالمتاهات ،ولكن جذع شجرة ملقى بإهمال حطم كل املها ..تعثرت به وارتطم رأسها بصخرة اخرى فأصبحت الرؤية منعدمة بالنسبة لها ..حاولت التركيز ولكنها لم تعد تشعر بما حولها سوى يد قوية تمسك بها وتحملها نحو مصير لا تدركه ..

..يبدو ان الحظ تخلى عنها مرة اخرى ..او ..لنقل انها الاقدار فحسب ..في كل مرة يدق قلبها أملا يعود الواقع ليصفها بالخيبة ..كانت لا تعرف لليأس

طريقًا ولكن ..هل يستمر ذلك ..؟!! جميعنا ندرك ان الحياة متناقضة والاقدار متباينة ..ولا شيء يستمر ..لا نصر ولا هزيمة سيبقيان يرافقان شخصًا بعينه طوال عمره ..وفي الواقع لا احد يمكنه الجزم ان ما ظهر على هيئة شر هو شر فعلا ولا ان الظروف التي ملأتها الضحكات هي خير حقيقي ..كانت تعي ذلك ..لذلك لم تكف عن النظر الى ان ما يحدث لها الآن سيكون مصدر قوتها غدًا ..

. . .

بدأت ترف تسترد وعيها ولكن الألم في رأسها افقدها صوابها ..كانت تئن وتئن دون ان تفتح عيناها ..نعم ..فرغم ألمها الا انها كانت خائفة من الصدمة ..تُرى اين هي الآن ؟!! .. تمنت بشدة ان تفتح عيناها لتجده بجوارها ..ممسكًا يدها برفق وهو يطمئن قلبها "لم يعد هناك ما يستحق الخوف " ..ولكنها للأسف ،لم تجده بجوارها ..رأت ان المكان متغير ..لم تعد محتجزة في مستودع مهجور كما كانت بل انها الآن في غرفة (وان كانت تبدو عتيقة) الا انها افضل من ذلك المكان ..كادت تضحك لولا بشاعة الموقف ..علقت بسخرية " لو انها انجلينا لما تكبدوا كل هذا العناء لاحتجازها" ..أكملت سخريتها تلك وطعم لاذع يغزو حلقها ..تذكرت عندما تقيأت منذ قليل ..يا الهي ،تشعر بمرارة .. سمعت صرير الباب فالتفتت بحذر .. ورأت أمرًا انساها طعم المرارة في حلقها ليدخل مرارة من نوع آخر الى قلبها ..همست بحذر " أنت ؟!!!! ما الذي تفعله هنا !!" ..لم تتحدث معه منذ وقت طويل ..فكيف ..كيف اتى الى هنا ..!! كان يقف بجوار الباب ..ينظر بهدوء وترقب وهو يجيب " اريدك ان تهدئي قليلا ،وسأخبرك بكل شيء " ..

صرخت لتخرج كل التعب الذي حبسته بداخلها منذ مدة " ما الذي ستخبرني به ..هاه ..!! ستخبرني انك كنت معها منذ البداية !! كنتما تخططان معًا ..هي تريد اعادة بندر لأنها تقول انها تحبه .. وأنت ... ما الذي تريده مني ؟!!!

- اخبرتك ان تستمعي الي أولا .. حسنًا ..انا لا انكر خيانتي لك ..لا انكر انني كنت غبيًا عندما لم اقدر وجودك بحياتي وعرفت امرأة اخرى غيرك ..ولكن ..صدقيني ..كان فقدك كفيل بتعليمي كم انتِ مهمة في حياتي .. أنا لست انانيًا ..بل على العكس ..لقد اتيت الى هنا لكي اساعدك ..!!

ضحكت بسخرية وهي تعلق "تساعدني ؟!!" .. لم يلق بالا لتعليقها ذاك واكمل - عندما كان زوجك في المستشفى اتت الي امرأة ،واخبرتني عن علاقتها به.. اخبرتني عن نفوذها وقوتها وعندما اخبرتني باسمها صعقت .." كانت لميس عبدالعزيز الجابري!! لم اصدق ذلك ..ابنة اغنى رجل في المملكة بأسرها تتحدث الي عنكِ ...خفت كثيرًا عليك عندما علمت بأنها ستبعدك عن طريقها بأي ثمن ان لم اوقفك .. حاولت الحديث معك وتحذيرك ولكنك صددتني .. سكت وهو يحاول ان يرى تأثير كلماته عليها ..اكمل عندما وجدها محدقة في الفراغ .. وعندما سمعت خبر اختطافك ، ظننت اني اعرف من المسؤول ..كنت اريد حمايتك فحسب ..صدقيني ..

- حمايتي ...!! ممن ؟!! ..منك ،او منها ،او مما حدث لي ؟!! اخبرني بربك من اي منهم ستحميني ..!! كانت تصرخ بانفعال عندما القت سؤالها الأخير ..فلم يجد هو الا ان يفجر غضبه ويصرخ بصوت اقوى من صوتها " بالطبع منها ..!! في الوقت الذي اتصلت انا فيه لأخبرها بأنني سأخرجك من حياتها شرط الا تؤذيك كانت هي تتجهز لقتلك .. أتعلمين من هو والدها ؟!! بأمر واحد منه تصبح حياتك من الماضي ،ويصبح موتك طبيعيًا تمامًا ..وزوجك الذي تحتمين به وتظنين انه لن يكف عن البحث عنك ،بإشارة واحدة من ذلك الرجل سيصبح مجرد مجنون ، لا وظيفة ،ولا اهل ،ولربما دفنكما سويًا ..زفر بقوة وظهرت حبات عرق على جبينه المحمر وهو يكمل "لقد اشتريت حياتك !! وهكذا تجازيني " ..

صرخت رغم الخوف في قلبها " لم اطلب منك شراء حياتي ..ثم ..اخبرني الآن ، ما الثمن الذي دفعته " ..

تنهد وهو يحاول ان يهدأ ، اقترب اكثر وهو يتحدث بحنان " الثمن هو ان تخرجي من حياتها للأبد .. تسافرين للخارج ولا تعودين ابدًا .. نظرت وهي تحفزه لإكمال الحديث بسؤالها .."أسافر إلى أين.. ومع من ؟!!" ..

- تسافرين معي ...!!

نظرت اليه بذهول فحاول تدارك الوضع " لم يكن لدي خيار آخر ..لطالما احببتك يا ترف ..صدقيني هذا هو الحل الامثل .. سأجعلك سعيدة وسنتزوج سريعًا ..لا تقلقي لمسألة زواجك ذاك فستحررين منه في غضون ايام ان وافقتي "!! ..

كانت الصدمة كبيرة، لم تفكر ،او تظن ،او تتوقع ، او تعتقد ان هذا سيحدث ..يظهر عمر اليها بعد هذا الوقت ليطلب منها السفر معه والزواج ..هل هذه مزحة سخيفة ،ام ان حياتها قد اصبحت سلسلة نكات لا اكثر .. كان استفزاز كلماته واضح في معالم وجهها ،ورغم كل شيء الا انها لم تأبه ما قد يحدث وهي تزم شفتيها وتقول " لم اخبرك مسبقًا انني امرأة لا تهرب ..أليس كذلك ؟!! .. لم اخبرك انني امرأة لا تفضل الحلول الجاهزة والسريعة ،بل تفضل الطرق الوعرة والمليئة بالنتوءات ..!! لم اخبرك مسبقًا انني لا اشتري الورد الجاهز الخالي من شوكه ..بل افضل ان ابعد الشوك بنفسي واتألم احيانًا كي اشعر بعد ذلك بالسعادة الحقيقية عند رؤية وردة جميلة خالية من شوكها ... رفعت صوتها اكثر وهي تقول ..ولم اخبرك مسبقًا ان في موقف كهذا سأختار الموت على الهرب مع شخص يظن انه اشترى حياتي ..اذهب انت وعرضك الى الجحيم .." .. نظر بعينان محمرتان وانفاس متسارعة ..لم يكن يتوقع منها هذا العداء ، ولا جوابًا كهذا ..ولكنه نسي انه ينبغي ان يتوقع الغير متوقع من امرأة مثلها ..

شعرت بالارتياح رغم الصوت القوي الذي اصدره الباب عندما اغلقه بقوة ..نعم ..لقد كان ما فعلته هو الصواب ..أحقًا كان يريدها ان تمضي حياتها هاربة ، ولِمَ ..؟!! ما الذي فعلته كي تُحرم من اهلها وحبيبها ووطنها ..أأصبح الحب ذنب عاقبته الهرب ..!! تبًا لهم ولِما سيفعلون .. !!

. . .

ما زال بندر يبحث عنها ..عن زوجته ..عن حبه الضائع وحبيبته المختطفة ..لقد أمسك بخيط دله على بداية الطريق ولكن الآن يبدو ان الخيوط تشابكت بتعقيد بالغ ..كيف له ان يفككها في وقت قصير .. هذا ما كان يؤلمه ..غير انه لم يعد قادرًا على التهرب من اسئلة الجميع .. اهلها واصدقائها وزملائها في العمل ..جميعهم لم يكفوا عن السؤال عنها واصبح من الصعب تجاهلهم .. ولقد كان الموضوع يمسه من جهتين ،فمن جهة فهو ضابط وقد ألزم نفسه بتلك القضية ،ومن جهة اخرى فهي زوجته وقد كان لزامًا ان يبحث عنها ..هكذا كان يلومه المجتمع على كل تأخير يحدث ،وكل يوم يمر دون معلومة جديدة عن مكانها ..

..كانت ترف شبه نائمة عندما وجدته يدخل بكامل ثقته " اردت ان اخبرك اننا سنترك هذا المكان مساء هذا اليوم " ..قال تلك الكلمات وهمّ بالمغادرة متظاهرًا بعدم مبالاته للجواب الذي سيأتيه ..

- دقائق ..الى اين سنذهب ؟!

كان يوليها ظهره عندما رد " لقد اخبرتك مسبقًا .." ..

-ولكنني لم اوافق ..

- كان قرارك خاطئًا ،وهذا ما جعلني اقرر عنكِ ..

- هل ... هل ستجبرني على السفر معك ..

رد ببرود " ان استلزم الأمر !!"

ردت بصوت حزين ،تظهر آثار البكاء فيه " لماذا تفعل بي كل هذا .. "!!

التفت لينظر اليها وقد اختفى قناع لامبالاته وحل مكانه حنان بالغ " لأنني احبك ..لا استطيع ان افقدك بسهولة هكذا " ..

حاولت استعطافه وهي ترفع عيناها اليه وتسمح لدموعها بأن تتدفق " ولكن ... ولكنني لا اريد ذلك " ..

نظر اليها بنظرات يعتصرها الألم وبصوت مخنوق رد وهو يقف " لا اعتقد اننا نحصل على كل ما نريد دومًا " ..

..زادت كلماته تلك حزنها جدًا ..واصبحت متعبة كثيرًا وضائعة ايضا ..كانت تبكي وتبكي كطفل أضاع امه ولم يجد سوى ان يختبئ في اقرب ركن ويبكي وحدته ..ما الذي ستفعله ..!! لقد اصبحت عاجزة تمامًا ولا وسيلة للهرب ..كانت تعلم ذلك فلقد حاولت مرات عديدة ولكن دون جدوى .. كانت تتمنى ان تتخلص من نفسها ،او بالأحرى هذا ما اقدمت عليه ،ولكنها لم تملك الجرأة لفعله .. كانت تدرك ان الروح أسمى من ان تزهق لأجل شخص او ظرف ..كانت مؤمنة بالأمل وما يحدثه من تغيير في ذلك الواقع الذي نعيشه ولكنها وعلى ما يبدو قد بدأت بفقدان بعض ما آمنت به ..

كان لديها الصباح بطوله لتلوم نفسها على هذه الحياة القاسية التي عانت من احداثها ،ويبدو ان دهر بأكمله سيمر الى ان يأتي المساء المرتقب .. تعبت من بكائها ولكنها لم تكف عنه الا عندما اوقفها صوت كانت تعرفه جيدا .. من الذي يناديها ؟ انها هي ..صوت بداخلها حثها على النهوض .. هل استسلمتِ ؟ أمَا عاهدت نفسك ان تظلي قوية للأبد .. ؟ أستنقضين العهد ؟ ردت على صوتها الداخلي بخيبة أمل ..نعم ..لقد استسلمت ..استنفدت كل الطرق ولم اجد مهربًا ..حتمًا هذا هو قدري .. سمعت الرد .. " لا ..ليس هذا قدرك ..ليس قدرك ان تستسلمي بسهولة ، ليس قدرك ان تعيشي مع من لا تريدين ..ليس قدرك ان تتخلي عن حبك وتتنازلي عنه بسهولة!! ..ألم تحلمي بأن تكتبي قصتك بنفسك ..! فلماذا تتركين لغيرك المجال كي يكتبها بدلا عنك ..يقرر بدلا عنك .. لماذا تتنازلين عن بطولة قصتك وتتركين لغيرك ذلك ..!!

كانت تستمع لصوت ضميرها وتتنهد ..يا الهي ،انه محق في كل ما يقوله ولكنها تتمنى لو يسكت فحسب ..وبينما هي تحاول اسكات ذلك الصوت اذ

فُتِح الباب ،وأدخل احد الحراس الطعام وأغلق الباب وراءه ..فكرت قليلا ..عليها ان تحاول الخروج علها تجد امرًا ما في الخارج ..فلتحاول ان تجد هاتفًا على الأقل ..انتظرت قليلا وقامت بطرق الباب بشدة بحجة الذهاب الى دورة المياه ..فتح احدهم الباب بوقاحة بالغة وهو يسأل بأسلوب كريه " ما الذي تريدينه " .. ردت بمبالغة وهي ترفع صوتها لتريه عدم خوفها "اعتقد انني قلت اريد الذهاب الى دورة المياه ..أهذا ممنوع أيضا " .. نظر اليها بازدراء وهو يخبرها بأن تنتظر قليلا.. راقبت ملامحه المفزعة بهلع وهي تحاول ان تتماسك ..كان يبدو مخيفًا جدًا عن قرب وهو يتحدث معها.. ما هي الا ثواني قليلة حتى فتح الباب وأومأ لها بأن تتقدم .. رأته يتحدث بهاتفه فلمعت عيناها ، انه بالفعل ما تحتاجه ..ولكن فكرت ،كيف ستأخذه منه وهو في يده ،ودون ان يشعر ؟!! ، وضعه في جيب بنطاله الخلفي وبدأ بمرافقتها باتجاه دورة المياه ،كانت تمشي والأفكار تتضارب في رأسها ..كيف ستفعل ذلك ..يا الهي !! وبينما هي تتساءل رأت طاولة على الجانب الأيمن من ذلك الممر ..في الحقيقة لقد كانت تسير باتجاهها وكان ينبغي ان تغير مسارها لألا تصطدم بها ،ولكنها بالطبع ما كانت لتفوت فرصة كهذه ،واصطدمت بها عمدًا فسقطت ..انحنى لمساعدتها وفي تلك اللحظة ناداه الحارس الآخر فالتفت وراءه ،بحركة سريعة ودون ان يشعر استطاعت أن تأخذ هاتفه منه وتخبئه في جيبها بسرعة ..كانت مرتبكة بعض الشيء ولكنها حاولت ان تبدو طبيعية باستثناء يداها اللتان كانتا ترتجفان بشكل ملحوظ .. أكملت السير في طريقها ببضع خطوات فقط وشعرت كما لو أنها كانت أمتار عدة ،ما ان دخلت حتى تبدد خوفها قليلا وتسلل شيء من الارتياح الى قلبها ..أخرجت الهاتف من جيبها ..نعم ..ستنفذ كل شيء كما خططت له ..ستتصل ببندر الذي كانت تحفظ رقمه عن ظهر قلب وتخبره بما حدث وهو بالتأكيد سيأتي ..فتحت الهاتف لتجري ذلك الاتصال الذي سيغير مجرى الامور ،ولكن ولشدة تفاؤلها لم تتوقع ان يكون الهاتف مغلق بكلمة سر .. اشتعلت حيرتها وعاد الخوف اليها.. لم تجد الا ان تتصل بالشرطة ، ما ان نقرت على الارقام الثلاثة حتى اتاها الصوت ..

- مرحبًا ..كيف نستطيع مساعدتك ..؟!!

شعرت بشيء من الارتياح المصاحب للقلق.. منذ مدة لم تسمع صوت اي شخص عداهم ،وها هي الآن تجد احدهم يتحدث معها ليساعدها ..لم تصدق ان كل الألم ذاك قد يتحول لأمل يغير حياتها ،ردت وهي تخفض صوتها وتنظر الى الباب بترقب ..

- ألو ..مرحبًا ..انا ... انا اسمي ترف ..اختطفني اشخاص ووضعوني في مكان يشبه مبنى قديم ..لا اعلم اين بالضبط ..ارجوك ساعدني ..ارجوك ..

كانت تتحدث اليه وبدأت تبكي ،ظنت انه الفرصة الوحيدة للخلاص مما هي فيه ..

- هل من الممكن ان تهدئي قليلا لو سمحت ..اريد معلومات عن المكان على الأقل ..صفيه

- اخبرتك انني لا اعلم ..تعقب المكالمة لتصل الي ..زوجي ضابط شرطة اسمه بندر ..بندر القحطاني ، اخبره بانني اتصلت ..المكان شبه مهجور ..كنت في الطريق الجبلي الفاصل بين جدة والمدينة وهناك اختطفوني ..بينما كانت تتحدث سمعت طرقات على الباب ،كان الحارس يسألها بشيء من العصبية ان كانت قد انتهت او لا ..وضعت يدها على سماعة الهاتف كي تمنع صوتها من التسلل وهي تخبره بأنها ستخرج بعد قليل ..

-لا استطيع اطالة المكالمة اكثر ، علي الذهاب ..مساء اليوم سنسافر ..لقد اخبروني اننا سنترك المكان ، ان لم تصلوا الي الآن فلن تجدوني ابدًا ..

- حسنًا حسنًا ..لا بأس ..لقد تعقبنا المكالمة ،حاولي المماطلة قدر المستطاع الى ان نصل ..لا تتركي هذا المكان الى ان تصل دوريتنا ..

انهت المكالمة بسرعة وقامت بغسل وجهها وبللت شعرها بقطرات من الماء ولكنها لم تكن مرتاحة حيث انها الآن لديها مهمة اخرى ،عليها ان تعيد له هاتفه قبل ان يعلموا بما فعلت ،والا فإن كل شيء قد يفشل .. خرجت وسارت في طريقها راجية ان تجد فرصة تساعدها على اعادته ..سارت بخطوات بطيئة علها تجد الحل خلال الثواني المتبقية ولكن

في تلك الثواني المتبقية حدث ما لم تكن تتوقع.. سمعت صوت اهتزاز ثم صوت موسيقى يعلو صوتها ..اغمضت عينيها وابتلعت ريقها راجية أن تحدث معجزة في ذلك الوقت ويصم الجميع فحسب ..ولكن ذلك لم يحدث ،تفقد جيبه الخلفي ليخرجه ..نظر اليها باستنكار عندما وجدها هي مصدر الصوت ،ذهب لتفقد جيوبها ..وقد وجده حقًا ..!

***بعد ربع ساعة**

كانت ترف ما تزال تذرع الغرفة ذهابًا وايابًا وهي مرتعبة بحق ..لقد فضح امرها ..ما الذي سيحدث !! لم يدم تفكيرها طويلا حيث سمعت صرير الباب الحديدي وحينما نظرت الى الشخص وجدته عمر ..نظر اليها والشرر يتطاير من عينيه ..كانت خائفة من نظراته تلك ولكنها حاولت الا تظهر ذلك له ..اقترب وهو يتحدث بنفاد صبر "ما الذي فعلته !.. أخبرتهم باسمي أليس كذلك ..!! اقترب اكثر وقد امسك بشعرها من الخلف وهو يكمل بذات الهدوء المخيف " هل تدركين الآن انني سأفقد كل شيء .." ..حاولت التملص من يده الممسكة بشعرها ولكنها لم تستطع ..وقبل ان تدرك وجدت صفعة قوية توجه اليها جعلتها تسقط أرضًا ..نظرت اليه بهلع فوجدت الركلات تنهال عليها وكأنه لا يراها ..وكأنها لم تكن هي .. اكمل عليها حتى لم تعد تشعر به من شدة ألمها ..لا شيء سوى صوته وهو يردد شتائمه " لعينة ..لعينة .."

.. كان بندر شارد الذهن تقريبا عندما دخل اليه فيصل وهو يقول بشيء من الحماس والاثارة "لن تصدق ما حدث قبل قليل " ..

ولكن بندر لم يعر حديثه اي اهتمام وهو يقول بلامبالاة "ما الذي حدث !!"

- لقد تلقت الشرطة اتصال من امرأة طلبت المساعدة واخبرتهم انها مخطوفة ..وكانت الصدمة عندما اخبروني انها ذكرتك بالاسم ..قالت انها زوجتك " ..ذهل بندر وتسمر في كرسيه ، كان عمر ينتظر منه الرد ولكنه

صمت قليلا وكأنه يحاول ان يعيد صوته اليه .." فيصل ...أنت لا تمزح ..اليس كذلك ؟!!" ..

- ما بك ..!! هل امزح في امر كهذا ..تعال معي سريعًا ليس لدينا اي وقت لنضيعه ..خرج بندر ولحقه فيصل وهو يشرح اليه ما حدث والخطوات التي قام باتخاذها .."لقد قامت الشرطة بتعقب ذلك الرقم واستطاعوا التوصل الى المنطقة ..قال ذلك وهو يشير بيده الى مكان في الخريطة "انظر الى هذه المنطقة ..هنا حيث حددت المكالمة ..توجد عدة عمارات سكنية ولكننا توصلنا الى ان ثلاثة منها فقط هي المهجورة وستكون إحداها هي مقرهم حسب وصفها ..لقد جهزت دورية فيها عدد من العساكر ..سنذهب الآن ونصبح ثلاث مجموعات لنداهمها الثلاثة .." نظر اليه بندر برجاء وهو يقول "سنجدها أليس كذلك "!!

-بالتأكيد ..دعنا نذهب ..هيا !!

* بعد مدة..

توقفوا امام المكان المشار اليه في الخريطة ..كان مقفرًا تقريبًا الا من بعض المباني ..نزل بندر وهو يشير للآخرين كي يتخذوا مواقعهم ،وما هي الا ثواني حتى كانوا جميعًا مستعدين لاتخاذ الخطوة التالية ..بدؤوا بالسير ببطء وكل فرقة بدأت باقتحام المكان المكلفة به ..كان بندر قد بدأ بالبحث في تلك الشقق الخاوية ..كانت قديمة جدًا ويبدو انها لم يقربها احد منذ اكثر من عقد تقريبا ..كان يسمع اصواتًا كثيرة وحين يلتفت يجدها اصوات لجرذان او حشرات ،فهذا ما كان يملأ المكان ..راوده خاطر ان تكون ترف حبيسة مكان كهذا ولكنه حاول ان يبعد تلك الافكار من رأسه ،يبدو ان هذا المكان خالٍ تمامًا ،هكذا فكر بصوتٍ عالي ..همّ بترك المكان وفي أثناء ذلك سمع نداء من جهازه اللاسلكي الذي كان يحمله " الرجاء من الجميع التوجه الى مبنى رقم 16 على الفور ، حول " سمع ذلك وتوجه مباشرة الى المبنى وما ان دخل حتى وجد الجميع هناك ..قبل ان يسأل تكلم فيصل وكأنه يخبر الجميع " لقد وجدنا هنا ادلة لوجود اشخاص ولكن يبدو انهم تركوا المكان ..علينا ان نفتشه جيدًا ..اذهبوا .." نظر اليه بندر وبدون

ان ينطق بأي كلمة فهم فيصل توتره الظاهر عليه ،ربت على كتفه وهو يخبره بأنهم سيجدونها .." كيف لهم ان يسبقونا دائمًا ..كيف ذلك ؟!!" كان تعليقه ذاك اكبر بكثير من الكلام الذي يحمله بداخله ولكنه سكت وكبت غضبه ..اغمض عينيه واسكت كل مآسيه ،وبينما هو غارق في قمع نزاعات مشاعره الداخلية ،سمع صوتًا خارجيًا انتشل قلبه من سكونه ..لم يكن ما قاله ذلك الشخص مجرد نافذة امل لبندر ،بل وجد ابواب الأمل مشرعة له وبقوة ايضًا ..كان صوتًا لأحد أفراد الشرطة يخبرهم بوجود امرأة في غرفة في الدور الثالث ،وقد وجدها مقيدة داخل خزانة ..

(وأخيرًا ..)

« كنت ادرك انني سأجدك ..كنت انتظر تلك اللحظة منذ زمن ..وكأنك كنت تخبرين قلبي ان يواصل المسير لأنك هناك ..تنتظرينه في نهاية النفق »

تضاربت الاصوات في ذهنه ،لكن صوتًا واحدًا كان صداه اقوى ،ذلك الصوت الذي كان يخبره انها ترف ..ركض بندر كما لم يركض من قبل ..ركض ولم يعر اي انتباه لأي شيء اصطدم به او خلفه وراءه ،طالما ان الامر يتعلق بها فلا يهمه ان يترك الدنيا بأسرها وراءه ..

وقف بجانب الباب وذُهل حينما رآها ..نعم انها هي ..يا الهي انها ترف ..ظل ينظر اليها ولكنه لم يقوى على تحريك قدميه للذهاب اليها ،اراد ان يضمها ولكن جسده خذله تمامًا وشعر وكأنه قد شُلّ في تلك اللحظة ..يبدو أن لنظراتها تأثيرًا اقوى مما كان يعتقد ..نعم ..اكثر ما كان يفتقده طوال تلك المدة هي نظراتها ..لقد واصل البقاء على قيد الحياة طوال تلك المدة متشبثًا بذكرى رموشها الساحرة ،جفناها الواسعان ،وعدساتها السوداء التي تلمع عندما يغازلها ..كانت تقول ان الحب يجعل أعيننا تلتمع ..!

ظل ينظر اليها واستوعب انه يحفظ كل تفاصيلها الصغيرة ..بؤبؤا عيناها اللذان كانا يتسعان اكثر عندما تركز في اي امر ،او تتفاجأ ..وعلى العكس حين تغضب فقد كانا يظهران بشكل اكثر ضيقًا ..

لو ان هذه التجربة المريرة قد اهدته شيئًا ،فهي بالتأكيد قد اهدته اهم ما في حياته ..كان يريد دومًا ان يعرف كيف يمكن ان يفز قلبك من اجل شخص ، كيف يمكن ان تشعر بما يحدث لشخص آخر رغم انك لم تراه منذ مدة

،تتألم لألمه ،وتشعر بوجعه ،تحزن لحزنه وتبكي عندما تدق اجراس غريبة في قلبك لتخبرك انه يفتقدك ..وقد عرف الآن كيف يحدث ذلك ..لقد عرف ان القلب حين يسكنه شخص يصبح من الصعب جدًا ان تعود الامور كما كانت سابقًا ..انت لست ذات الشخص بعد ان تحب ..علم ان الحب يغير ،يجعلك تضحي بكل شيء من أجل شخص واحد .. كل شيء مقابل شخص واحد ؟!!.. حقًا الحب جنون ..!! جعلها تتربع عرش قلبه ،جعلها الانثى الحقيقية والاولى والأخيرة في حياته ..جعلها هواءه ،اكسجينه الذي يتنفسه ،وبعد كل ذلك بالطبع سيصبح مجنونها .. ظل يتساءل ..كيف لقصة كره ان تتحول هكذا الى قصة عشق مجنون ..!! كيف له ان يتزوجها بالإجبار ومع ذلك يحبها برضاه ..ما بال قلبه ..!! ألم يكن يسخر سابقًا من الجنون الذي يصيب العشاق ..ألم يكن يخبرها انه لو كان مكان قيس يومًا لما قبض على الجمر من اجل فتاة
احبها ..ولكن ..يبدو ان الحب يلقنه درسًا ويعلمه ألا يسخر منه بعد الآن ..يبدو انه قرر الانتقام منه فجعله أحد ضحاياه ..فكر .. ولكن لا بأس في أن اكون ضحية له ،إن كان هذا ما اشعر به جراء كوني أحد ضحايا الحب ..فأنا اقبل انتقامه ،وأقبل ان اظل له أسيرًا أبد الآبدين ..

يا الهي ..منذ متى وانا افكر هكذا ..منذ متى وأنا أؤمن بالحب ..انها تلك الماكرة ..لقد أسرتني ،ولو اخبرني أحدهم بأنها سحرتني لكنت مصدّقه تمامًا ..فلتأسف على حالي ايها القلب ،ومرحبًا بي أسيرًا في شباكها، هكذا أقر لنفسه حينما كان ينظر لأميرته الفاتنة ..

اقترب منها وبدأ يفك قيودها ولكن عيناه لم تكن تنظر الى القيود حول يديها او العُقَد التي كان يهم بفتحها ، كان ينظر الى عيناها ،وهي الأخرى كذلك لم تبعد عيناها عنه ..فك قيودها وأبعد الشريط اللاصق عن فمها ..ولكنها لم تتحدث ..أراد ان يسألها عن حالها ..ولكن ..ألَه الحق في أن يسألها عما بها وهو يرى كل شيء واضحًا امام عينيه .. نظر الى وجهها ،كانت الكدمات والجروح ظاهرة عليه ..سألها بمرارة وحزن ..بصوت خنقه الألم .." ترف .. ما الذي حدث "!! ودون ان تنطق بكلمة اغرقت رأسها في صدره المفتوح أمامها ، غاصت بقوة وكأنها تريد ان تحتمي به من

قسوة ذلك العالم ..كانت رجفة يديها تحكي عن خوف يسكنها ولم يتبدد بعد ..سقطت دموعها حارة لتحكي عن وجع يحرقها ..ضمها بقوة اكبر وهو يشدها اليه وكأنه يريد ان يدخلها بداخله كي يبعد عنها كل أذى ..اراد ان يشعرها بالأمان ويعيد اليها الثقة بأنه سيحميها للأبد.. كانت ما تزال يداها ترتجف واراد لو انه ابقاها بين ذراعيه الى ان تهدأ ولكن الوقت لم يكن في صالحهم وكان لا بد من ان يتركوا المكان ..ابتعد عنها قليلا وهو يربت على رأسها "سأعود اليك بعد ثواني " ..أمسكت يده بقوة وكأنها تخاف ان يذهب ولا يعود.. وكأنها تخاف ان يكون كل ذلك حلم ..نظر اليها ،وغطت الدموع عيناه دون ان يجعلها تراها ..شد على يدها واعادها الى حضنه ،كان يود لو يحرق هذا العالم بأسره كي يجعلها تستدفئ به ..ابقاها فترة اطول "لقد اتعبتني كثيرًا ايتها الشقية ..هل تدركين عدد الليالي التي لم انم فيها بسببك !!" ابتسم وهو ينظر اليها ،فلم تجد الا ان تبتسم له ..استغل هدوءها وقبل وجنتها وهو يهز رأسه بتأكيد
"سأعود ..حسنًا ..انتظريني !!" ..اومأت بالموافقة فابتسم لها وخرج ..

توجه الى حيث كان يقف فيصل ..

- أخبرني ..ما الذي حدث معكم !!

- للأسف لم نجد اي شيء الى الآن ..يبدو انهم علموا بأمر الاتصال وغادروا المكان قبل ان نصل ..حسنًا ..اخبرني ..هل اخبرتك بأي شيء عنهم ..كم عددهم ..او لماذا قاموا باختطافها ..

- بصراحة لم اسألها ..انها مرتعبة جدًا ..ثم اننا ندرك السبب ..لقد كانت لميس ويبدو انها مسألة انتقام لا اكثر ..أليس كذلك ..

تملص فيصل من الاجابة وادار وجهه " كنت اود اخبارك ان المحقق ياسر قد انضم اليك في هذه القضية وقد اخبرني بأن اطلب منك ان تذهب معها الى مكان آمن بحيث لا يعلم احد به ..وان تبقى مسؤولا عن حراستها بصفتك الشخص الوحيد القادر على البقاء معها ..

- ياسر ...!!! ولكن ..ما دخل وحدة مكافحة الجرائم بذلك ..انها من اختصاصنا نحن ..!! اخبرني فيصل ..هل هناك امر لا اعلمه بعد ..!!

ابتلع فيصل ريقه وهو يقول "اسمعني .. لا بد ان اخبرك بما وصلنا للتو ..رغم اني لا اريد بصراحة ولكن يجب ان تعرف ..!!

- نعم ..نعم ..ما الذي يجب ان اعرفه ...!!

- استطعنا ان نصل الى شخص كانت تتعامل معه تلك التي تدعى لميس ..وهو بدوره ساعد في اعطاءنا بعض المعلومات مقابل اخلاء سبيله ..كان يشبك يداه بتوتر وهو يكمل " لميس تملك اكثر من 15 مليون ريال في حسابات متواجدة في الخارج ..تستطيع اعتبارها حسابات غير شرعية ..حاولنا قدر المستطاع الوصول اليها ولكن لم نستطع ولكن امر واحد اكتشفناه فأكد شكوكنا .. وصلها تحويل مبلغ مليونين ريال من قبل اسبوع تقريبًا وتخيل ممن ..!!

استعجله بندر كي يتحدث رغم الذهول الذي اصابه "ممن !!" ..

- مصطفى المنصوري ..اكبر تاجر ممنوعات في الشرق الاوسط .. كادت عينا بندر تخرج من مكانهما وهو يحثه .."يعني ..!!" ..

- يعني ان المسألة واضحة تمامًا ..لم تكن مسألة الاختطاف لغرض شخصي بحت ..بل كانت اكثر من ذلك ،كانت انتقام بشع للغاية ..اخبرتنا زوجتك عندما اتصلت بأنهم كانوا سيسافرون اليوم وهذا يعني ان سبب الاختطاف هو لأجل استخدامها ..اما من اجل نقل الممنوعات او من اجل المتاجرة بها ..لقد كنا نبحث عن ذلك الشخص منذ سنوات طويلة كما تعلم ولم يكن يبدو لنا انه قد دخل السعودية منذ فترة طويلة ..ولكن الظاهر انه كان يستخدم عملاء سريين لإتمام مهامه .. بالنظر لثراء والد لميس الفاحش فلربما يكون هو ايضا متورطًا في ذلك ولكن دون ان يثير حوله اي شك ..نظر فيصل الى بندر "أثار الامر حيرتي عندما وجدنا زوجتك فبما انهم قد حولوا المبلغ للميس كما يبدو كان لا بد من ان تسلمهم

امرأتك ..ولكن ..الغريب في الامر انهم تركوها هنا ..!! للأسف قد تكون لميس هربت وقد يحاولون الوصول بطرقهم الخاصة..

- تعني !!! ..

- نعم ..اعني انها في خطر ..يجب ان نهتم بحراستها والا نثير ضجة حول ايجادها ..سنحاول ان تظل المعلومات حول مكانكما بيننا قدر الامكان ..ولكن ..نحتاج لأن تحكي لنا زوجتك عن كل ما رأته وعن كل ما حدث لكي نستطيع التحرك اكثر ..هل تفهم ..!! اومأ بندر برأسه رغم انه لم يبد عليه انه قد استوعب الكلام تمامًا ..

ذهب اليها فوجدها كما تركها لم تتحرك ..ولكن ..كان يبدو عليها انها تفكر بعمق ..تساءل "ما الذي يشغل ذهنها ..!! لا بد انها قلقة كما هو الآخر ..كان قلقًا منها وعليها ..فهناك عدة امور ما زالت عالقة بينهما ،هناك عدة قصص لم تحكى بعد ،واعتذارات لم تنطق ..كان متأكدًا انه السبب وراء كل ما حدث لها فلولا لميس لما كانت في هذا المكان ..ولم يكن قد فكر بعد فيما قد يفعله اذ هي لم تسامحه ..كان قد بدأ للتو يستوعب ماهية الحب ..ولكن.. يبدو انه قد يُقضى على حبه قبل ان يستوعبه ويفهمه ..

قطع أفكارها بصوته الهادئ الخافت ... صوته الذي كان اقرب الى لحن موسيقي يصدر نغما مختلفا في كل مرة حسب طبيعة مزاجه .. !

لكل مزاج ايقاع مختلف ..دقات مغايرة ..والحان جديدة...

كانت نغماته هذه المرة حنونة ... حزينة ..خائفة ..مرتبكة ...

كانت نغماته متضاربة وكأنها ضربات مبتدئ على مفاتيح بيانو لم يسبق له تجربة العزف ... وكأنها لمسات من شخص لا يكاد يفرق بين العود والكمان ... شخص لا يفهم المغزى من وجود اوركسترا يرفع عصاه مطولا ليعود وينزلها بتروي وهدوء ...

ـــ هل أنتِ بخير ؟!! هكذا سألها ... بينما خرجت منه الكلمات بطريقة تشبه اسلوب من يعرف الاجابة مسبقًا ولكنه يفضل ان يكسر حدة الصمت بأي طريقة ..

هل كانت بخير ..!!وهل كان هو بخير ..!!لم يكن يعلم كما انها لم تكن تعلم ...ان يراها بعد كل هذا الوقت وهذا الشوق والحنين ... ان تعود اليه بعد عشرات الليالي المؤرقة ومئات الكوابيس اللاتي ملأت نومه المتقطع ... ان تعود اليه فيستقر بداخل صدره قلبًا تائهًا انهكته مشقة الدروب وقتله البحث والمسير دون علم مسبق لمكان ذهابه .. او حتى وجود خريطة تحدد احداثيات الطريق ... ذلك انها كانت خريطته وكنزه في الوقت ذاته ... دائه ودوائه .. كانت وحدها الطبيب القادر على اجراء تخطيط لقلبه دون اجهزة ... كانت لشدة مكرها تعرف كيف ترفع منسوب الادرينالين في داخله بابتسامة وتفجر تدفق الدوبامين في خلاياه بنظرة ...

همسة واحدة من صوتها الشجي تنظم مستوى الجلوكوز في دمه .. وضربة واحدة منها على وتر قلبه قادرة على اعادة ضغطه لمستواه الطبيعي دون تكبده عناء بلع اية حبوب ...

هي ...وهي وحدها كفيلة بإعجاز الف جهاز لتخطيط القلب عن تحديد نسبة نبض قلبه في الدقيقة ...!

كان يتساءل في الايام التي قضاها وحيدا ... أتراها نسيته ...؟ هل كرهته ..؟ هل استطاعت ان تعيش حياتها وتنساه ..؟ هل مسحته من ذاكرتها وأزالت بقاياه من قلبها ..وهل اصبح هو مجرد بقايا انسان مر بشكل عابر في ممرات ذاكرتها لتنفضه بأمر واحد منها لذاكرة نسيانها ...!!

وان كانت قد فعلت .. فهل احتفظت برفات لحظاته معها ام انها ألقته للبحر يحمله بين طيات الموج في احيان ،وفي احيان اخرى يبتلعه في جوفه كحال البحر الغادر الذي تبتدأ على شاطئه معظم قصص الحب المثيرة وتنتهي وسط موجه المتلاطم ايضا ...

كان يتذكر احاديثها كلها ..قناعاتها ..مبادئها ... كل تلك القوانين الصارمة التي كانت تؤمن بها .. بل آمنت بها بعد خيبتها الأولى والثانية وكسرتها على يديه وبين يديه ...

اخبرته ذات مرة انها تأكدت ان شعورها تجاه عمر لم يكن اكثر من اعجاب ،وانه لم يكن سوى عابر لم يخلف وراءه اي اثر ...اخبرته ان شعورها المزيف الذي اوهمها به قلبها لم يكن اكثر من مجرد كذبة افتعلها قلبها ليحفظ لها ماء وجهها لئلا تثير شفقته و لكيلا يكون لديه اي مجال للتفكير بالتسلي بها ...

كانت في ذلك الوقت تشعر بتيار مشاعر يجرفها نحوه ..وكانت بحاجة لأي وسيلة لصده عنها ..حتى وان كانت تلك الوسيلة حب مفتعل ..حتى وان كانت شخص ..وحتى وان كانت عمر ...

رفعت رأسها بشرود واضح وردت على سؤاله بإيماءة واحدة منها ..ايماءة كان يراها ممتلئة بالكذب والخيبات وملايين الجروح ...

تُرَى من الذي جرحها ... هو ام هم ؟! هل تراها غير قادرة على الحديث معه بسببه ..ام بسببهم ..؟!

كان يتمنى ان يسألها ولكن الوضع في الوقت الراهن لا يبدو بخير .. اقترب منها بخطوات بطيئة ... كل خطوة كان يخطوها كانت تجعل قلبها يُجَن .. كانت متناقضة في ذلك الوقت .. أسيرة للأحزان ،ولكن وجوده بجانبها يضفي رونقًا لحزنها ...كانت تتمنى لو تقفز من مكانها لتحتضنه بكل ما أوتيت من قوة .. كانت تتمنى لو تجعل قلبها يلامس قلبه عساه يخفف عنها شعورها بالخوف ...

بعد ستة أشهر من البعد ... أربع وعشرين أسبوعًا من الضياع ... 168 يوما من الشعور بالوحدة والشوق ..كانت تتمنى لو ان اضلاعها تتشابك مع اضلاعه فتغدو جزءا منه .. كانت تريد لروحها ان تتوحد مع روحه ... ولكن .. كيف لغريبين ان يندمجا ..؟! لقد جعلتهما الظروف

غريبين ومختلفين ..فما عادت تصدق حقيقة انه ما زال كما هو ..كما انها اصبحت متشككة من انه هو ما تريده هي ..

وفي وسط جحيمها و افكارها المتضاربة وشرودها المتصنع شعرت بيد دافئة تمسك بيدها لتستند عليها وتقف ...

قبضت بقوة على تلك اليد ... شعرت كما لو ان يده ادفأ صيفٍ مر عليها .. يدٌ واحدة لشخص واحد كانت كفيلة بأن تذكرها بجميع الاشخاص الذين ينتمون اليها ولقلبها ...

يدٌ واحدة وكأنها العالم اجمع .. بقوة يد ابيها رفيعة الاصابع ..وحنان يد امها رقيقة الملمس .. و لطف صديقتها حين تحاول ان تبث اليها الامل في هدوء ...

يدٌ واحدة عنت لها كل من احبت وجعلتها تشعر بالأمان وكأن كل اسرتها تمسك بيدها وتشدها كي تقف من جديد وتحارب المآسي..

وقفت استجابةً ليده الممتدة ... يده التي تركت يدها وراحت تبحث لها عن مكان آخر فاستقرت اخيرا خلف ظهرها لتضمها وبقوة اليه.. هل كان بشرًا ام مجرد موقد .. وهل كانت هي شخصًا ام مجرد حطب ما ان لامس ناره حتى زاد الاشتعال ... وهل كان حضنه مجرد ضمة ام محاولة لدمج قلبيهما معا ...

كان لحضنه ذاك أثرا عميقا في داخلها.. جعلها تشعر بالأمان بينما لامستها المشاعر الحارة تنسى كل هواجسها وكل ما مرت به ... استسلمت لحبه ..لدقات قلبه المتبعثرة .. لفوضى تنفسه وتناقض شهيقه وزفيره ... كادت تسلم نفسها مرة أخرى لمشاعرها الأولى تجاهه، او بالأحرى ذلك هو ما امرها به قلبها المراهق الغبي .. قلبها الذي كان سببا رئيسيا لكل ما مرت به.. ولكن عقلها استيقظ ليمنعها من فعل امر قد تندم عليه لاحقا ...

في وسط تلك النار الضارمة بين جسديهما شبت الصراعات واندلعت الحرائق.. قامت الاعاصير وزادت العواصف ...

حرب عظيمة كان طرفاها عضوان في جسد واحد ...!

بين العقل والقلب وقفت قراراتها ...

بين ما يجب وما تريد حارت هي .. وبين الشعور والمنطق وحنين قلبٍ انهكتها تصرفاته الطائشة والغير مسؤولة ..كطفلٍ صغير يلهث وراء كل امر يعجبه مهما كانت العواقب ..او كفراشة رقيقة كانت رقتها تلك سببا لولعها بالبريق ،فتطير مسرعة باتجاه نارٍ تذيبها فور اقترابها ...

كانت تفهم ان سبب شقائها هو انها اختارت لنفسها ان تعيش في غابة هذا العالم بقلب فراشة ... او كما تقول مستغانمي فقد كانت تجوب الغابة بحسن ظن فراشة ...

ولكن ... كيف استطاعت ان تفعل ذلك ... في عالم ملأه الذئاب والوحوش والأسود ... في عالم بات فيه المفترسات من القوة ان تغذو على مفترساتٍ اخرى ... أيعقل ان تكون على هيأة فراشة ..؟! أيعقل ان تتخذ من ذلك المخلوق الرقيق روحا لها ومظهرا تجوب به غابة ..!! أيعقل ان تعيش الرقة وسط الظلم والحروب والظمأ والمجاعات ..!!

بصراحة لا اعلم ...ولم تكن هي تعلم بدورها .. كانت تخشى دوما ان يحولها سوء هذا العالم الى شخص بلا احاسيس ... ذلك ان الاحاسيس تعيش في القلب ،فهل يعقل ان تبقى احاسيسها على قيد النبض وقد مات قلبها ... ؟هل نحن من نختار ان نقتل قلوبنا ام انها تموت دون ان نشعر في غفلة منا ... وعندما تموت هل تصلنا استمارة وفاة لنملأها عنها فنعلم بموتها ،ام ان مواجهتنا لبعض المواقف بقسوة ودون ان يتحرك لنا جفن هو ما يخبرنا بأنه منذ وقتٍ قد مضى كان ينبغي ان نؤدي طقوس الوداع لموت ارواحنا ..!

لم تكن تعلم ولكنها كانت تفهم تماما ان دفأه بات يحرقها ويشعل النيران داخل صدرها .. شعرت بأن ناره لم تعد نار دفء وامان وانما استحالت نار حرق وخراب .. !!

لم تعد متأكدة من انه قد يكون وطنا وفيًا ،فحتى الاوطان تخون ..وحتى الاوطان تتغير ..تُحتَل وتُستعمر ... !

حتى الاوطان تُسلَب ،تُسرَق ،تُدَمر ،تُقصف ...تعقد صفقات واتفاقات سرية لأجل مصلحة رؤسائها فحسب ... حتى هي تبيع شعوبها للغريب وترميه خارجاً لألا تتحمل مسؤوليته .. تجعل شعبها يهترئ .. يدفع ضرائب وجوده فيها الواحدة تلو الأخرى ... تجعله يدفع ضريبة العلم بأقساط مدرسية تكسر الظهر ..وضريبة الفكر بهجوم لا يرحم ووأد لكل حلم ...

ضريبة الامل بصورة مستقبل يلوح بأسى وحاضر لا يبشر بالخير ابدا ..اوطان جعلت لكل شيء ضريبة وعندما يطفح الكيل وتبدأ بالصراخ لتوصل صوتك ،ستدفع الضريبة ايضا .. اَوَلم يخبرك المجتمع من قبل ان للكلمة ضريبة ..!! ذلك ان الجميع احتفى بنا عندما كنا صغارا وبدأنا ننطق اولى كلماتنا وعندما كبرنا وشرعنا بالحديث اجبرونا على السكوت بشتى الطرق ... او كما يقال "أفنوا الوقت في تعليمنا كيف نتكلم وعندما تكلمنا ارادونا ان نصمت "

.. كل ذلك لن يغير من الواقع شيء فقد اصبحت اوضاعنا غريبة على نحو مخيف ..يعلموننا كيف نشد القوس ونضع السهم بالزاوية المناسبة وبالطريقة المناسبة ..يأخذون من اوقاتنا الشيء الكثير وعندما نتقن الرماية ونهواها .. نتعلق بها ونعشقها ..يجبروننا على ألا نرمي ..؟!! وهذا ما اصبحت عليه الاوطان للأسف ..تعلقنا بالأشياء ثم تأخذها منا .. تزرع فينا حبها حتى ينمو ثم تقتله.. وكأن سلبنا ما نحب هو غاية الاوطان التي وُجِدَت لأجلها ... كان حضنه غريبا ..ناقصًا .. لم يكن كاملا.. فقد اعطاها من الامان نصفه وهذا ما لم تكن لتقبل به يوما ... كانت تكره حياة النصف التي تحدث عنها جبران خليل ... تذكرت قوله " لا تصادق انصاف الاصدقاء ..ولا تجالس انصاف العشاق ..ولا تقرأ لأنصاف الكتاب لا تقبل بنصف حياة " ..وأضافت هي لا تستدفئ بنصف عناق ولا تقبل بأن تشعر بنصف الامان ...هكذا حسمت امرها وعندما ابتعد عنها كانت الصراعات قد توقفت والقرار قد اتُّخِذ ..!

. . .

رفع رأسها قليلا لتنظر اليه وبصوتٍ خافت همس بهدوء وهو يقرب شفتاه من أذنها ..

- علينا ان نترك هذا المكان ونجد مَكانا آخر يستقبلنا .. مكانًا نستعيد فيه بعضنا بعيدا عن كل هذه الذكريات الحزينة ... ألا يكفي ما سلبه الزمن منا من وقت ...!!

أبعد رأسه بهدوء ليلاحظ عيناها عله يجد الاجابة الحقيقية التي تريدها وتشعر بها .. اراد ان يجد الاجابة التي يدلي بها قلبها ،لا تلك التي يُجبِر عقلها لسانها على النطق بها .. ولكنه شعر بالخيبة حين لم يجد شيئا ... ما زالت عيناها تائهة وحائرة ... أيعقل الا يكون عناقه قد جعلها تستقر ...!! أيعقل ان تلك اللحظات التي مرت وهي بين يديه لم تؤثر فيها ..لم تُعد اليها حبها له الممتلئ ببراءة طفلة وشقاوة مراهقة ودهاء سيدة ومراوغة انثى ..!! أحقًا ذلك ...!! أحقًا انها قد اصبحت تميل للإجابة بالإيماءات وانها قد صمتت أخيرا .. تلك التي كان يراهن انها حتى لو قُطِع لسانها لواصلت الكلام .. كانت لا تتوقف عن قول ما تشعر به .. اي شيء يحرك مشاعرها تبوح له بذلك ... فما الذي حدث لها .. ما الذي تغير ..؟! كيف لها الا تكشف مشاعرها بعد عاصفة عناقه ...تلك التي كان من المفترض ان تهزها وتعيد الى حبالها الصوتية نغمها الذي اشتاق اليه ...

ادرك انه قد اصبح امام ترغ جديدة لا تشبه تلك التي قضى الايام والليالي في الحلم بها ... ترف بأسلوب جديد .. مشاعر جديدة .. قناعات جديدة .. وملامح جديدة ايضا .. ذلك انها قد ارتدت الحزن وصنعت من الكآبة قناعًا بدل ذلك الوجه المليء بالسعادة الذي كانت تحمله سابقًا ..

تساءل بشيء من اليأس ... هل أستطيع ان أُسقِط قناعها الجديد واعيد اليها وجه امرأتي .. هل ستسمح لي بأن أُخيط جِراحها وأضمدها كما كانت تفعل دومًا معي ...ام انها ستكابر كعادتها وتجزم انها لم تصب بأذى في حين ان نزيف دمها الذي ملئ المكان يفضحها .. لم تتوقف عن كونها مكابرة ولكن بعد كل تلك التغييرات ... هل تغيرت تلك الصفة فيها أيضا ..

نظر في عينيها مرةً أخرى ..و... ما زالت حائرة ... حسنًا اذًا .. سيحتاج لبعض الوقت ليفهم شخصها الجديد الذي اصبحته..

- هل نذهب ...؟! هكذا حاول جعل عيناها التائهة تستقر ... ولم تكن كريمة بدورها ولم تَجُد عليه بكلمة ...أجابت بإيماءة موافقة ..يبدو انها ستمارس لعبة الصمت لفترة .. لربما الى ان تجد في نفسها القوة اللازمة للتحدث بثقة ...وها قد فهم .. ما زالت مكابرة ..!!

حسنًا اذا .. اسعدته فكرة انها ما زالت تحتفظ بشيء من شخصها القديم ...!

أمسك بيدها وسار هو بينما كانت تسير هي وراءه بخطى حثيثة ..جعلها تتوقف قليلا ليبتعد ويتحدث هو وفيصل ... أكمل مسيره وهو يشير اليها بيده لكي تتبعه ... تبعته حتى وصلا الي السيارة وعندما ارادت ان تفتح الباب وجدت يده قد سبقت يدها لتمسك بمقبض الباب وتفتحه ...اسعدتها تلك المبادرة اللطيفة منه حيث لم يكف ابدا عن كونه انيقًا ... ركبت في المقعد الخلفي ووجدته بعد ثواني يركب بجانبها ... كان يوجه السائق نحو الطريق الذي ينبغي ان يسلكه في الوقت الذي انشغلت هي بالنظر من خلال تلك النافذة ...مرت فترة طويلة لم تنظر فيها من خلال زجاج السيارة وهي تشعر بالراحة .. حوالي الاربعة عشر يوما مرت وهي تتنقل بين مساكنهم المقرفة وسياراتهم الممتلئة بأشخاص عن يمينها ويسارها يحرسونها وكأنها نادرة ... ما الذي كان يهم لميس بها على أي حال ...؟!أهو حبها للتملك ...؟!ام محاولاتها لإثبات انها الاقوى امام خصومها ..!!.. ولكن لا فائدة بالنهاية ..فالقلب ليس مجرد غرفة لشخص واحد... ننتزع منها شخص لنحل محله .. ثم ان الحب لا يباع ولا يُشترى ولا يُجبر عليه ... تلك الغبية ..! ظنت ان ترف هي التي جعلتها تفقده ..يا لسذاجتها ..ألم تفهم انها كانت مجرد لعبة غبية وعلاقتهم لم تكن سوى تحايل على الحب ولكن ...في ارض الحب ومملكته لا يعيش المتحايلين كثيرا ... فسريعا ما يقعون تحت قبضة "عسكر العشق" ويزج بهم في زنزانة النزوات والعلاقات العابرة .. ذلك ان مملكة الحب ،مملكة نقية لا تقبل سوى الانقياء شعبًا لها ..فكل متحايل يُحرم من انتسابه اليها ...كل

مخادع لا يُعطى فيها اوراقِا ثبوتية ولا شهادات رسمية ..كل كاذب لا يلبث فيها طويلا الى ان يُقبض عليه فيعيش هاربًا مختبئا حتى ذلك الحين ويُحرم من ختم الابدية لعلاقته ...

راودتها فكرة ..هل تكون هي وبندر أحد سكان تلك الارض ؟! هل يكون الحب قد اعطاهما الاوراق اللازمة للانتساب اليه ...؟!هل ختم على قلوبهم "الى الابد" كما يفعل مع الانقياء ام انهما مجرد تائهان على ارضه ولا يعلمان ..!!

لم تكن تعرف .. فالأوراق على تلك الارض لا تُعطى للعاشق في يده ،بل تخبئ جيدا كي لا يراها ...كي يظل خائفا على حبه وباذلا من اجله كل غالي .. بربكم ...ان العشاق مجانين لا يقطنون مستشفى الامراض العقلية ولا يمشون وبيدهم آلة حادة يخيفون بها المارة ..ولكنهم في النهاية مجانين بشكل او بآخر ... فهل يأمنهم الحب على بطاقاتهم الشخصية ووثائقهم ...!!

نظرت اليه علها تعرف هويتهما في عينيه ..ولكنها لم تفهم ... ما هو ذلك المكتوب على جبينه بلغة لا تفهمها ...

عبثًا تساءلت .. هل هي رموز اغريقية لكلمة "عاشق "بالعربية ... ام انها الترجمة لأحرف كلمة "سارق "..!!

هل عشقها ..ام سرقها منها ..!!

نظرت مطولا ..قد تكون احد كتابات الفراعنة القدامى او مجرد رمز لأحد لعناتهم ... وهل حبهما لعنة ..؟!! هل هو محنة ام منحة ..!! نعمة ام نقمة ..!! هل سيوصلهما الطريق الى الجنة ام انه سيرميهما في نار البعد والفراق ،وغياب المسرات ،واستحضار الذكريات ،والندم والتساؤلات ...!!

كل ذلك لا يهم ... انها تشعر بالدفء في هذه اللحظة التي يجلس فيها بجانبها ..عَمَدًا يتصنع اللامبالاة ،او لعله يعطيها بعض الوقت لعلها تستقر ... تلقي برأسها على كتفه فيختل توازنه الداخلي ويسقط قناع

لامبالاته ...يشعر بانه يريد ان يعطيها اكثر من كتف تسند رأسها عليه .. يريد ان يأوي قلبها التائه ويسكنها بداخله ... بطريقة غريبة وفي لحظة اغرب استجلبت ذاكرته صورتها ذات يوم وهي تسأله بمكر ..

ـــلماذا تجعلون (أنتم الرجال) قلوبكم فنادق وهناك دائما غرفة فارغة لنزيلة جديدة ..؟!

تذكر رده لها حين رد بمكر أيضا ـــوهل ترغبين في حجر جناح ؟! ولكنها صدمته بردها حين قالت " لا يا سيدي ،فأنا لا احب الاقامات المؤقتة ..!"

نظر الى رأسها الملقى على كتفه في تلك اللحظة وتحدث وكأنه يكمل حديثًا سابقًا ..!!

..هل تذكرين تلك اللحظة التي سألتني بها ذات مرة ..لماذا نحن الرجال نحمل فنادق لا قلوب ..؟!!

رفعت رأسها باستغراب وأجابته بحاجبين حائران .. فأكمل "كل ما مررت به جعلني اتأكد ان كل النزيلات لم يكنّ ليملأنني يوما ..ووحدكِ تستحقين ادارة ذلك الفندق حسب تعبيرك ان اردتِ " ..

لو انها ترف السابقة لكانت ردت بدهاء .. "لم اتعلم فنون الادارة بعد "..ولربما اضافت بمراوغة "هل تعلمني ..!!" ..ولكنها في تلك اللحظة لم تستطع فعل اي شيء سوى ان تقابل اعترافه بنظرات مذهولة ..

توقفت السيارة امام احدى البنايات .. بناية بعدة طوابق تقع في موقع استراتيجي للراحة بعيدا عن ضوضاء الشوارع وزحمة الطرق .. كانت تحفها بعض الاشجار وتقع على الجهة الجانبية منها بعض المرتفعات واشجارًا طويلة وكثيفة ...موقعها جيد ولكن ما الذي يفعلونه هنا على اية حال ..!!

- انزلي ..!!هكذا قالها بصيغة الامر ودون ان يوضح لها ما يحدث حتى ... نزلت كما اخبرها ولم تستوقفه للسؤال .. ذلك انها ما عادت تهتم

للاماكن مستودع ..غرفة مهجورة ..والآن شقة .. ما الفرق بينهم ..جميعها تحمل ذات الصورة بداخلها ...

تبعته باتجاه المصعد .. لاحظت انهما يصعدان باتجاه الطابق الثامن .. تمتمت بصوت شبه مسموع " هكذا افضل .."!! نظر اليها باستغراب .."ماذا ..!!" .. ردت عليه وكأنها كانت شاردة - ماذا .. لا شيء ..!!

فُتِحَ باب المصعد في تلك اللحظة ليُنسي بندر ما سمعه ،او ما اعتقد انه سمعه ...

امام احدى الشقق كانا يقفان ..أخرج من جيبه مفتاحًا وبدأ يدير قفل الباب ... فتح الباب وفي ذات اللحظة كان المصعد قد فُتِح .. انه فيصل اذًا ..!!

دخلت هي بينما ظل بندر ليتحدث معه ..ما الذي يحدث .. هكذا تساءلت ولكنها لم تُشبِع فضولها وأسكتته بقولها "بكل الاحوال سينتهي كل شيء "!!

. . .

- انتبه جيدا ..فقد يحاولون اللحاق بكم ،فالقضية اصبحت اكبر واعمق وقد يكون تورط بها عدة أشخاص فعندَما نربط الاحداث نجد انه في هذا اليوم بالذات وبعد ساعة من الآن كان ينبغي ان تكون زوجتك قد اصبحت في ايديهم ..ولكن .. يبدو انهم لا يعلمون بما حدث ويبدو انها لم تخبرهم بدورها لذلك فقد قاموا بتحويل المبلغ لها .. واعتقد انهم لن يسكتوا على اموالهم ان هي بقيت بلا مقابل ... هل تفهم ..!!

رد بندر بقلق برز في عيناه وهلع كاد ان يُخرجهما من مكانهما ...

- هل تقصد انها ...!!

ـــ بالضبط .. قد تحاول لميس الوصول الى زوجتك ولربما تلجأ لإبدال شخص آخر يحل محل ترف ... او ..قد تخبرهم بما حدث وتطلب العون ... نحن لا نعلم طبيعة العلاقة بين لميس وأولئك الذين تتعامل

معهم ..ولكنها بالتأكيد ليست المرة الأولى ..لذلك قد يهرعون لمساعدتها لأمانها وامانهم ...

باتت زوجتك تشكل خطرًا عليهم .. نظر اليه بحزن ... وانت كذلك .. فبالتأكيد ان هم وصلوا اليها لن يتركوا وراءهم اي اثر ...

ابتسم بندر ابتسامة بدت مغتصبة جدا ولكنه حاول ان يُطمئِن صديقه ...

- لا بأس فالمكان هنا بعيد عن الانظار وسأحاول بدوري الا الفت النظر .. سكت قليلا ثم اضاف وكأنه تذكر شيئا ...

- بالمناسبة .. قد احتاج لبعض الوقت لجعلها تتحدث عما حدث لذلك ...فقد لا استطيع امدادك بالمعلومات التي ....أوقفه فيصل ... لا داعي لأن تكمل .. افهم .. لا بأس ...اهتم بها وبنفسك فحسب ..وتأكد انني بجانبك متى احتجت ...

- أنا واثق ... قالها وقد ارفقها بابتسامة ممتنة .. وعقب بعدها ...

- شكرا فيصل .. لن انسى مساندتك ...

ابتسم فيصل وهو يغمز ..." لا بأس ... فقط لا تنسى اضافتها لفاتورتك " فضحك بندر رغم مزاجه المعكر ..

اغلق الباب ودخل ليلقي نظرة على ترفه ... وجدها متسمرة امام مرآة كبيرة معلقة على الحائط .. كانت تنظر لوجهها وتفكر بعمق .. لدرجة انها لم تنتبه لوقوفه وراءها .. كانت تتحسس جروحها التي لم تلتئم بعد بينما توحي نظراتها بأنها تنظر لجروح داخلية اعمق بكثير ...جروح ما زالت تنزف بغزارة ويبدو انها لم يتبقى لها الكثير من الدماء ... تنهد بقلب متعب واحساس كبير بالذنب تجاه كل ما حدث معها .. اقترب منها ببطء .. وضع يديه حول كتفيها في محاولة منه للتربيت على قلبها الذي بات البؤس اكبر منه ... نظرت لصورته المنعكسة في المرآة ولم تستطع ان تحبس دموعها لوقت اطول ... نزلت دمعة حارة تخط على وجنتيها خطا معوجًا ومتخاذلا وكأنها ترسم ما يحدث بداخلها .. كانت دمعة واحدة فقط ...فهذا كل ما جاد به كبرياؤها على احزانها ...

طوال اربعة عشر يوما ذاقت فيها من المر اشده ...لم تبكي ..قابلت كل ما فعلوه بسخرية مصطنعة .. قتلت آمال لميس في اذلالها بثقتها ..ومحاولات عمر لإعادتها اليه ولربما استغلالها ،بردودها الباردة وبغرورها المناقض للأحداث الصاخبة من حولها ..

كابرت في الوقت الذي كان ينبغي لها فيه ان تبكي ..وها هي الآن تبكي في الوقت الذي يلزمها فيه ان تستعيد شيئا من راحتها وطمأنينتها ...

لم يستطع ان يقف دون حراك .. ها هي اميرته الآن تذرف دمعة واحدة ازاء كل ما حدث معها ..وقد كان متعبا لأجلها .. تمنى لو انها ارتمت في حضنه في تلك اللحظة وبكت ..كان يتمنى ان تُفرغ حزنها المعنوي بقطرات مادية تُنزلها من عينيها قبل ان يشوهها الصمت ..

كان يعرف مسبقا أن عدم البكاء ابشع من البكاء نفسه .. كانت تخبره قبل ذلك ان اسوأ درجات الحزن هي تلك التي نختار فيها الصمت المطلق على البكاء .. هل هذا يعني انها تمر الآن بأسوأ مراحل حزنها ..تمنى لو انها بكت فراقهما وما فعلته الايام بها في غيابه .. او انها بكت تعبها وخوفها من الماضي والحاضر ...تمنى لو انها عاتبته على ما حدث بينهما ..على ظنه بها ..لو انها صرخت في وجهه ..عاندت الذهاب معه .. ولكن عبثا .. انقادت معه دون ان تتحدث وهذا ما اثار جنونه ... كان يعلم ان امرأة مثلها لا تبكي ..لا تستسلم ..تكابر الالم والحزن .. تشهر سيوفها في وجه الدموع لتخبرها انها امرأة بمئة انثى ولكن حين يحتد الوضع ستُخرج من كل انثى بداخلها مئة رجل ... كانت ولا زالت تفضل ان تموت على ان تري الايام انكسارها ...

لم تكن امرأة فحسب بل غابة من النساء ...

غابة بعمقها الذي لا يعرف قرارًا ..وغموضها الذي لا يترجم ...وكما هو حال الغابات دوما تراها من بعيد فتحسبها بسيطة وما ان تتوغل في اعماقها وتتشعب فيها حتى تفهم ان في الغابات هناك مفاجئة في كل جحر وسر وراء كل شجرة ...

. . .

أدارها نحوه بلطف ونظر في عينيها الممتلئة ببراءة طفل حزين . كانت نظرته تهزها كثيرًا ..وحدها نظراته كانت تقتلها ..انها الشيء الوحيد الذي لا تستطيع ان تتصنع امامه او ان تكابر .. نظرت للأسفل لئلا تشي بها عيناها ولكنه همس لها ...

..لا تخبئي عيناك مني ...انظري الي جيدا ..هيا انظري ..!!

امسك بطرف ذقنها بخفة ليرفع وجهها نحوه ولكن نظراتها كانت قد سبقته ونظرت نحوه ..

- وحدها عيناكِ لا تتقن لغة المكابرة ..انها الشيء الوحيد الذي لا يكذب فيكِ ابدا .. والشيء الوحيد ايضا الذي يصْدُق في كل مرة ..لو سألتكِ الآن كيف انتِ ..لأجبتني بأنك بخير او لربما اجبتِ بإيماءة كما اصبحت تفعلين ..ولكنكِ لن تجبري عيناكِ على ان تطابق اقوالك ..انها تقول ما يحدث هنا فحسب ..ووضع يده على صدرها ليشير الى قلبها ..

سأسألكِ عن امر ولا اريد منكِ ان تُجيبي .. وحدي سأبحر في عينيك لأعرف الاجابة .. امام ارتباك نظراتها واصل النظر ...

- ترف ... هل اشتقت الي .. !

ماذا يمكنها ان تقول ...!! وما الذي ستقوله وقد استغنى هو عن كلماتها واستبدلها بجواب عيناها .. آاه عيناها الساذجة التي لا تعرف كيف تمكر ولا تخدع .. وحدها عيناها لم تتهيأ لارتداء الأقنعة ولا لإعطاء معلومات كاذبة ... واصل النظر اليها في الوقت الذي شعرت فيه بأنها تكاد تختنق .. أشاحت النظر عنه وابتعدت بسرعة وكأنها تهرب من امر يخيفها ..هكذا هربت من الإجابة عن سؤاله وكأنها صُعِقت بماس كهربائي ..تركته قبل ان يجد الاجابة في اعماقها ..

ولكن ... لماذا هربت ..!! هل كانت تخاف ان تفضحها عيناها امامه ..ام انها خافت ان تُفضَح حقيقة شعورها امامها هي .. هي التي كادت تصدق قول عقلها بأنها ما عادت تريده ..وسط عاصفة تساؤلاته وقف هو ..

ووسط عاصفة دهشتها بما فعلته وقفت هي ... لم يذهب اليها ليسألها ولم يحدثها عما فعلته على الاطلاق ..ذلك انه كان يفهم ان دمج عاصفته بعاصفتها لن يسبب سوى مزيدا من العواصف التي ستشكل بدورها اعصارا قويا يدمر كل شيء بينهما ..

تركها لتنام ..او بالأحرى لتدعي النوم بينما استلقى هو على اريكة تفصلها مسافة خطوات عن سريرها .. كان القلق ينهشه ..لم يكن مطمئنا لما تفعله ..لو انها بكت ..شتمت . صرخت ..عاتبت ..لو انها عبّرت قليلا عن الضوضاء بداخلها لكان اطمأن على الاقل ..ولكن ..ان تقابل كل ذلك الضجيج الذي يفقدها سلامها الداخلي بالصمت ...هذا ما كاد يقتله ..

لم يكن ينوي ان ينام في تلك الليلة ..كان يريد ان يبقى مستيقظا اذا ما احتاجت لأي شيء .. ولكن دون ان يشعر تسلل النعاس الى عينيه ببطء ..دقيقةً فأخرى ..وجد نفسه يفقد تركيزه .. لحظة فأخرى ..كان واقعًا تحت قبضة النوم ..

سرقه النوم من قلقه دون ان يشعر ..اوقف تفكيره بها تماما ..ولكن .. هل سيوقف ما سيحدث .. ذلك ان النوم يسرقنا من الواقع ولكنه في النهاية لا يوقف الزمن ولا يسرق الواقع منا ابدًا ..

(محاولة هرب)

" عندما يجبرنا الوجع ان نصمت .. يكون الالم حينها مضاعف "

على صوت صرخة خوفٍ داخلية .. استيقظ هو ..شيءٌ ما بداخله رن كجرس واعلن حالة الطوارئ لأجلها ..

لأجلها ..؟!! ولكن اين هي ..!!..نظر الى السرير حيث كانت مستلقية قبل ان ينام ولكنه لم يجدها ..تفقد الغرفة بنظراته ولكن ..لا أثر لها ..

وقف بفزع وراح يبحث عنها ..بحث في الصالة ..المطبخ ..وحتى دورة المياه ..لم تكن متواجدة ..ظن انها قد .....، ولكنه توقف امام منظر سيطارده لفترة طويلة من حياته ...

.. على حافة الشرفة كانت تقف .. على عتبتها الرفيعة كانت تتمايل مع هبات الهواء وكان يكفي ان تهب رياحًا خفيفة لتلقيها الى مصيرها المحتوم ... كطيفٍ سلبته الحياة روحه كانت تقف هناك .. كجثة هامدة كانت بلا أدنى شعور .. تنظر بتيه وكأنها تسكن عالما ملأه الاشباح ..

جاء صوته خائفا مترقبًا ... ترف ...ماذا تفعلين ..!!

خرج صوته مهزوزًا لدرجة ظن معها انها لم تسمعه ..وكانت هي شاردة لدرجة اعتقد فيها ان اقوى صرخة قد يُطلِقها قد لا تخرجها من جمودها ...

قال برجاء - ترف ... اعطني يدك ... ولكن عبثًا .. كانت تنظر الى السماء بطريقة مخيفة وكأنها تبسر الآخرين انها ما عادت تهتم لهذه الحياة ،وانها قادمة اليهم .. اعاد تكرار ما طلبه منها وهو يقترب بصورة لاحظتها رغم شرودها ..

- ابتعد .. اياك ان تقترب ..!!خرجت نبرتها مهددة له ومشيرة الى ان اي خطوة قد يتخذها نحوها قد تجعلها تلقي بنفسها دون ادنى تفكير ..

- حسنًا ..لن اقترب ..ولكن دعينا نتفق قليلا الآن ..سأعطيك يدي وستتمسكين بها لتنزلي .. اعلم ان الحياة ليست جيدة ولكن هل تقبلين ان تخسري حياتك وآخرتك ...!أخبريني كيف ستقابلين ربك بأي اجوبة ستجيبين ..!! أخبريني ..!!

ما ان نطق بتلك الكلمات حتى استعادت شيئا من تركيزها وبدأت تفكر بوعي ،وما ان رآها مستغرقة في التفكير حتى اقترب بخفة وبحركة سريعة تمسك بيدها وشدها نحوه لتنزل عن الحافة ..

ما ان وجدت نفسها قد نزلت ووجدت حلمها في مغادرة الحياة قد اختفى حتى بدأت بالصراخ بشكل هستيري ..

- اتركني ايها المجنون .. اتركني ... ماذا تفعل . !!

كان قد طوقها بذراعيه من الخلف وامسك بها بقوة لكي تهدأ ..

- اخبرتك ان تتركني ..اتركني الآن والا سأقتلك .. كانت تصرخ بجنون ..لماذا تجبرني على البقاء حية .. لا اريد ان اعيش ..لا اريد ان اعيش .. صرخت وصرخت الى ان هدأ صراخها قليلا ولكنها ظلت تتحدث والدموع تنهمر من عينيها وبصوت كسير أكملت ..

- ما الفائدة من بقائي على قيد الحياة ..لقد سئمت الحياة بكبرها ..تتنهد ثم تكمل ..مجرد دخيلة انا في غابة هذه الحياة ..كيف لي ان اصمد وسط كل هذا الشر ..كيف لطيبتي ان تتفهم مكرهم وكل تلك القصص والمتاهات التي يرسمونها لأجلي ..كيف لي ان اكون جزءًا من مجتمع لا اشبهه ..كيف ..!!

انخفضت قليلا لتلقي بركبتيها على الأرض وتجلس في استسلام ..حسنًا إذًا ..لقد انتهى كلامها وحتى دموعها توقفت عن الهطول ... كانت مستسلمة تمامًا لقبضته القوية ولهذا الواقع البائس .. استسلمت لكل شيء فلقد كرهت ما ألحقتها بها الحياة من متاعب بسبب مناضلتها .. في عالم اليوم ،ان تحتفظ بمبادئك دون ان تتغير فهذا وحده جهاد يحتاج منك لشجاعة وصبر واصرار اكبر ألف مرة مما تتطلبه الحروب ..ان تخالف

وحدك الحياة وتتخذ طريقا معاكسًا لذلك الذي القتك الحياة فيه في حين ان الجميع من حولك يرفعون الراية البيضاء امام اول عقبة ويعلنون الهزيمة قبل ان يعبروا اول محطة فهذا ضرب من الجنون .. أن يأبى غرورك ان تكون فردا من القطيع ولا ترضى بأقل من ان تقود فهذا قرار مخالف لما أعتاده الجميع وستدفع ضريبة اختلافك حتمًا ..

كانت تهتز وهي تتنهد بحزن ،فوجدت معزوفة مليئة بالأمل والحب وفائض من الرقة تخترق لحنها الحزين المليء بوقفات شهقاتها وأنفاسها المتقطعة ليعزف لها ..

- لا بأس أميرتي ..انا معك الآن ..لن يصيبك اي مكروه ..ثقي بي ...!! أكمل برجاء تملأه الثقة ...أعِدُكِ ..

اخفضت رأسها قليلا لتمسح دموعها ولكنها وجدته امامها ويديه المليئتين بالحنان قد همّتا بإزالة آثار الدموع عن وجنتاها ..رفعت عيناها لتلتقيه في نظرة مليئة بالشكر .. كانت نظرة وديعة جدًا وودودة للغاية .. بابتسامة خفيفة قابل نظراتها ليضيف .." لن ادعك تبكين بعد الآن .. لن أسمح لأي شخص او اي شيء ان يؤلمك لهذه الدرجة ..سامحيني على ما مضى ولنفتح الآن صفحة جديدة من حياتنا معًا ..اتفقنا !!

أومأت بالموافقة ولأول مرة لم يخيفه صمتها فقد رأى في عينيها ملامح أمان ورضا ..بينما راحت تفكر " لا ..لن افتح صفحة جديدة .. لقد سئمت ذلك الدفتر من حياتي بغلافه القاتم .. وماذا لو اتى شخص ما ليعيد فتح الصفحات المطوية وليحيي ذكرى اشخاص ليسوا بالأهمية كي يأخذوا مكانًا في قصتي ...مستحيل ..يجب ان احرق تلك الاوراق وذلك الدفتر ..سأقتني دفترًا نملأه بنا ..نحن فقط ..أنا وهو ..دفترًا بغلاف ابيض تزينه بعضًا من الخطوط الحمراء .. الصفراء ..الوردية ..لن ادعو الاسود لتفاصيلنا بعد الآن ..لقد ارتديته بما فيه الكفاية ..كنت قد اقمت حدادي على الذكريات ولكن لا حداد يدوم حتى الأبد ..سأخلعه وسأجعل من الحياة لونًا لي .. ومن السعادة قلمًا لملء صفحاتي ..ومن الحب عنوانًا بارزًا لقصتي معه ..

كان قد وقف وقبل ان تقف هي أيضًا بكل ما يحمله جسدها من تعب كانت يداه قد تحولتا من يدين حنونتين لطيفتين الى أخرى صلبتين وقويتين حملتاها بسهولة دون ان تصعّب عليه المهمة كيلوغراماتها الثمانية الخمسين .. كطفلة صغيرة كانت بين يديه .. كانت ترى فيه حبيبها القريب والبعيد في آنٍ واحد ..حيث انه الآن قريب جدًا منها وبقي ان تتصالح القلوب وتلتقي مرة أخرى لتحكي عن شوق وحنين قد اظمأه طول الهجر ..

أما آن الأوان لقلوبنا ان تلتقي ..

ولأرواحنا ان تتحد ..

ولشفاهنا ان تنطق بكلمةٍ صدأ ارواحنا في انتظارها ...

. . .

..تركها ليجلس على حافة السرير بعد ان وضعها ..كان يحدق فيها بطريقة مبهمة ..عينان تشتعلان بالتساؤلات ..بينما يحمل وجهه ملامح هادئة وكأنه ما عاد خائفا عليها بعد الآن .. قال بعد فترة كانت اقرب اليها امام نظراته الى السنوات منها الى الدقائق ..

- اريدك ان تنامي الآن ولا تفكري في اي شيء مطلقًا ..اتفقنا .. !! سأكون في الجوار ان احتجتِ لأي شيء ..

نهض ليذهب في حين أحس بيدها تمسك يده بقوة ..نظر اليها وتسرب السؤال من عينيه الحائرة لتجيب هي بهدوء ..

- ابقَ بقربي ..!!

. . .

كانت غارقة في نومٍ عميق كما يبدو على وجهها في حين انه ما زال يداعب خصلات شعرها البني .. ابدى اعجابه داخليًا بلون شعرها الجديد والذي لم يكن قد رآه عن قرب سابقا ..ادهشه تماوج البني وامتزاج الغامق بالفاتح ..خصلات بلون الكاكاو وأخرى بلون الكراميل وكأنه مزيج قهوة

تركية قاتمة اللون يتخللها شيئا من بياض رغوتها .. انه يناسب لون عيناها للغاية ويعطي وجهها المستدير ملامح طفولية أكثر .. آاااه كم كانت طفلة .. !! طفلةٌ كبيرة هي ..جمالها الداخلي المفرط والخارجي المغري .. بخيالها الواسع وأحلامها التي لا تنتهي .. لم يحدث يومًا انها قد توقفت او انها قد وصلت لنقطة نهاية او استسلام .. كلما انهت حلم شرعت في آخر .. كانت تحلم بأن تنشر خواطرها ذات يوم ،او جزء من مذكراتها المتخمة بالتجارب .. انها غريبة حقًا .. كيف لها ان توفق بين عملها وممارسة هواياتها في الوقت ذاته .. تهتم وتدلل نفسها ومع ذلك تتواجد في حياة جميع من تحب دون ان تغيب عنهم ..كيف لها ان تكون اول من يبادر في كل وقت واول من يقف مع كل شخص دون ان تخل بواجباتها .. كانت عكسه تماما ..هو الذي لا يكاد ينهي عمله حتى يعود للبيت منهكا ومع ذلك يحمل عددا من ملفات قضاياه للبيت كذلك .. ولكنها بتواجدها في حياته علمته الكثير دون ان تعي ذلك .. هذبت عصبيته الزائدة ببرودها وهدوئها وحكمتها في بعض المواقف وقولها الذي ما انفك يغزو ذاكرته كلما خرجت الامور عن سيطرته " لماذا نتعب انفسنا بالعصبية المفرطة على اشياء ستنتهي حتمًا ..في حين ان حياتنا أقصر من أن نهدرها على اشياء كهذه "...

هذبت مزاجه المتقلب بمواجهتها لكل عارض يطرأ على يومها ليعكره قائلة " بصراحة ،لن اسمح لشيء بأن يفسد مزاجي ليوم كامل قد يكون آخر ايامي " .. كان تفكيرها يناقض روحها المرحة وبساطتها وجمالها ..تفكر كامرأة في خريف العمر بحكمة بالغة ،تواجه الواقع بجسد شابة لم تتجاوز السادسة والعشرين وبروح طفلة تطالب بحقها في الاستمتاع فحسب ..

يتذكر عندما كانت تناقض الاحداث احيانا وتضحك في موقف محرج حدث لها و انها تقابل سخرية احدهم بالتفاتة لامبالية وهي تسأل "عفوا ..هل كنت تتحدث عني !!" .. كانت تخبره ان سخريتنا من المشاكل تخفف وطأتها علينا .. تسأله :ماذا لو اننا قابلنا كل مشكلة بجدية مبالغ فيها ..وكل استهزاء وكلمة معيبة عنا وكأنها تفقدنا شيئا من قيمتنا .. هل سيبقى لنا

طاقة لما يجب ان نقف عنده حقًا .. !! كانت مختلفة وهذا ما شده نحوها .. تسأله ذات مرة بعد ان استنفدت محاولاته الماكرة لإيقاعها في البوح ان كانت تكن له المشاعر ام لا ،وبعد ان جعلته يقسم لها الا يسألها مجددا لشدة ما رفعت ضغطه " يبدو انني ابدو لك كمراهقة غبية !!" بينما رد وهو يزفر "ليتك كنتِ مراهقة طبيعية فحسب !!"

كيف اقدمت على التفكير في الانتحار ..!! ..هو الذي لم يتوقع منها شيئا كهذا اطلاقًا .. كانت لديها مبادئ ثابتة لا تخالفها ابدا بخصوص ان الروح امانة والحفاظ عليها واجب لا جدال فيه .. كانت تخبره سابقًا عن حالات الانتحار التي تملأ الصحف الاجنبية التي تهوى مطالعتها بين الحين والآخر ..وعن محاولات الانتحار التي تملأ مرضى الطب النفسي والتي كانت قد اطلعت على معلوماتها من خلال صديقة لها .. كانت تضيف بعد ان تخبره..." كيف لأولئك ان يقدموا على تعذيب انفسهم او قتلها من اجل مصيبة حلت بهم .. لو انهم انتظروا فقط حتى الغد ليروا ما الذي سيحدث وكيف ان المصيبة ستختفي وان الحلول ستظهر لأشفقوا على انفسهم ...

.. آاااه يا صغيرتي .. يبدو انكِ وحدكِ من اشفقتِ على نفسك ،ولفرط ما أشفقتِ عليها أقدمتِ على محاولة الانتحار الفظيعة تلك انتقامًا لكبريائك ..

كان غارقًا في افكاره بينما أصابعه تغرز نفسها بهدوء في شعرها المستلقي بجانبه كنهر لتعود تارة وتداعب اطرافها الناعمة ذهبية الحدود .. شعرها الحريري ..كم اِشتاق اليه !!

" و يا بحرًا من العمق ... هل لي ببلوغ شاطئك

و يا مملكةً من الجمال .. هل لي بأن أكون عاصمتك .."

. .

.

(وعادت ...!)

« رغم اني قررت ألا اعود اليه مجددًا ..ألا اني عدت ...

ورغم اني اقسمت ان اجعله مجرد ذكرى .. الا اني لم افعل..

كل ما اردت ان افعله في حبه لم افعله ..

وكل ما أجزمت اني لن افعله ؛فعلته ..»

في طريق معتمٍ وخاوٍ .. تسير هي حافية القدمين ..لا ينير لها الدرب سوى رداء أبيضٌ ترتديه يُسقِط ومضات ضوئية صغيرة تسير على إثرها .. كانت تترنح وكأنها ثملة على خطٍ ضوئي يسقط منها .. كانت تسير دون ان تعي حقيقة ما تفعل ..خطوة ..فأخرى ..وقعت من على حافة الهاوية .. كانت تصرخ بكل ما أوتيت حبالها الصوتية من صوت .. ولكن صوتها لم يكن يُسمَع ،بل ولم يكن يخرج من فمها اي ترددات صوتية عدا محاولات فاشلة .. ظلت تسقط في الفراغ وكأن تلك الهاوية لم يكن لها من قاع ..وكأنها ترتمي في العدم .. واصلت تحليقها في اللاشيء وارتطامها بذرات الأكسجين المحملة بالعديد من الخيالات إلى أن .....

استيقظت فزعة من منامها وكأن ما رأته كان يحمل لها شيئا من العقاب بسبب ما حاولت فعله وعديد من الرسائل الغامضة التي اشغلت فكرها... كان حلما متناقضًا وغريبا بكل الأحوال ..شغلها التفكير بأمرين ..أولهما عن ماهية تلك الهالة الضوئية التي عملت كمرشد اضاءت لها الطريق .. هل ترمز لشخص او حدث .. هل هي أمر حاضر ام مستقبلي ..بينما كان (ثانيًا) يعبث بأفكارها أكثر ..فما المغزى من كون الحفرة بلا قرار ،ولا قاع لها لينهيها ... هل يا تُرى يحمل ذلك الحلم تنبيهًا بأن كل شيء لم ينتهي بعد وهناك عدة أشياء ما زالت قيد التحضير ..ام انها ما زالت تسير في طريق متعرج ورغم ذلك لم تحن النهاية بعد .. !!

قطعت أفكارها بنظرة خاطفة اليه وقد كان شبه مستلقٍ وشبه جالس ،كما كان أيضا نصف نائم .. لماذا يفعل كل هذا من أجلها ..!! عبثًا تساءلت ..أتراه يشعر بالذنب ويحاول التكفير عن خطاياه باهتمامه ؟ ..أم انه يريد فعلًا منها أن تدير فندقه كما قال ...! هل يريدها عابرة في مدينة قلبه الممتلئ بالعابرات ام انه استأنف اخلاء قلبه ليتسنى لها أن تتربع عرشه فتكون ملكته ...!! هو الذي كان يغازلها قبلا بعينين شغوفتين ماكرتين ،أصبح الآن يتحدث بصدق وبإحساس نابع من شعور عميق بعيد عن اي شهوة .. لم تكن تعرف كيف ومتى سيبوح لها بكل شيء ويفصح عن تلك الكلمة السرية التي لطالما تاقت سماعها منه .. كلمة من أربعة أحرف قادرة على بث الحياة في نفسها ... أربعة أحرف ان هو نطق بها فقط ستندثر سنواتها الستة والعشرون ليولد قلبها من جديد بين يديه ..وكقلبٍ رضيع لن يشبع من شيءٍ أبدًا سوى الشرب من نهر قلبه خمس مرات في اليوم على أقل تقدير .. وكما أن لتلك الكلمة قدرة سحرية على كتابة سيناريو جديد لأي علاقة ،كانت ستفعل بها الشيء ذاته .. لم تعد تريد شيئا بعد كل ما رأته سوى أن يجردها قناعاتها السابقة ليلبسها ثوبًا من قناعاتٍ جديدة يخيطه بيديه من أجلها ..أجل ..انها تحبه .!!هي التي لم تؤمن بالتعلق بشخص ها هي تتعلق به .. كانت حريصة جدًا على ألّا تقع في الحب ..ابتعدت كثيرًا عن أراضي الحب وأنفاقه وممراته خوفًا من أن تسقط في حفره يومًا دون أن تشعر ..ولكنها لم تكن تدرك أننا حين لا نقع في الحب قد يقع الحب بنا .. لم تقع هي في الحب بل وقع الحب بها .. لم تتعثر به ،وحدهُ تعثر بها .. حين كانت تمعن النظر في طريقها خشية أن تتعثر بحجارة صغيرة فتسقط فيه نسيت أن تركز لما قد ينزل عليها من الأعلى ،فسقط عليها الحب من سماء الصدف دون أن تعي .. أقلعت بها الطائرة نحو أرضٍ ماؤها إكسير عشق مفعوله لا يزول ..ولا قوانين لها فكل شيءٍ فيها مباح ..

نحو أرضٍ تموت فيها الحواس ،وينام فيها العقل ،ووحدها المشاعر تتولى ادارة الجسد .. أرضٍ وحدها القلوب شعبًا لها ولا تستقبل مقيمين على الاطلاق ،فهي تعطيك صك الموَاطَنَة فورًا اذا ما توافرت فيك الشروط ..

وضعت رأسها على صدره لتنام على صوت إيقاع قلبه المنتظم الذي يستحيل أن تراودها الكوابيس عندما تنصت اليه ..

. . .

الحب هو الملجأ الأول لكل من تيتم قلبه وتهشمت روحه على شاطئ الأحزان ..انه المؤجر الوحيد الذي يعطينا قلبًا نسكنه وصدرًا ننام عليه وحضنًا نستدفئ به دون أن يطالبنا بعربون أو دفعة أولية .. وحدهم الأحباء الحقيقيين يعطون دون مقابل ويبذلون دون انتظار ونحن بطبعنا لا يسعنا أمام كرمهم وعطاؤهم سوى ان ندفع إيجاراتنا المتراكمة بأقساط اخلاص وود ومحبة حقيقية ..ذلك أن دفع البعض لإيجاراتهم بمشاعر مزورة يودي بهم حتمًا الى سجن الخيبات .. الحب الحقيقي لا يلغي شخصية أحد الطرفين باسمه أو باسم أحد أتباعه ،كالغيرة والخوف وحب التملك.. الحب يعشق التبسيط ويكره التعقيد ..يحب التحرر ويكره التقييد .. الحب طائر يعشق الحرية ويحتاج لكلا جناحيه لكي يطير بطريقة أفضل في كل مرة .. ليس حبًا هو ذاك الذي يقيدنا أو يلغي وجودنا .. ليس حبًا هو ذاك الذي نرتدي في حضرته قناعًا آخر ولا نستطيع أن نكون فيه على سجيتنا .. يكمن الحب الحقيقي في أن نكون نحن ،ونحن فقط .. بطبيعتنا ..مشاعرنا .. جنوننا ..خيباتنا.. هفواتنا وزلاتنا .. فسيناريوهات الحب لا تعيش طويلا لأننا غالبًا سنمل من كتابة القصة وسنحتاج لأن نعيش، ولو لمرة واحدة مع من نحب على ارض واقعنا ..

أكره أولئك الذين يستخدمون الحب ذريعةً ليكذبوا أو ليخدعوا ..اكره ان يداروا افعالهم القبيحة ببراءة حب لا يعرف الخداع ..أهون على من نحب أن نواجههم بحقيقة مُرة على أن نغطي مرارة تلك الحقيقة بمزيد من التعديلات التي لا تزيدها الا قبحًا .. من يحب لا يكسر قلبًا فتح ابوابه له وحده ..لا يجرح ولا يخدش جدران بيتٍ آواه .. من يحب لا يخدع ولا يخون ولا يؤذي حبيبه عن بعمدٍ أبدًا .. لا تصدق من يبرر الخيانة بأنها مجرد "نزوة" لأننا عندما نخون فإننا بذلك نسحق الثقة دون أن

نبالي ..نتنكر للتضحيات التي بذلها من نحب في سبيلنا ..نغتال الذكريات ونمزق شريطها عمَدًا بإرادتنا ..وأخيرا فإننا نهوي بمكانة من نحب الى اسفل درك ...

ذلك هو بالضبط ما نفعله عندما نخون ،فهل سحق الثقة واغتيال الذكريات والتنكر للتضحيات مجرد نزوة ؟!!

نزوة .. أن تلحق عيني ظل شخص يمر وأنت بجانبي ..!

نزوة ..أن يدق قلبي للحظات من أجل شخص آخر بينما صدرك يحتويني ..!

نزوة ..أن اهملك لألتهي مع غيرك في خيال كان ملكك ..!

النزوة لا تستمر طويلا ولا تكون واقعًا ملموسًا أبدا ، انها مجرد مسألة أحاسيس ومشاعر ولكن أن اعاشر غيرك وأغرس سكينًا في قلبك دون أن آبه لعمق الطعنة ولا ابحث حتى عن قطعة قماش اضمد بها الجرح وأوقف بها النزيف ..فأنا حينها مجرد خائن ،لا شخص تحت سيطرة "النزوة "!!

ظلمنا الحب بأفعالنا حتى بات معظم البشر لا يثقون به ..ذلك أن الحب كائن بريء لم يعد يليق بعصرٍ بات فيه الناس يرتدونه قناعًا في المناسبات ليخلعونه بعد دخولهم أول تاكسي للعودة .. فالحب لا يُرتدى كقناع أو ثوب بل يتلبسنا كروح أخرى ..!

. . .

خيوط شمسٍ ذهبية تتسلل بخفة لتداعب وجهها الجميل وتوقظها من نومٍ عميق غطت فيه بعد ليلةٍ طويلة .. تجده بقربها يتأملها بينما هي تقاوم بصعوبة ضوء الشمس الذي اخترق جفونها .. تنظر اليه وهي تفتح عيناها بكسل فيقطع تأمله لها بقوله "هل أنتِ جائعة "!!

ترفع حاجباها لترد بشهية مصطنعة - أمم .. جدًا ..!! تسكت قليلا لتضيف - بدل أن تقول لي صباح الخير تسألني ان كنت جائعة أم لا ..يبدو ان

عصافير بطنك قد بدأت تنبح من شدة الجوع .. تضحك لما قالته بينما يبتسم هو ببطء ..

- ما رأيكِ أن تعدي لنا بيديكِ الجميلتين شيئا نأكله ..؟!

يمتلأ عقلها بعدد من الأطعمة التي كانت تعدها باحترافية ،كانت شهيتها للطبخ كبيرة خصوصًا انها لم تطبخ منذ فترة طويلة .. لم تكن عاشقة للمطبخ ولكنها كانت ترى الطبخ فن بحد ذاته .. فإعداد طبق يشبه كثيرًا رسم لوحة ..تحتاج لشيء من الصبر ومزيد من الألوان والكثير الكثير من الحب ..كانت تطبخ بمزاج ومتى ما كان مزاجها جيدًا كانت الأطباق التي تعدها ألذ .. نظرت اليه بعد أن رتبت القائمة في رأسها ولكن سؤالا واحدا استوقفها حيث قالت - أليس البراد فارغًا ..؟!!

ولكنه أجاب وكأن السؤال ليس مهمًا - لا عليك ..لقد ملأته بما يكفي !!

نظرت بحيرة - اممم .. حسنًا اذًا ..سأذهب لأرى ..!!

قفزت سريعًا موجهة خطواتها نحو المطبخ ..كان مزاجها مناقضًا جدًا للأمس حيث لم تلحظه يسير وراءها بخطوات هادئة .. دخلت المطبخ و...شهقت شهقة خفيفة ممزوجة بضحكات بينما هتفت ..!! ooh my god ... دارت حول الطاولة وهي تبدي اعجابها بما فعل

- ايها الشقي ..متى استطعت أن تحضر كل هذا ؟! كانت الطاولة مرتبة بحرفية ،كما أن كل شيء كان معَد بالطريقة التي تحب .. غمز بإحدى عينيه وقال - ما رأيكِ بمهاراتي ك(شيف)!!

ردت بمشاكسة وهي تضرب بإصبعها أسفل ذقنها كعادتها عندما تفكر - اممم ..لا بأس بها ..جيدة نوعًا ما .. تحتاج لقليل من التعلم كي تصل لمستواي .. نظر اليها وهو يرفع حاجبًا وينزل الآخر ..حقًا !!

أكملت بشيء من الغرور - اممم ..ليس حقًا ..بصراحة تحتاج لكثير من التعلم على يدي ولكنني كنت اراعي مشاعرك فحسب ..ضحكت لتستفزه بينما اقترب منها ليهمس بجدية

- لا بأس في ان اكون مبتدئًا ،فقط إن كنتِ انتِ معلمتي فحسب !!

بمراوغة أضافت

- معلمتك فحسب ..!! أفضّل أن أكون أكثر من ذلك ..!!

زينت عبارتها بابتسامة جانبية غامضة وقبل أن يرد عليها كانت قد سارت نحو كرسي حول الطاولة ووقفت بجواره .. قلبت نظراتها بينه وبين الكرسي كإشارة منها لأن يكون لَبِقًا معها ويُبعد الكرسي ليتسنى لها الجلوس ..لم يجد أمام حركتها تلك سوى أن يضحك بعفوية ويجيب

- حسنًا ..حسنًا .. أعتذر إليك .. أزاح الكرسي وانحنى بلباقة بينما وضع احدى يديه خلف ظهره وأشار بالأخرى لها

- تفضلي سيدتي ..

ابتسمت بترفع - شكرًا لك ..

جلست بطريقة مهيبة ..غرور يناقض بساطة النظرة في عيناها ..جلست بطريقة فاتنة حقًا ..

كانت كأنثى كاملة جدًا بالنسبة له .. هو الذي لم يؤمن بالكمال قبلا. هو الذي شكك كثيرًا في وجود امرأة فاتنة ومخلصة في الوقت ذاته، ذلك انه كان يرى الجميلات يعشقن أن يكن كقطعة كعك يشتهيها كل من يراها.. ولكنها لم تكن كذلك .. كانت اجمل وألذ وأشهى منهن ومع ذلك لم تحاول ابدًا أن تغري أحدًا من حولها ،كما انها لم تكن تباهي بعدد الرجال الذين تلوي رؤوسهم عندما تمر ..ولا عدد الذين يقعون في شِباكها مع اول كلمة تتحدثها ،ذلك أن صوتها كان عذب كأشهر سيمفونيات بيتهوفن مجتمعة ،بينما كانت كلماتها رزينة ،عاقلة ،مؤثرة بل وأشد وقعًا في النفوس وابلغ في الوصول كأنها مقتطعة من مقالات جبران ..

كانت بالنسبة له وكأنها وصلت من حلم ..بل هي حلم بحد ذاتها .. هو الذي رضي قلبه الغبي بلميس ،تلك المرأة اللعوب ،بل وأصر عليها رغم صفحتها السوداء ..ها هي الأقدار تلعب لعبتها معه ..وها هو التعويض

جاء وكأنه شيء من النعيم ..أدرك تمامًا معنى أن الخيرة فيما اختاره الله ، وان ما كرهه واراده له ربه كان اجمل من بألف مرة مما احبه قبلا ولم يرده ربه ..تأخر حبها كثيرًا ولكنه أتى .. أتى أخيرا دون اي عوائق ..لن يكون هناك لميس أخرى كي تغار هي وتصد عنه ..ولن يكون هناك عمَر كي يحترق هو الف مرة عندما يراها تتحدث معه .. لن يبطّن حبه بمفردات متناقضة تحمل عدة معاني ..بل سيقولها بصراحة ودون اي تدليس .. سيخبرها انه يحبها جدًا وأنه يشعر معها بمختلف المشاعر ،بل ويراها كل النساء ..

في لحظات تكون امرأته لتعود في أخرى وتكون امه لتتحول في ثواني الى طفلته .. نظر الى عينيها وهي تأكل بشهية ..وأخيرا وجد شاطئها بعد طول بحث ..اعترف لها داخليا في مصارحة جميلة أمام شاطئ عينيها ..

أنتِ لستِ امرأتي فحسب ..عندما تتقبلين اخفاقاتي وترممين انكساراتي وتسهرين الليل لتطبيب جروحي ،تكونين أمي .. عندما تحتضينني بحنان بينما أنتِ منصتة لاعترافاتي ،تكونين أختي .. عندما تشاكسين بعفوية و(تجلطينني) بتصرفاتك وترفعين ضغطي مئة درجة زيادة على المعدل الطبيعي ،تكونين طفلتي ..عندما تدفئينني ليلا بنارك وتعبثين بشعري ومعه عقلي حتى اغفو على صدرك تكونين حبيبتي .. أنكِ أنثى واحدة بألقاب إناث هذا العالم أجمع ..

. . .

قطع اعترافه الداخلي الذي تمنى لو انه كان واقعًا قد حدث تعليقها وهي تقول ...

- واو .. اسحب كلامي ..حرفيًا الأكل تحفة ..!!

رد بسخرية : Oops .. يبدو أن المعلمة ستعود لمقاعد الدراسة اذن .. هل ترغبين في حجز طاولة يا مِس ترف ..؟! ردت بطريقته السابقة " ان كنت سأتتلمذ على يدك فلا مانع لدي اذن " ..

- حسنًا اذن .. يسعدني أن يطلبني احدهم بالاسم لتعليمه ..توقف قليلا ثم أكمل .. وبما أنكِ طالبتي الوحيدة فسأعطيك أولى النصائح في عالم الطهي .. قال جملته التالية ونظرة تحدي تعلو عينيه ..

" ان اجمل الأطباق هي تلك التي نعدها على نار هادئة .. نحركها بين الحين والآخر ونقلبها بفترات متفاوتة ولا نفسدها بكثرة التقليب والتحريك .. من المهم ان تملك الصبر الكافي عليها فهذا وحده ما يضمن لك مذاق تدوم لذاذته دهرًا .."

نظر بغرور مَن خَرَجَ منتصرًا من معركة للتو ..

- هل انتهيتِ ..!! ردت دون ان تنظر ..

- نعم ...

حمل الاطباق وتركها لتفكر دون ان يفوته انها كانت تدرك ما يلمح اليه .. أي عالم طهي هذا الذي تحدث عنه .. أكان يقصد طهي المأكولات أم طهي العلاقات !! أن يترك قلبها على نار كلماته الهادئة التي يرفع موجاتها قليلا ليعود ويخفض التردد مرة أخرى .. ان يضيف حطب الحروف حرفا تلو الآخر دون ان يفقد الصبر ويلقي بها جميعها مرة واحدة .. ان يقترب ويبتعد في الوقت المناسب كما فعل للتو عندما اشعل نارها للتو وتركها لتطفئها وحدها .. أكان يعطيها نصائح في عالم الحب !! أهكذا هو الحب اذًا ..!! أيجعلك محترفًا لمجرد خوضك عدة علاقات فيه ..وهل هناك احترافية في الحب ؟!! .. بالطبع هناك احترافية كما هناك خبرة .. عندما تحب لأول مرة فإنك تعيش اللحظة وتُلقي بكلك في الآخر ..تبني مستقبلا تبدأ الأماني فيه بنون الجمع لا ألف التفرد .. تتحول غاياتك بعد ان كانت "سأصبح " الى "سنصبح" ..كل شيء يحمل في طياته شخصان بالنسبة لك .. أنت وهو .. تقطع تذاكر الحياة لك وله على عجل .. تذاكر ذهاب دون إياب ..بسذاجة وبراءة الحب الأول تنسى ان العودة حتمية وتنسى ان علي بن ابي طالب قد قال سابقًا "أحبب من شئت ؛فأنت مفارقه " ..تحرك المركبة نحو رحلة حسب مخيلتك لا نقاط وقوف لها ،وتنسى بلهفتك الشديدة أن نقاط التفتيش ضرورة امنية ،وأن اشارات المرور تملأ

الطرقات ..وحتى لو استبحت الإجرام مستندًا بكل فخر لمقولة "كل شيء مباح في الحب والحرب "!!..فسينتهي وقود مركبتك على اي حال وستضطر حينها لتعبئة "بنزين " مرة أخرى لرحلة جديدة .. دائما ،عندما نخوض اول علاقة تستند كثيرا لمشاعرنا وننسى ان هناك ذكاء عاطفي لإدارة المشاعر ،فلم توجد العقول هباءً اذ ان الحكمة تقتضي بأن يوازن الانسان بين شعوره وافكاره ... فرق كبير بين مبتدئ في الحب وبين محترف ..بين عاشق مأخوذ بروعة الأحاسيس الأولى وآخرٌ هو سيد مشاعره ..الأول متلهف لتجربة كل شيء ..لاستباق الوقت والاحداث ،بينما الآخر يعطي بمهل وببطء وكأنه يملك كل الوقت ..

الأول تطبيق عملي للقول "عش دنياك وكأنك تموت غدًا " .. بينما الآخر يجسد " عش دنياك وكأنك ستعيش أبدًا " .. الأول يتجاوز كل الحدود في اعتقاده أن في الحب لا حدود .. بينما الآخر يعرف تمامًا متى يعبر ومتى يتوقف ..

تقول أحلام مستغانمي " الحب هو فن المسافة ؛ ألا تقترب كثيرًا فتلغي اللهفة ولا تبتعد كثيرًا فتُنسى .. ألا تضع حطبك دفعة واحدة في موقد من تحب ،بل تبقيه مشتعلا بتحريكك الحطب ليس أكثر ،دون ان يلمح الآخر يدك المحركة لمشاعره ومسار قدره ..

لا حب يتغذى من الحرمان وحده ،بل بتناوب الوصل والبعاد .. كما في التنفس ..انها حركة شهيق وزفير يحتاج اليهما الحب لتفرغ رئتاه وتمتلأ من مجددًا .. كلوح رخامي يحمله عمودان ..ان قربتهما كثيرًا اختل التوازن ،وان باعدتهما كثيرًا هوى اللوح .."

الآخر يمتلك ذكاء المسافة بينما الأول يقترب حتى يلغي الشوق ..!!

. . .

ناداها من المطبخ فذهبت بتردد بعد ان اثار افكارها حديثه ذاك ..كادت تضحك عليه فقد كان يجلي الأواني ..هو ذاك الذي لم يكن يعرف كيف يكوي قميصه وحده ،ها هو ذا يحضر الطعام وحده ويغسل الأواني ليدللها

فحسب .. رآها تقف بجوار المطبخ مختنقة بضحكة كتمتها ..سألها عما بها وهو يجفف يداه بالمنديل فأجابته بما فكرت به للتو ،فاكتفى بالقول

- بل ومستعد لتعلم اي شيء يجعلكِ سعيدة ..!! ابتسمت بامتنان لما قال ولكنها لم تلبث طويلا حتى قالت

- لا اريد ان أثير موضوعًا مبتذلا ولكن هل سأظل بملابسي هذه إلى الأبد ؟ فليس لدي ما ارتديه كما أنني لا اعلم الى متى سنظل هنا !! نظر اليها بثقة ..

- لقد اهتممت بالموضوع مسبقًا .. ستجدين كيسا في الخزانة كنت قد اشتريته اليوم على أمل ان يناسبك ما فيه لحين عودتنا .. توقف قليلا ثم قال ... أووه.. تعالي معي.. سأريكِ بنفسي..

ذهبت معه وعندما وصلا الى الغرفة توقف هو امام الباب بينما اكملت هي وفتحت الخزانة ووجدت بداخلها الكيس بالفعل كما قال لمحتوياته اممم .. لا بأس ...راقها ما فيه فقد كان أغلبها قمصان قطنية وجينزات ولكن فاجأتها قطعة ظلت ممسكة بها وتنظر لها بذهول .. كانت عبارة عن فستان أسود يناسب السهرات بفتحة ظهر كبيرة وطول ينتهي اسفل الركبة ..كان جميل للغاية .. نظرت اليه بينما كان هو واقفًا يراقب ردة فعلها ولربما ينتظر سؤالها ...

- ما مناسبة هذا الفستان بينما أنا حبيسة هذا المكان ؟!

رد وكأنه يذكرها - تستطيعين أن تقولي أن هناك مناسبة مميزة تستدعي منكِ ارتداء فستان كهذا .. هذا أولا ..بينما أن السبب الحقيقي وراء شرائي له هو انني عندما رأيته لم اتخيله على امرأة سواكِ .. أحببت أن اراكِ فيه .. استمعت اليه بينما هي تعصر ذاكرتها لتتذكر ..ما هي تلك المناسبة على اية حال ..؟!!

. . .

حل المساء وما زالت تنتظره كي ينتهي من اختيار الفيلم ..كان قد جهز الجو لسينما منزلية أعدها بترتيب المخدات بطريقة مريحة على مقعدة

كبيرة تكفي لكلاهما ،كما أنه لم ينسى اعداد الفشار وشراء بعض المأكولات الخفيفة ..رتب كل شيء ولكنه ترك نجم الحفلة غائبًا ،ألا وهو "الفيلم "..كانت قد مضت ساعة كاملة وما زال يختار ،بل وما زال يعاند ولا يريدها ان تختار معه ..

- لقد وجدته .. هكذا صرخ ..! بينما لم تجد سوى أن تطلق نَفَسًا بعد كل ذلك الانتظار ..وأخيرًا ..!!

ضحك وأطلق تنهيدة - أوف ..من جد وأخيرًا ..!! ولكنه يستحق كل هذا العناء ..تقييماته عالية كما أنه متصدر قائمة الافلام البوليودية الاكثر نجاحًا على مر اعوام مضت .. وَصل سلك هاتفه بشاشة التلفاز ..جلس بجوارها وكعادتها عندما كانا يشاهدان الافلام سوية ضمها اليه بينما احتضنت هي بدورها صينية الفشار لتبدأ الرحلة مع شاب يُدعى (رضوان خان) في فيلم My name is Khan ..

ينظر اليها بعد ان انهيا الفيلم .. حسنًا اذًا ما رأيكِ به ..؟!!

تنظر اليه بعينان ممتلئتان بالحماسة

- ماذا أقول ..! هل أفرد من أجله مقالا ..!! انه جميل على كل المقاييس ..كما ان كلامه وصل لداخلي ..استطيع ان اقول "انه الفيلم المناسب وفي الوقت المناسب "..توقفت قليلا لتكمل .... ومَع الشخص المناسب أيضًا ... عدل ياقته بفخر .. - جيد ...وماذا الآن ...؟!!

- ماذا ...؟!تسأله بذهول .. - هل ستضيعنه في قائمة الTop 4 لديكِ ..؟!! بدون تفكير ردت - أوه ...أجل بدون شك ..!! انه من الأفلام التي أود مشاهدتها اكثر من مرة ... في الواقع كانت قائمتها تلك تضم عددا من الأفلام التي أحبتها حقًا ..بعضها أثّر بها كثيرا وبعضها كان من الجمال أن شاهدته اكثر من مرة ،ويبدو الآن انها ستضيف لها فيلما جديدا لها لتصبحTop5 ..

أمسكت بهاتفها لتتفقده وهذا مالم تفعله منذ مدة تصل لأسبوعين تقريبًا ..كان بريدها يكاد ينفجر من كَمّ الرسائل الهائل فيه ..ولكن هذا متوقع على كل حال فقد كان بريدها خاص برسائل العمل التي لا تنتهي ،بالإضافة الى فريق العمل التطوعي الذي انضمت اليه في وقتٍ سابق ونشاطاته المتعددة ..لا شيء من ذلك كان مهمًا على كل حال فالعمل لن ينتهي .. تفقدت حساباتها ...و يا الهي .. رسائل لا تُعَد ..ولكن هذا لم يكن متوقعًا كثيرًا فقد كانت تغيب لفترات طويلة دون ان تكتب خاطرة أو تنشر صورة ..ولكن ..كيف لها ان تجعل صديقاتها يكفون عن القلق حيالها خصوصًا بعد كل ما حدث صورة.. أوه .. صديقاتها ..لقد افقدتهن جدًا..

تمنت في تلك اللحظة لو تقابلهن في اي مكان ولكن ..لم يكن لذلك ان يحدث ..لن تخرج هذه الفترة لضرورات أمنية كما اخبرها السيد بندر الذي ما انفك يلقنها الدروس في هذا الشأن ..ارهقها بألف نصيحة في يوم واحد ..بالإضافة الى أن حضرة السيدات صديقاتها يحتجن لأسبوع ليتفقن على موعد ليوم واحد ولمدة ساعة واثنتين ..اتفقن على ألا يتفقن كما تقول العرب ..ولكن لا بأس ..يكمن جمالهن في اختلافهن ..

تلك حكيمة وعاقلة وأخرى لطيفة وهادئة ..واحدة صريحة وغامضة ،بينما الأخرى خجولة ومشاكسة على نحوٍ غريب .. وهناك من تفصل لها الاقدار حبكة من القصص المتعبة على نحو مضحك لتواجهها وتحكي لهن فيملأن وقتهن بالاستغراب واسداء نصائح لن تطبق في كل الاحوال ..وأما الأخرى فلم تستطع تفسيرها بعد ،او انها لم تتوصل لطريقة تخترق بها قلبها لتفهمه ..هي ليست غامضة ولا صعبة وهنا تكمن المشكلة ..فأحيانًا تكون سهولة البعض مشكلتهم فغالبًا لا نصل معهم الى أي شيء ..

هناك كل أولئك ..وهناك (رغد) الوحيدة التي كانت تقلق في كل مرة تغيب فيها رغم انها غالبًا ما تبرر غيابها بأنها مشغولة الا ان ذلك لم يكن ليجعل سيدة قلبها تكف عن السؤال في كل مرة ..تذكر مرة تعطل فيها هاتفها عن العمل فاضطرت لأخذ اسبوع لترتب امورها على هاتفها الجديد ..وكانت الكارثة عندما وجدت رسائل صديقتها لها .. كانت تسأل كثيرا "فقط

اخبريني ان كنتِ بخير أم لا "!!..كانت وكأنها شُكلت من الجنة ..قطعة من النعيم هي تلك الجميلة من كل الزوايا و الاماكن ..هي تلك الرائعة في كل ما تفعله وكأنها خُلقت بلا مساوئ ..لم تكن تتوقع أن تقابل يوما صديقة تناسبها تمامًا ..وكأنها خُلقت على قياسها ولأجلها وحدها ..يقال أن الأرزاق عندما تأتي متأخرة تكون أكثر جمالا وروعة .. تتذكر كم تخبطت في عوالم الكاذبين ،وكم سقطت في وحل المنافقين ... كم من مرة بذلت لأجل من أسمتهم أصدقاء ولم يكونوا أهلا لذلك البذل .. عدت سنين طويلة لم تجد فيها شخصًا حقيقيًا ..وعندما أتاها التعويض لم يكن شخصا واحدا كما تمنت ،بل ثمانية أو لربما أكثر ..ذلك ان الحياة أبعدت البعض ولكنها لم تكن تشك يوما بجمالهم ونقاءهم أبدا وكأن الله قد التقطها من وحل الأشباه ليلقيها في بستان ممتلئ بورود لا توصف .. لكل واحدة شكل ولون ورائحة مختلفة ..وكلهن في النهاية ورود لا تقدر على مقاومة عبيرها ..

تقول بطلة ثلاثية أحلام مستغانمي ("حياة" كما أسماها الآخرون ،أو "أحلام " كما كتب اسمها خالد بن طوبال) بأننا في الأدب نرتكب جرائم كثيرة وندفن البعض لنتخلص من جثثهم في رواية ..

لست سيدة الأدب أنا ،ولا أفهم فيه كثيرًا ..أكتب كهواية لا أكثر ولا أقل ..وليست الشهرة حلمي ولا البقاء وسط كومة الأوراق وغرز اقلام الرصاص في رأسي لما بقي من عمري هو ما أريده ..أحب أن أكتب عندما أريد وبالطريقة التي أريد ولست أحبذ وجود ناشر يطاردني بالسؤال " متى ستصدرين كتابك "؟!!

.. أحب أن أبقى عشيقة لأرقى الذكور ذاك ،ألا وهو القلم .. أقابله سرًا حين ينام الجميع ..أحتضنه بين يدي وبدفء لمساتي أُغريه كي يكتب .. أقترب منه أحيانا وأهجره حين أراه قد أصبح مملا كعادة ،لأعود اليه بعد فترة فأجده قد اشتاقني جدًا ..واشتهيته أكثر .. لا أستطيع أن اتخيل فكرة أن أتزوجه مثلا ..أن يصبح روتينًا .. إلزامًا ...!!أن امسكه بحكم العادة لا بغرض الاشتياق .. أن احتجزه وحده بين يدي لسنوات ..أهوى الكتابة ..أي نعم ...ولكن أن اكون نزيلة دائمة للمكتبات ولا أجد في فاتورتي سوى ثمن ما دفعته لشراء أقلامي ..فهذا ما لا يرضيني ..عمومًا

وبسذاجة هاوية لم تتعلم مبادئ الأدب بعد فإنني أخلد من أحب بكتاباتي ..ولهذا ألقيت دفتري ذاك ومزقت مذكراتي تلك عندما وجدت أن هناك اشخاص لم يعودوا بذات القيمة كي يحتلوا سطرًا مني ..!

فلتسعدن يا صديقاتي إذًا ..ها أنا أسقيكن "اكسير الخلود" ذاك الذي افنى احد ملوك الصين عمره لأجله في اسطورة تحكي حقيقة انسان يعشق ترك آثاره ويتمنى الوصول لطريقة يخلد بها نفسه أيضا ..دون ان تدفعن مقابل ...فليكن الخلود لكُنّ ..

. . .

فاجأها حقًا وجود رسالة من مصدر نسيته ..أو ..كادت تنساه مع تزاحم الاحداث في حياتها ..انه ذلك الغريب الذي ساعدتها الكتابة له فيما مضى على تخطي امور كثيرة .. كانت تكتب ما تريد دون ان تنسق الكلمات ،فنحن نميل بطبعنا للراحة مع الغرباء لأننا نشعر بالأمان اذ اننا مجهولون بالنسبة لهم فلا نتكبد عناء التصنع او الخوف من طعناتهم ...

" ولستِ الأقرب ..ولا الأوضح ...

ولست أعرفكِ تمامًا ..ولا حتى افهمكِ ..

تحملين لي رسائل متناقضة في كل مرة ... تارة تعبث رسالتك بداخلي فاستنتج أن الواقع ظلمكِ كثيرا وأنك قابلة للانكسار في وقتٍ قريب ..!

وتارةً تهمس لي رسائلك بما يشبه الوشوشة أنكِ امرأة لا سُلطة للحياة عليها ..تخط هي القوانين فتركع لها الحياة سمعًا وطاعة .. تخبرني انك امرأة تكتبين قدركِ وحدكِ وتكونين حيثما تريدين وكما تريدين دون أن يتجرأ احدهم لتغيير خططك ...

تظهرين فترة وتكثرين من الرسائل وفي فترة أخرى تختفين بطريقة مقلقة جدًا ..

وماذا عن الآن ..؟!! طال غيابك كثيرا ..وبدافع الاطمئنان عليك والاشتياق لتعليقاتك حول رسائلي أكتب الآن ..

أطلتِ عليّ أيتها الغريبة الغياب.. وبت أتساءل عن ماهية الأسباب.. أنا قلق جدا عليكِ ..أشعر وكأنني مسؤولا عنكِ ..لا تفهميني بشكل خاطئ ولكنها قرابة الحبر وصداقة الفكر ما يجبرني ما يشغلني بك .. في حال قرأت رسالتي ..أعيدي ملئي برسائلك التي بات تأثيرها أقوى علي من مئات الأطباء النفسيين ...

دمتِ بخيرٍ سيدتي .."

.. كان لبقًا للغاية ...جميلة هي تلك الصدف التي تضعها الحياة في طريقنا دون أن نعي .. صدف لا نذكر لها تاريخ لقاء ،أو ..لحظة تعثر ...تحدث معنا ببساطة فنشعر وكأنها كانت متواجدة معنا منذ الأزل ..نبحث عن أمر ما ونحاول العثور عليه فنجد الصدف قد اهدتنا ما هو اجمل مما كنا نبحث عنه ..

شخص لا يعرف اسمها ولا عمرها ولا حتى أين تسكن ..كل ما لديه هو معلومة واحدة وهي أنها تكتب ... ورغم ذلك يفتقدها ،ويتفقدها .. يشعر بغيابها ويقلق عليها ويسأل عنها ..!! جميلة هي بعض الروابط.. تلك التي لا يحكمنا بها بقاء ولا تقيدنا بها مسافة .. جميلون هم أولئك الذين يرحبون بنا بحب عندما نأتي ،ويبقون في انتظارنا حين نغيب بذات الحب ..!
يتعاملون معنا باحترام لأننا بشر فحسب .. ولا يهمهم اي تفصيل آخر .. نادرة هي تلك العلاقات التي لا تخضع لقانون او مبدأ .. مجرد كلمات تحمل من المشاعر ما يجعلك تفهم انهم يقدرونك بحق .. كان بإمكانها أن ترسل ردا سريعا له " أنا بخير "..ولكنها لم تفضل ذلك وآثرت الانتظار .. ارادت ان ترسل رسالة تليق به .. تختصر فيها ما تبدل من واقعها ..ارادت ان ترسل رسالة اخيرة له ولتجعل الختام مميزًا حتى وان كان متأخرًا ...

ترك بندر هاتفه ..حرك رقبته يمنةً و يسرة ثم جلس يحدق فيها بتململ واضح واضعًا يديه على ركبتيه ..

- ثم ماذا الآن ..؟!! هكذا سأل دون اية مقدمات ..

ردت بنبرة استفسار تزينها نظرة تعجب تعلو وجهها .. - ماذا ..؟!!

- ألم تشبعي من هاتفك بعد .. !! كانت نبرته تخبرها انه منزعج ..

ولكنها ردت - بصراحة لا .. هناك ثلاثة امور افتقدتها كثيرا في الفترة الماضية أحدهما هاتفي .. قالت جملتها تلك في خضم انشغالها بتفقد رسائلها ولم تكن تنتبه لتلك النظرة الماكرة التي علت وجهها ..

- وماذا عن الأمرين الآخرين ..!! تركت هاتفها لتجد ابتسامة غامضة تسكن زاوية فمه .. ارادت احباط ثقته الزائدة بنفسه فقالت

- اممم... في الواقع افتقد الكتابة بشدة ..!!

ولكن ذلك لم يكن ليقلل من غروره قدر انملة ... - وبعد ..!! ماذا عن الأمر الثالث ...

وجدت الفرصة لتراوغ - لا لا ..هذا ليس شأنك يا عزيزي ...

رد بصوتٍ رقيق - بلى انه شأني ..اخبريني الآن ..؟!

- ما الذي تريد ان اقوله ؟!! هكذا زيادة في المراوغة تساءلت ..

كان طويل البال جدًا معها - يبدو لي انكِ تعرفين ..

- لا ..لا اعرف ..اخبرني انت ..!!

ابتسم بتعب بينما أخذ نفسًا عميقًا ..- أكبر مساوئ الاناث مراوغتهن التي لا تنتهي وصبرهن الذي لا ينفد ...

سكت قليلا ثم قال - حسنًا ..سأجعلها أسهل .. هل افتقدتني انا ثالثًا ...!!

نظر الى عينيها فأكسبتها نظرته الدافئة بعض القوة لتقول ..

- في الواقع ..كنت انتَ أولا ..!!

أضاء وجهه بابتسامة مرهقة - إذًا افتقدتني ايتها المُتعِبَة ..!!

كانت جملتها تحمل نبرة السؤال عندما ردت ..

- لقد أخبرتني عيناكِ بكل شيء مسبقًا ولكني كنت اريد ان تجيبني شفتاك الآن ..

كان يمكن لشفتاها أن تجيب بطريقتين ...إما أن تعبر بالكلمات ..أو أن تجعلها تعبُره ..! ولكنها كانت قد اكتفت من الحديث عن مشاعرها وحان الوقت لكي تجعل مشاعرها تغتاله ... هل كان الوقت مناسبًا أم لا .. لم تكن تعلم كما انها لم تكن تدرك بدورها اي قوى الأرض تلبستها لتفعل ما فعلت .. وجدت نفسها دون ادنى تفكير تقترب منه وبلحظة مسروقة من زمنٍ كان ضائعًا بالنسبة لكلاهما التهمت شفتاه في قبلة هي اقرب الى قلبه للدهر ... قلبةٌ أشعلته بحرارتها ورغم انها كانت قبلتها الأولى الا انها كانت خاطفة ،ساحرة ،واحترافية مقارنة بقبلة عذراء ... لم يكن بحاجة للسؤال فقد اخبرته شفتاها النى لم تمسه مسبقًا بأنها افتقدته جدًا ..وكثيرًا ،وللغاية أيضًا ..!

تركته منذهلا ..مصدومًا ..ومتفاجئًا .. هي التي أجهدته وراوغت كثيرا لألا تخبره باشتياقها اليه أتراها تجود عليه بهذه الطريقة ..؟! هو الذي لم يتوقع منها أن تبادر يوما أغدقت عليه كرمها العاطفي طنًا من المشاعر التي ملأت بها قلبه في ثوانٍ قياسية ..كانت بالأمس وكأن وجوده قد سلبها صوتها .. كانت بالأمس وكأنها تتصدق عليه بالإيماءات فحسب وها هي اليوم تهبه أكثر من صوتها .. كان قد لاحظ اختلافها وتساءل عن السر في كونها قد أماتت الأمس وعاشت اليوم بشخصية جديدة .. هو الذي لم يكن قد سألها عما حاولت فعله في الليلة الماضية كان قد ظن أنها ستكون محطمة للغاية ..منكسرة او نادمة .. ولكنها أذهلته اليوم عندما كانت أكثر رضًى عن ذاتها .. بل وأكثر قوة أيضًا ..

كانت تقف أمام الشرفة ..تنظر لجمال النجوم التي يدهشها لمعانها الدائم غير آبهة لخسوف أو كسوف .. كان يسحرها بريق النجوم الذي لا يخفت وضوؤها الفريد الذي يتخطى ملايين المسافات الضوئية ليصل إلينا .. كانت تعشق السماء وكل ما يسكنها .. تتلصص أغلب الأوقات ليلا لتستمتع بدفء الليالي الظلماء وهدوء وسكون السماء في ذلك الوقت ..تُؤخذ بسحر القمر فتشكي له عن كل ما يحدث لها .. تظل تحكي وتحكي حتى تشعر

بالجو يتغير وترى النور يكتسح السماء القاتمة فيتبادر إلى ذهنها آلاف الأفكار التي تبث الأمل بداخلها .. كانت تفهم أن تقلبات اليوم بين ليل ونهار .. شمس وقمر ...سطوع في نهار ثم سماء قاتمة في الليل .. كل تلك اشارات إلهية من ربٍ عظيم تربت على قلوب مخلوقاته بأن لا شيء يبقى على حاله وسيغزو النور حياتنا لأن سنة الله في الكون ألا يدوم الظلام أبدًا .. كانت تشبّه البشر بالنجوم فرغم أن السماء ممتلئة بنجوم عديدة الا ان قلة منها من يميد ضوؤها أو يتخطى كل شيء ليصل الينا .. وهكذا هم البشر .. رغم امتلاء العالم بهم لدرجة أن بعض المدن تعاني انفجارًا سكانيًا الا قلة منهم من يسطع نجمه لتتذكره الأجيال ويمجده التاريخ ..وحتى في حياتنا ..رغم اننا نقابل المئات ويعبر لقلوبنا العشرات الا أن عدد ضئيل منهم من يترك بصماته في قلوبنا ويحفر اسمه في ذاكرتنا فلا ناكد ننساه مطلقًا ..

نست أفكارها لتجلس بحركة طفولية وتبدأ بعد النجوم ..راحت تضحك لتلك الخرافة او الأسطورة التي كانت تحكيها لها خالتها وهي صغيرة بأن من يعد النجوم تظهر له بثور في وجهه بعدد النجوم التي عدها ... كانت تخيفها تلك الحكاية وهي صغيرة أما الآن فلسوف تعد أكبر عدد ممكن من النجوم ..

..أين هي خالتها لتريها انها لم تعد طفلة ..؟!!

ولكن ..هل يسعد الإنسان حين يكتشف انه بات كبيرًا ..!!

تتذكر تلك الحكمة دومًا " عندما كنا صغارًا تمنينا أن نكبر لنكتشف العالم ..وعندما كبرنا أردنا أن نعود صغارًا هربًا مما اكتشفناه .." !

يبدو لها أن طبيعة الانسان تكمن في حبه لمناقضة نفسه .. عندما نكون صغارًا نستمتع حين تعطى لنا السلطة كالكبار .. نسرق " الماكياج " من دولاب الماما لنصنع شخابيط ونتفاخر بأننا قد فعلنا مثلهم وأصبحنا نشبههم .. نحب أن نجلس في المجلس المعد للكبار ونأكل مع الكبار ..نلبس ملابس الكبار ،ونشتري ملابسنا من محلات " النساء" أو

الرجال لا محلات الأطفال .. وعندما نكبر نعشق أن نبدو طفوليين .. يا لتناقضنا .. !!

لفت نظرها وجوده بجانبها متربعًا على الأرض ..

- أووه ..منذ متى وانت هنا ..؟!!

- اممم ...منذ ثالث نجمة تقريبًا ...

ضحكت لإجابته تلك ولكنها بالفعل لم تلاحظه عندما جلس بجانبها ..

- هل أذهب الى الصيدلية الآن ؟!..هكذا سأل بينما فاجأها سؤاله.

- لماذا .. هل تشعر بشيء ...!!سألته بفزع ظنا منها انه قد يكون مريضًا ...

- سأشتري لك مرهمًا للبثور فحسب ..!! صُدِمَت منه وضحكت بطريقة مجنونة -أيها المجنون ...هل تعرف هذه الخرافة أيضا ....!

- بربكِ ..هل أعرفها ..!! انني احفظها ..كانت جدتي تخبرني بها كل يوم لأترك البقاء عند النافذة وأخلد للنوم ..هذا بالإضافة لقصة الوحش الذي ينتظر الاطفال عند النوافذ ليلا ليختلس النظر ويلتهم من يتأخر في النوم ..لدرجة اني كرهت الليل والنجوم ..ضحكت بطريقة لطيفة خطفت تركيزه بينما قالت وهي تقهقه ..

- وهل كرهتها حقًا ..!!

- لا ..انني أحبها كثيرًا ..كانت مشاعر طفولية لا أكثر ..!!

- جيد ..لأنني كنت سأقتلك ان كنت تكرهها ...

- على مهلكِ رجاءً .. يبدو لي أنكِ متعصبة نحو ما تفضلينه ... من الجيد أنكِ لا تشجعين فريقًا في كرة القدم وإلا لكنتِ انهرتي مع كل خسارة لفريقك ... قالها مازحًا بينما ردت

- لا ..لست متعصبة نحو كل ما أفضله ..فقط السماء والقهوة ... انهما حفيداي .. قالتها وهي تغمز ضاحكة ..
- أووه .. منذ متى وأنتِ جَدّة !.. ثم إن مظهرك لا يوحي بأنك عجوزًا خمسينية ..!! قالها وقد بدت علامات دهشة مصطنعة على وجهه ..

- في أي عامٍ تعيش أنت ..؟ إننا في القرن الواحد والعشرين .. حتى العجائز يمكنهن أن يصبحن كمراهقات ببضعة عمليات ..التجميل يصنع المعجزات يا عزيزي ..

- حسنًا يا عجوزي المراهقة .. ظننتك لا تفضلين أن يكون لك أبناء .. فمن أين جئتِ بأحفادك ...؟!!

ضَحِكَت .. -تبنيتهم ..!!

عادت لشرودها وتوجيه نظرها الى النجوم عندما قطع تفكيرها لهجته الجادة وهو يسأل - اخبريني بصدق ..لماذا لا تفضلين أن يكون لديكِ ابناء ...

ردت بلهجة مازحة - ماذا ... هل أزعجتك فكرة أنني تبنيتهم دون أن أخبرك ..؟!!

- متى ستتركين عادتك في السخرية ..انني اسأل بجدية .. نظرت للسماء بإمعان ومشاعر متناقضة تختلج صدرها ..

- ليست المسألة أنني لا أفضلها ..إنني أخاف فحسب ..!

- ما الذي تخافينه بالضبط !!

تنهدت بضيق .. - أخاف ألا أكون قادرة على تحمل مسؤولياتهم، أخاف ان أنجبت ألا أربي أبنائي بطريقة جيدة .. فكرة الاهتمام بشخص وتغذية فكره بكل ما هو مناسب و ابعاده عما لا يجب والبقاء بقربه ليل نهار تعد مخيفة ... أتَعلم ... فكرة صنع انسان والقيام على تربيته مفزعة جدًا بالنسبة لي .. لا أظن أنني قادرة على تحمل تلك المسؤولية .. !!

أمسك بيدها وضمها بين يديه بينما سألها بلطف - حقًا ..!!

اومأت برأسها بينما هي مغمورة بأفكارها حد الغرق .. لطالما أغضبتها تربية الآباء العشوائية لأبنائهم دون أن يتكبدوا عناء قراءة كتاب أو حضور دورات في هذا المجال ..يربون جميع الأبناء بذات الطريقة وعندما يحدث خطأ يعاقبونهم جميعًا بذات الأسلوب دون الأخذ بعين الاعتبار أن لكل طفل شخصية مختلفة ..فالعنيد لا تثمر معه الصرامة والعقاب الدائم لا يعطي أي نتائج ..بل في أحيان تكون المسايسة والمناقشة مطلوبة ..وهناك من هو خجول ..وذاك ينبغي مراعاة عدم احراجه امام اخوته فهذا يسبب له العديد من المضايقات النفسية والعقد .. وهناك الحساس .. وهذا تؤثر به الكلمة كثيرًا فلا ينبغي وصفه بالأوصاف القاسية .. لتربية الطفل يحتاج الوالدين لدراسته جيدًا .. ما يحب وما يكره .. ما يهوى وما لا يطيق .. يحتاجون لمعرفة شخصيته اذ انهم مسؤولون عنه أولا وأخيرا .. لا ينبغي القاء اللوم على الأبناء دائما في حين أن الوالدين هم المسؤول الأول عن ذلك ... أَوَلم يقل الرسول أن كل مولود يولد على الفطرة ووحدهم أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ..

ولكن .. ما الذي يفعله الأهالي منذ الأزل ..؟!!!

لا شيء مما ذكرته ..هم فقط ينجبون ويتفاخرون بعشرة من الأبناء في حين أن التربية والأخلاق لا تكاد تتجاوز أخلاق طفل في عامه الأول .. ما السبب ...؟!! لا شيء سوى انهم لم يفعلوا أي شيء ..

يعاملونهم وكأنهم درازن متشابهة ،أو وكأنهم أخذوهم بالجملة .. جميعهم بذات الطريقة يكبرون وذات المهام تفرض عليهم .. ذات الأنشطة يؤدون وذات العقاب يفرض على من يُخطئ منهم ... من المؤسف أن رخصة الأمومة والأبوة متاحة للجميع دون أي اختبار قبلي ولا أي تأهيل ...ولكن .. ليت هذا ممكنا !! ليت لو انه يخضع الجميع لدورات مكثفة واختبارات قبلية قبل أن يُمنحوا حق تربية الأطفال .. كانت تذكر أنها قرأت ذات مرة انه في احدى البلاد الغربية لكي يتزوج شخص يخضعونه لتثقيف وعدة مراحل حتى اذا ما نجح يعطونه رخصة الزواج ..حينها وجدوا أن هذه الطريقة قد قللت نسب الطلاق بصورة ملحوظة ..

تذكرت معلومة أخرى نُفِضَ عنها الغبار في أرشيف ذاكرتها في تلك اللحظة .. يُذكر انه في بقعة من بقاع الأرض تسمى جزر سليمان ..يعمد المزارعون الى طريقة غريبة لإخلاء المناطق من الأشجار الكبيرة عندما يريدون الزراعة ..فهم لا يقطعون الشجر بل يلتفون حولها ويبدؤون بشتمها وسبها عدة مرات ..والعجيب أن الشجرة كانت تموت بالفعل بعد ذلك .. اذا كان هذا هو ما تفعله الكلمات والنقد السلبي بمخلوقات هي أكثر بساطة منا نحن البشر فما بالنا بأطفالنا الذين هم مجرد بذرة تحتاج لرعاية جيدة ولاهتمام دائم ولتشجيع وتحفيز لكي تثمر بطريقة جيدة .. ولكن ورغم ذلك نجدنا نسقيهم بكلمات تحيل ربيع عمرهم خريفًا .. " أنت غبي "لا تفهم" "لا فائدة منك " ..هذا هو كل ما نجود به عليهم وبعد ذلك نلومهم لأنهم لم يثمروا ولم يكونوا شجرةً خضراء نضِرَة كما أردنا ..

اكتفت بقطع حبل أفكارها بإقرار داخلي أدلت به إلى نفسها .. " بالله علي من ألوم أنا .. هل ألوم الآباء ام الأبناء .. كلنا ضحية هذه الحياة ..ولو دخل كل منا قلب الآخر لأشفق عليه.. تصرخ الأم على طفلها وتؤنبه وتُبكيه في حين انه لم يفعل اي شيء سوى انه احدث بقعة في قميصه المدرسي إثر لقمة اخطأت طريقها عن فمه وسقطت على قميصه ..في حين أن السبب الحقيقي وراء غضبها لم يكن فعل الولد ،بل هو زوجها الذي هاج عليها وقلب المنزل حارة إثر صراخه لتأخرها في اعداد القهوة الصباحية .. وليس السبب الحقيقي وراء هيجان زوجها هو تأخرها بل محادثة مزعجة مع مديره المتسلط .. ولربما وراء غضب المدير تساؤلات كثيرة من رؤسائه عن سبب فشل تلك الصفقة ..

سلسلة من الأسباب هي هذه الحياة وبالنهاية بحق .. من المسؤول ... أو .. من الذي ركل القطة كما هو السؤال في تلك القصة التي تحكي عن أب غضب من مديره فعاد للمنزل وأفرغ غضبه على زوجته التي قامت بدورها بتوبيخ ابنها ،فلم يجد الابن من "يفش خلقه فيه " سوى قطته فقام بركلها .. فأخبروني بربكم من الذي ركل القطة ..!!

. . .

لربما عشقها الكبير للأطفال هو ما جعلها تحلم في صغرها بأن تصبح طبيبةً لهم .. فحين تعمل كطبيبة يكون الأمر سهلا فإن لم تكن جروحهم خارجية فهي بالتأكيد فيروسات ستكشف عن نفسها بالأعراض ولكن ... ماذا لو انها أمًا.. كيف ستعلم بجروح طفلها الداخلية ... ماذا ان قام احدهم بخدش قلب صغيرها وزعزعة امان نفسيته .. ماذا ستفعل حينها ..!!

- هل تعلمين أن كل تلك في رأسك ليست سوى هواجس ..كانت نظرته مليئة بالصدق عندما كان يتحدث ...هل تدركين حجم المسؤوليات و كمّ الأشخاص الذين كنتِ لهم خير بشر على وجه الأرض ..!! لقد علمتِ الكثيرين دون أن تدركي ..وضعتِ وغيرت البعض بجمال داخلك ونقاءك .. تستطيعين أن تكوني أمًا ..بل وستبرعين في ذلك أيضا ..لأن الأمومة شعور وانتِ تملكين من المشاعر ما يفيض ،بل وما يؤهلك لأن تكوني أفضل أم ... أكمل اعترافه وهو يربت على يدها بطريقة حنونة ..

- هل تصدقينني ان قلت ..محظوظٌ هو ذلك الطفل الذي سيتربى على يد امرأة مثلك ..

نظر الى عينيها بحب واطمأنت هي لحديثه وهامت في تفاصيله عندما أكمل ..

- بل وأتشرف جدًا أن تكوني أنتِ أمًا لأطفالي على وجه الخصوص ...

أحست برعشة جميلة ازاء الهدوء الذي تلبسها وهي تنظر اليه في ذلك الوقت .. ابتسمت بامتنان وهي تقلب حديثه في رأسها فقد لامستها كلماته كثيرًا ..بل ويبدو انها أحدثت ثغرة في قناعاتها القديمة التي كانت تتبناها ..ليس الآن وحسب ..بل منذ فترة طويلة كان قد بدأ بهدم جدار قناعاتها شيئا فشيئا .. لم تكن تثق بالحب حقًا ..ولا أن هناك من يبيع نفسه ليشتري آخر يحبه بجنون .. العديد مما تبنته قد تبدل على يده والآن هو أيضا يساعدها على تخطي أفكار احتضنها عقلها حتى كبرت ورغم ذلك باتت تخيفها كثيرًا ...

- ما رأيكِ اذًا ..؟! كانت غمزته تلك تعطيه مظهر اشد مكرًا .. نظرت اليه بصرامة وهي تقول - لن يحدث وان كنت آخر الرجال.

- لم تعطني قبلتك ذلك الشعور في الصالة قبل قليل ...

بلامبالاة ردت - كانت عابرة ...!!

- قلوبنا لا تستطيع ايصال مشاعر عابرة ..

- ولكنني لم أشعر بشيء ..

- مراوغتك لم تعد تعمل معي وسأجعلكِ تقرين بحبكِ عاجلا أم آجلا ..!!

- هل تهددني أم ماذا ..؟!

رفع حاجبه بثقة وهو يجيب - انها مسألة ثقة لا غير ..

- ثقة ..!! ما الذي تريده مني .. ثم انك لم تخبرني يوما بأنك تشعر نحوي بأي شيء فلماذا ينبغي أن اعترف لك بمشاعري ..هذا اذا كان كلامك صحيحًا ..

- انسي الموضوع ولنغير الحديث ..ألن تخبريني الآن ..؟!!

- عن ماذا ..!!

- عن سبب تغيرك المفاجئ ..!!

- هل تقصد ما حدث بالأمس ... !! تنهدت وهي تكمل وكأن سؤالها لم يكن من أجل تلقي اي اجابة ..بل وكأنها كانت تعلم بدورها ان الفرق يساوي اكبر من ١٨٠ درجة بين نفسيتها في الأمس ونفسيتها في اليوم.. في الواقع هو ليس مفاجئًا ..كان لدي فترة طويلة من الليل وبداية الصباح لأفكر في كل ما حدث وما حاولت فعله .. حلمت حلمًا غريبًا ولكنني استيقظت منه بمشاعر مختلفة .. تنهدت لتكمل .. أتعلم .. رأيتني أسقط في حفرة لا قرار لها وكأنني عالقة .. فكرت كثيرا ..هل كان يعني هذا انني كنت لأظل عالقة في ألمي لو أنني أقدمت على الانتحار ..!! لست افهم ما حدث فلم أكن بوعيي حينها ..كنت أشعر كما لو أن قوة غريبة قد سيطرت علي

وشعرت بأنني ينبغي ان اتخلص مني ومنها وأخفف الحمل عن عاتق كل شخص أجهدته معي وشتته من أجلي ..كنت أشعر بأنك على وجه الخصوص قد وصلت حدك معي .. لا أعلم كيف فكرت حينها وكيف خرجت من كوني عقلانية لأصبح فتاة لا تهتم لما سيحدث لها في حياةٍ أخرى ان هي قتلت نفسها ولكن صدقني ما حدث معي لم يكن بالأمر السهل والاهانة التي تلقيتها لم تكن مرضية لي أبدا ولكنني آثرت الصمت ووقفت بكبرياء على مضض .. لا تسألني كيف صمدت كل ذلك الوقت وانهرت عندما جاء الفرج ..ولا تسألني كيف شككت في لحظة بلطف الله وقدرته على جبري ولكن ..هل تصدق أنني خرجت من دوامتي تلك بتجارب أكثر وثقة أكبر بالله .... كانت قد أخفت التماع عيناها اللتان يغلفهما الدمع عنه .. فقال لها بحب

- أما أنا خرجت من تلك المحنة بشيء أجمل من العالم بأسره ..سكت قليلا وأجاب حين حفزته عيناها المتسائلتان ..

- لقد خرجت بكِ أنتِ ..

مسح عن عيناها الدموع وقبل جبينها بوقار بالغ ولوهلة شعرت انه لم يكن هو ،اذ انها لم تعتد منه كل ذلك التقدير لكلامها منه ..

- ليست مهمة تفاصيل الماضي بقدر ما هو مهم أن نتعلم منها ولا نقف عندها مطولًا ..أليس كذلك ..؟!!

أومأت وشفتاها تحمل ابتسامة خافتة ..

لا أريد أن ابدو عديم الاحساس ولكن شكل عيناك عندما تلتمعان اثر الدموع بداخلها يؤثر فيني بشدة .. شفافية الأسود حين تغلفه الدموع تدهشني ...ثم انه ....بالنسبة لمشاعري ... أعتقد ان هناك ما يحدث رغمًا عني ..

رغم ارتباك كلماته الا انه قفز من مكانه بحركة سريعة وكأنه لم يقل شيئا ..رفع يده وهو يفرقع بإصبعه ..

- لقد أتتني فكرة ! ركض بسرعة لم تمكنّه من الاجابة حين سألت عن ماهية الفكرة ..جاء بعد ثوانٍ قليلة وهو يحمل بين يديه بطانية كبيرة ولحاف فرشه على الأرض ووسادة ..دُهشت من تصرفه لدرجة غطت فيها فمها المفتوح بيدها في حركة ذهول شديد وسعادة ..

- حقا ... ؟!! هل جننت ..؟!!

- ألم يعجبك ...؟!!

- أوه ... بلى .. بالتأكيد .. انها فكرة في غاية الروعة ...!!

كانت سعيدة بطريقة لم يراها بها من قبل.. أيقن انها تعشق النجوم أكثر مما ظن.. استلقى على ظهره واضعًا كفيه تحت رأسه الذي كان قد وضعه على الوسادة الوحيدة التي أحضرها ..نظرت اليه باستغراب فشدها اليه لتتوسد صدره .. حاولت التملص الا انه شدها بقوة أكبر فثبتت في مكانها دون حراك .. رغم توترها الا ان انفاسه الدافئة كانت تشعل النار بداخلها وتملؤها بحرارة تذيب صقيع قلبها... استطاعت أن تهدأ على ايقاع نبضاته ويده التي كانت قد أحاطت خصرها فأشعرتها بأمان أكبر.. شعرت كما لو انها تتمنى لو أن لقوة عناقه القدرة على أن تشابك أضلاعهما معًا .. ليت لو أنها تدخل فيه وتصبح جزءًا منه .. ليت لو أن لناره القدرة على جعلها رفاتًا يسكن جيبه ويختبئ تحت وسادته وينعم بدفء صلواته في كل ليلة ...

وصفت سعادتها تلك بال (اكستاسي) .. حالة من نشوة السعادة الغامرة وكأنها النعيم ...

قالت وهي مغمضة عينيها وكأنها تقبض على مشاعرها لكيلا تغادرها تلك الأحاسيس..

- أتعلم ..يصفون نعيم الحياة بقولهم " الخضرة والماء والوجه الحسن " ...أما أنا فنعيمي يختلف ..اصفه في فنجان قهوة وحبيب كقطعة سكر وسماء ممتلئة بالنجوم ... رفعت رأسها لتنظر في عينيه .." السماء من

فوقي ،وهناك مجنون يشبه السكر يدعي بأنه حبيبي بجانبي ..لا ينقصني الآن سوى فنجان قهوة لأصل لحالة النعيم تلك ...

رد بينما هو يحدق بها .. -أو ليسوا يسمون التعلق بالقهوة إدمان.. أدمنيني اذًا ولأكن قهوتك ..

ضحكت بخجل ثم - كتبت ذات مرة "قصتي مع القهوة مختلفة وشاعرية جدًا فأنا أبعد ما أكون عن الادمان .. فالإدمان بالنسبة لي نوع من التعلق القصري والغير مرغوب.. انني في حالة عشق يتجدد مع كل رشفة ..بل وانني قادرة على الوقوع في غرامها مئة مرة في اليوم ...

أكملت دون أن تراوغ او تدّعي - يمكنني أن اقع في غرامك ألف مرة في اليوم واستبدل كوب قهوتي اليومي بجرعة منك ..

ظهرت ابتسامة جميلة على وجهه يبدو انها قد ظهرت مع حديثها الأخير

- من المشرف لي أن أكون شيئا من النعيم الخاص بك !

أتعلمين.. لا أستطيع خوض حرب الكلمات معك كما أن تعبيري لا يكون جيدا حين أصفه كلاميًا ..لمس خدها براحة يده بلطف وراحت يده تجوب أرجاء وجهها ببطء وكأنها تكتشفه بينما كان قلبها يخفق بسرعة وشعرت بمعدتها وكأنها تُقبض عندما لمست يداه شفتاها ..

لربما لست بارعًا في الحديث ..ولكنني أجيد التعبير بلمساتي بطريقة رهيبة.. كما أنني أستطيع اختزال كل مشاعري في كلمة واحدة ان اردت.

كنت سبابته تداعب أنفها عندما ختم حديثه ..

- لنخلد الى النوم الآن ...هيا ...

كان قد مد يده لها لتستلقي في حضنه الليلة ولكنها كانت ما تزال تنظر اليه ولم تستجب ليده الممدودة لها ..

- وما هي تلك الكلمة . !!

لربما لم يرتب للإجابة عن سؤالها كما نطقت تعبيراته المتفاجئة بسؤالها ولكنه رد بثبات ..

- أي كلمة !! ليس هناك من كلمة ..كان مجرد تعبير لا أكثر ... حاول تغيير مجرى الحديث حين هتف ..دعينا ننام الآن ..

..كان يكذب ... نعم انه يكذب ...! ولكن لماذا يكذب على كل حال!!

هل يبحث عن وقت مناسب أم انه يعبث معها فحسب .. يعتقد انه يملكها لمجرد وجود عقد يربط بينهما .. ولكنهما لم يتفقا على ذلك ... هي لم ترد يوما أن تتزوج سوى ممن تحب او ان تتقرب من أحد غير شخص يخفق قلبها بجنون ويضطرب لوجوده ..وقد كانت تشعر بكل ذلك تجاهه ... ولكن ماذا عنه .. هل هو مجرد عابث أم انها يبادلها الشعور ..!! لم يخبرها أبدًا بحبه لها ولم يأت على ذكر ذلك ولو لمرة واحدة .. أتراه يستثقل الكلمة أم أن نطقها يحتاج منه لمعجزة ...!! هي أيضا لم تخبره بمشاعرها من قبل ولكنها أباحت بأكثر من تلك الكلمة.. هي فقط تحتاج لأن تتأكد انه يبادلها ذات الشعور .. كان سكوته هو العائق الأكبر بينهما ... ما الذي يخشاه على كل حال ولماذا لا يبوح لها بمشاعره فحسب ..؟!!

. . .

(ها قد أحببتك)

(حين تتحدثين الي فيتسرب نبيذ ثغرك الى ثنايا روحي فأثمل .. هل أكون مذنبًا أم لا ..؟!!)

استيقظت وفتحت عيناها بصعوبة بالغة لتنظر للأعلى بينما كانت تحمي عيناها بإحدى يديها لكيلا تتضرر بسبب أشعة الشمس الشديدة في ذلك اليوم نسبيًا.. لم تجده بجوارها.. ظنت انه يحضر الافطار ربما.. ولكنها وجدت ملاحظة كتبت في ورقة صغيرة عثرت عليها عندما كانت تجوب الغرفة "لدي مشوار مهم.. قد أتأخر قليلا .." وفي أسفل الورقة كان قد وضع نجمة كتب بعدها * ارتدي ذلك الفستان الذي أحضرته
* ..استغربت .. لقد قال أن الفستان لمناسبة مميزة ..ولكن ما هي تلك المناسبة ..؟ لربما سيعودون للمنزل ! ..هكذا فكرت .. ولكنها سعدت لتلك الفكرة عمومًا .. حتى لو كانت غير حقيقية .. بدأت ترتب شكلها في ذهنها أولا .. تخيلت نفسها ترتدي الفستان ..وبما أنه عاري الظهر فإنها قد أضافت لظهرها (في خيالها) تاتو على هيأة أنغام موسيقية ... شعرها البني الذي يصل لأسفل ظهرها كان منسدلا بينما جعلت حركة بعض الخصل wavy .. مكياج ناعم لطيف وكالعادة تركيزها الأكبر على العينين والشفتين .. مكياج العيون ترابي بدرجات مدموجة تصبح أغمق كلما اقتربت من نهاية العين بينما تحيطهما بخط أسود رفيع ولمعة بارزة في البداية ..شفتاها محددة بقلم أحمر وأحمر الشفاه الذي وضعته كان بدرجة أغمق من المحدد ..لا تحتاج لأن ترسم شفتاها أكبر فحجمهما جميل ومناسب جدا.. بل وفاتن لدرجة تجعلك تجزم أنها قد ملأتها عند أشهر

طبيب تجميل ..ضحكت بغرور لتلك الصورة .. كانت لتبدو مغرية بتلك اللمسات ولكنها ستعدل فيها الكثير ..فلم تكن تمتلك في ذلك الوقت سوى حقيبة يدها وما تحمله فيها من ماكياج وبعض الحلي البسيطة التي كانت ترتديها في ذلك اليوم الذي اختطفت فيه .. اممم ..ليس لديها مجفف شعر أيضا ... أفف ..يا لسوء الوضع ..هل تتركه بطبيعته كما هو ناعم ومموج أو .....

وَجَدتها.. ستطلب ما تريد ويصلها إلى باب المنزل.

أمسكت هاتفها وطلبت مجفف شعر وبعض مستلزمات التجميل التي تنقصها.. من الجيد انها كانت ما تزال تحتفظ بمحفظتها في حقيبتها والا لكانت وقعت في مشكلة .. لم تنسى أحمر الشفاه أحمر اللون من ماركة ماك فهي تريد أن تبدو كما الصورة في ذهنها .. أرادت أن تبهره خصوصا وأنه أخبرها ان الفستان لا يليق بامرأة سواها .. لذلك أصرت على ان تكون أجمل مما توقعها وحلم بها .. ابتسمت وقامت لتُخرج الفستان من الخزانة لتقيسه فهي لم تفعل ذلك في اليوم السابق .. تعلم أنها ستبدو مثيرة فيه فهي حتى وان لم تكن قد مارست الرياضة منذ فترة الا أن تقاسيم جسمها ونحتة خصرها وروعة رشاقتها تخبر وبجدارة أنها امرأة رياضية بامتياز .. فتحت الخزانة لتأخذه ولكنها وجدته مطوي بترتيب على الرف في حين أن هناك شيء مغلف قد وضع فوقه .. حملته باستغراب وقامت بفتح الغلاف فإذا به دفترٌ أنيق باللون الأسود تزينه خطوط ذهبية تتخللها أخرى بيضاء وُضعت بطريقة فوضوية ولكنها ساحرة .. كان هناك بطاقة جميلة خارج الدفتر كُتِب عليها ..

" وُلدَت شمسي وقمري قبل ربع قرن ..ولكنني لم ألتقيها سوى منذ عام ونصف .. قامت قيامتي وعصف العالم بي في هذا العام ونصف الآخر ... أخبرتك أنه يوم مميز ..يكفيني أن يرتبط تاريخه بذكرى مجيئك لهذا العالم لكي أراه عيدًا ...

حتى و إن نسيتِ فأنا لا أنساك .. كل عام وأنتِ بخير .."

فتحت الصفحة الأولى لتجد ..

(وقبل ....!)

* لمعلوماتك ..فهذه مذكرات كتبتها في الأيام الخوالي التي قضيتها دونك .. كنت قد أصبحت شتاتًا ووجدتكِ تبعثرتِ بداخلي أكثر لدرجة أنني قد أصبحت أنزف ما يشبه رائحتكِ حين ترعف أنفي ..فقررت أن أرتبك ..فكانت هذه الكلمات ..."

مرحبًا ..

أعلم بأنك متفاجئة جدا ..بل ومصدومة وأنتِ تمسكين هذا الدفتر .. كيف يعقل أن اكون انا من يكتب الكلمات القادمة .. كيف يمكن أن يكون كل ما ستقرئينه هو وليد قلمي.. أنا الذي لم أعترف بالحبر يومًا ...

لا تسأليني لأني لا أملك الرد.. لربما لأن دخولك لحياتي صنع في داخلي فوضى مروعة.. كل شيء تبعثر في ذات الوقت.. واضطررت أن أخوض الحرب ضد نفسي.. اتخذت في ذلك الوقت من القلم سلاحًا تيمنًا بك..
أخبرتني يومًا أن الكلام سهام.. بل ووقع كلمة واحدة ان أحسنّا التصويب قد يعادل ألف سهم.. بل وقد يصنع انفجارًا وقعه أشد من التدمير الذي ألحقته قنابل الأميركيين بمدينتي هيروشيما وناجازاكي اليابانية..
أخبرتني أن الكلمات قد تخلدنا في قلوب البشر وقد تمحينا منها.. أذكر أنني سألتك حينها.. ألهذا تكتبين إذًا.. لكي تتخذين من كلماتك رُقية تصنع لك الخلود.. ؟!

أذكر حين ضحكتِ يومها وأجبتِ: أنا.. لا تستهويني فكرة الخلود مطلقا.. انني أود أن أهرب الى جنة ربي بأسرع ما يمكن.. محسنة الظن بربي ولا أريد دنيا فانية.. !

سألتك ...ولماذا تكتبين اذًا ..!!

" لأن الآخرين بحاجة لكلماتي.. وأنا بحاجة لقلمي.. وقلمي بحاجة لتأدية واجبه وتفريغ حبره قبل أن يجف بداخله دون أن يبدع.. أكتب لأنني سأموت ان لم أفعل .. لأنني أشعر أحيانًا بأنني سأتقيأ الحروف وأفرغها

عن طريق فمي ان لم افرغها بأصابعي.. " كان هذا بالنسبة لكِ ..ولكن ماذا عني ..!!

لا أدري بحق كيف راودتني فكرة شراء هذا الدفتر ولا أعلم بحق كيف اخترت تلك الأقلام بعناية واهتمام ..ولكنني كان لي هاجسًا وحيدًا .. هو أن افرغ منكِ أو أُفرِغك مني قبل أن تتلبسيني ويصبح الخلاص منكِ أمرًا مستحيلا ..صدقتُ أحلام حين قالت بأننا ندفن البعض حين نكتب وكذبتكِ أنتِ حين قلتِ بأنه القول الوحيد الذي لا تكادين تستوعبينه .. فحين نكتب نترك المجال للملايين كي يقرؤوا ما كتبنا ..فحتى و ان كان ما نريد هو دفن شخص فقد صنعنا له بكلماتنا ضريحًا سيأتي لزيارته عدد كبير من البشر ... قلتِ لي .. بربك ..كيف تقتل شخصًا لتصنع من قبره بعد ذلك مزارًا وأنت تعلم أن أصحاب المزارات لا يموتون بل يتوسل بهم الأحياء ويخلدون ذكراهم أكثر من مئة مرة في اليوم ...

نحن نفرغ ذاكرتنا حين نكتب.. نجعل لذكرياتنا وطنًا من ورق تنسى البقاء في عقولنا ...لهذا أكتب أنا رسالة وداع لكل من يرحل لأخبر عقلي أن النهاية قد كُتِبت ووثقت فلا داعي لأن يطيل البقاء عند نقطة البداية.. أردت قتل مشاعري نحوك فإذا بالكلمات تجعلها أشد وأقوى ..أردت أن اغتال صورتك في عقلي فإذا بكلماتي تخطأ طريقها اليك وتغتالني أنا ..

ولكن ... أتدركين أن الموت في سبيلك حياة ..!! هذا ما شعرت به وذقته في كل مرة كنت أراني في خطر بسببك أنتِ.. كنت أسعد لفكرة أنني قد أتأذى لأجلك ..أن أُجرَح ، أُحرَق .. أن انزف فيضيف دمي على رداءكِ ...لم أكن متأكدًا من أنك قد توقفين نزيفي ولكنني انتشيت لفكرة أن الدم لا يزول من الثياب ويختفي ،بل انه يترك أثرًا ولو بسيطًا .. ولذلك سيظل ردائك دائما ملوثًا بدمي أنا ..وأنا فقط ..

هل تريني أناني الآن... فليكن.. عندما يتعلق الأمر بكِ فأنا أكثر من أناني ..كنت أجهز في كل يوم كلماتي .. أرتبها ..أنمقها ..لأخبرك بها .. وعندما كنتِ تأتين تتحدثين بسذاجة عن ذلك الشيء الذي تسمينه عمر فينهار برج كلماتي طابقًا تلو الآخر ...

لستِ المذنبة .. كانت غلطتي اذ أحببتكِ متأخرًا ..ولكنك أيضًا أتيتِ الي متأخرة .. ذلك اليوم عندما أتيت لأطلب يدكِ أُعجِبت بك حقًا .. وجدتك محاطة بهالة ضوئية ساحرة تخطف عيناي للاقتراب منها .. ولكنني لم أقترب ..! خفت ،وأنا الذي أعارض العادات والتقاليد أن أصبح زوجًا بحكم العادة وأترك الحب الذي عمَّرته بداخلي .. قلت عمرته ولم أقل عمرناه ..ذلك أن لميس لم تكن تفعل شيئا أبدًا .. وحدي من ظننت أني أحببتها ووحدي من افهمت عقلي الباطني وأقنعته بهذه الخزعبلات .. الآن اكتشف انه لم يكن سوى "لعب عيال" وطيش قد حسبته نضج .. وأنكِ وحدك الحب الحقيقي وأنني مستعد ان ادفع عمري مقابل لحظة بجواركِ أنتِ ...

أتذكرين عندما كنت أناديك ب(امرأة) فتغضبين وتصرين "ما زلت فتاة ...فتاااة" ..! هل تذكرين !! هل تذكرين عندما كنت تخبريننني أنك آنسة ولستِ سيدة كما أقول بتبريرك أن السيدات يكن ثلاثينيات أو متزوجات بينما انت ما زلتِ عشرينية ..!! لم أنظر اليكِ يومًا على أنكِ فتاة حتى وان كانت تلك رغبتك .. لأن أنثى مثلك خُلقت امرأة بغض النظر عن عمرها وحالتها الاجتماعية .. لأن عيون مثل عيونك وروح مثل روحك ورقي مثل رقيك وجاذبية مثل جاذبيتك لا تمتلكها سوى السيدات يا سيدتي ..

هل لي بأن أبوح لكِ بسر ..!! هل تعلمين أنني لم أنادي لميس يومًا ب(سيدة)ولم أرقيها يومًا لتكون امرأة ..!! كانت دومًا فتاة ... بنت .. ووحدكِ كنتِ انثى .. أنثاي التي أسعد برؤية سحرها يزداد وبأنوثتها تزهر فأخاف أن تتورد أكثر ليقطفها غيري ..

كنتِ امرأتي التي أصبحت لي بعقد زواج واصبحت لغيري بنظرات ... تلميذتي التي نميت عقلها بإهدائي المستمر للكتب لها ففاض عقلها بكل ما تعلمته لتثير اهتمام الآخرين دوني.. لم أنتهي بعد ... أنتِ فتاتي أيضًا ..وطفلتي ..وابنتي ..ومراهقتي ..وقطتي ..!! انتِ اناث كل هذا العالم بالنسبة لي ..انتِ تلك التاء المربوطة والألف الممدودة والمقصورة في نهاية كل اسم مؤنث . بل انكِ تاء التأنيث الموجودة في آخر كل جمع

سالم يرمز "للأنثى"!! تركيبة سحرية أنتِ .. تجعلك تفهم ولا تفهم .. تُجَن دون أن تدرك .. تحترق في عز البرد وتظمأ في وسط شلال يتدفق من فوقك ويسيل بين يديك .. ترفع معدل نبضك عاليًا .. يجعلك الحديث معها بنكرياسك يفقد التركيز، كيف لهذا الجسم أن يُدخل كل تلك الكميات من السكر دون أن يأكل ؟!! هكذا يتساءل البنكرياس .. افهم وأنا أتحدث معكِ بأنني قد أموت في أي لحظة .. نعم ... قد يرتفع الجلوكوز بمعدل فوق الطبيعي ..أو تزيد درجة الحرارة لدرجة عالية تجعلها حمّى مميتة تدخلني في غيبوبة .. او في اسوأ الحالات قد يزيد معدل النبض من زيادة ضخ الدم بطريقة تفوق قدرة الشرايين الاستيعابية فتنفجر .. ولكن في كل الأحوال ستكون كل ميتة أروع من سابقتها لأنها من أجلك ولأنكِ جزءا منها ...

أتذكرين ذلك اليوم عندما كنا في المطعم الذي اصطحبتكِ اليه لأهديك وأهدي نفسي ليلة استثنائية بمناسبة تخطينا - أنتِ وأنا - تجاربنا الفاشلة مع أشخاص لم يكونوا بالمستوى المناسب ... أتذكرين عندما عزفوا موسيقى تلك الأغنية التي اعشقها كثيرًا ورحت أخبركِ أنها المفضلة لدي وأنني أهديكِ اياها بمناسبة تلك الليلة ... ابتسمتِ برقة ورغم هدوءك قلتِ أن الأغاني ليست شيئا للاستمتاع فحسب ..بل انها كلمات مصحوبة بموسيقى و لولا الكلمات لما كانت الموسيقى .. وأضفتِ بعد شيء من السكوت .. أشكرك على الاهداء ولكنني أفضل كلمات حقيقية تشعر بها تجاهي .. هل كنتِ تلمحين لشيء أم أن كل تلك التساؤلات الكثيرة أيقظت شيئا قد حاولتِ دفنه فيكِ ...!! هل استفزتكِ دندنتي لكِ حين رحت أغني ...

What if I told you that I need you...

What if I told you that you special...

What if I told you that I love you...

كنت أتمنى لو أخبركِ أن مشاعري حقيقية وأنني بحاجة لأن تجيبي عن سؤالي Would you told that you love me back??! ... ولكنني لم أسأل ... ولم تجيبي !!

أعمارنا ماهي الا أرقام كما تقولين ..لدينا تواريخ ميلاد تقليدية نسعد لأجلها ونحتفل ..ولكن لكل شخص عمر حقيقي بنض فيه قلبه لأول مرة وشعر بعده بأنه بات على قيد الحياة بحق ... يخبر تاريخ ميلادي التقليدي بأنني رجل ثلاثيني ..ولكنني في الحقيقة لم أحيا من تلك الثلاثين عامًا سوى عام ونصف ... 540 يومًا بالضبط هي المدة التي قضيتها معكِ لأشعر بعدها أن كل أيامي الفائتة كانت لا شيء ..أو انها كانت مجرد سراب لأنكِ لم تكوني محشورة بين دقائقها وثوانيها ...

يا إلهي ... من أين تخرج كل هذه المشاعر دفعةً واحدة ..!! ما الذي يشحن رصيد كلماتي وما الذي يحفز قلمي كي يكتب .. ؟!! ظننت أني سأنتهي منكِ خلال نصف صفحة فإذا بالصفحات تتوالى وبالمشاعر تهيج .... واذا بتفاصيلكِ تملؤني كلي ..!!

ذاكرتي التي اعتقدت أنها تختزن عددًا بسيطًا من الذكريات وجدتها تفيض ..كل غرف الذاكرة ممتلئة برائحتك .. حتى الجدران مطلية بذات الأحمر الفاتح الذي تفضلين ...

أعلنت حالة الطوارئ داخل عقلي وعزمت على اقامة عملية جرد كبيرة لكل ما يخصك .. وهل استطعت أن أفعل ..!! لا أدري بصراحة فقد وجدت أن تفاصيلك في عقلي أكبر من تفاصيلي التي أحفظها عني ... وان تجريد ذاكرتي منكِ يعني أن أفقد ذاكرتي التي أملكها ..فقد كنتِ كل الذاكرة يا عزيزتي ...!! فتحت درج الذاكرة فإذا بعطركِ الباريسي يقتحم جيوبي الانفية.. بل ويخترقها ... حاولت ألا أبالي وألا أسمح لإغراء رائحتك بأن يفقدني توازني فوجدتني أتعثر بخاتمكِ الفضي .. حملته بين يدي ..أمعنت النظر فيه ... أين ذهبت اللمعة التي كان سطوعها يجعل عيناي تثار.. أمعنت النظر فإذا بي لا أجده أخاذًا كما كان عندما كنتِ ترتدينه .. فاكتشفت في ذلك اليوم أن السر في اليد لا في الخاتم .. قد ترتدي ذات الخاتم ألف امرأة ولكن لا تنتشي أعماقنا برؤية الخاتم على يد أي امرأة سوى من نحب ...

. . .

لم يحدث لي وأن علِقت في شخص لهذه الدرجة .. فقد كنت دائم الخلاص من كل ما يقض مضجعي .. قيدت نفسي بما أحب وما أرتاح به فقط ..فإذا بكِ تفكين كل قيودي التي فرضتها على نفسي لتلبسيني قيودًا أخرى من صنعك أنتِ .. جئتِ لتجرديني من سطوة القيادة وتزرعين فيّ الاحتياج ..كقطة أليفة اصبحت أنا .. ابحث عنكِ ..التف حولكِ .. أموء بلطف لأثير انتباهكِ واجعل عيناي تتسع أكثر في محاولة مني لاستدرار عطفك انجح في محاولاتي فتربتين على رأسي ..أنتشي بسعادتي وكأنني تجرعت أقوى أنواع الفودكا ...تكملين تربيتك بنظرة ساحرة فتصيبني عيناكِ الواسعتان بمقتل فتكتمل ثمالتي حد الجنون ..

هل تغريكِ حقيقة أن عيناكِ تجردني من كل الشارات والأقنعة وتجعلني مجرد طفل يحتاج الحب منكِ ويفعل اي شيء مهما كان تافهًا كي ينال اعجابكِ وكأنكِ أمه...!

عيناكِ ...آاااه وما أدراكِ ما عيناكِ...!!

ساحة حربٍ هي عيناك ..

ديوانٌ من الغزل يحمل في طياته آلاف القصائد ..

بحرٌ متناقض.. يبعث الارتياح بداخلك بينما تداعب موجاته قدماك الحافيتان وتتخلل قطراته أصابع قدميك بخفة وكأنها قررت أن تريحك بأفضل أنواع المساج.. يأتيك بمدٍ خفيف وجزرٍ لطيف ولكنه لا يظل طويلا حتى يضربك بتسونامي فظيع قد يفقدك روحك ..منزلك ..مقر عملك .. فيسترد هو منك الراحة التي كان قد أعطاها لك سابقًا ... مريحةٌ هي عيناك ولكنها غادرة في ذات الوقت ..كبحر ..

لم أكن أؤمن بإغراء الأسود قبلا وقدرته على الفتك حتى افتتنت بتينك الفاتنتان ... قادرة هي تلك الغامضة كليْل على الايقاع بي بنظرة واحدة ...

لست رجل التفاصيل أنا ولا سيد اللحظة ... لست ممن يستهويهم التدقيق وتشدهم التفاصيل البسيطة .. ولكن تفاصيلكِ تفعل .. كبيرةٌ هي في نظري لدرجة تخطف كل تركيزي نحوها .. دقة حاجباك وتراص الشعيرات فيها

بذلك الترتيب المتناهي الذي يحتاج لأعوام من التدرب من أجل رسمهما ... روعة أنفكِ الدقيق والمنحوت وكأنه الرقم سبعة .. خداكِ اللذان يغريانك بشدهما ..تقبيلهما .. تمزيقهما من فرط جمال امتلائهما المتناسق دون أن تُفقد تقاسيمكِ جمال البروز الخافت .. شفتاكِ الممتلئتان بتناسق مذهل وتحديدهما الرائع الذي يجعلني أجزم في كل مرة أنكِ لو قابلتِ عصر دافنشي لكنتِ جاكوندته الخاصة ولحصد من أجلك شهرة اعلى من شهرة الموناليزا خاصته .. في ابتسامتهما سحر وغموض توهت قلبي في فك شيفراتهما كما فعلت ابتسامة الموناليزا بالنقاد ..
قنبلة هي ابتسامتكِ بأسلاك متقاربة ومتشابهة وأكثر من سلك أحمر ..كلما قمت بفصل أحدهم لتطفئ القنبلة وجدتها تزداد قوة .. لا أكاد أفهم ضحكتكِ ..بقتامة نورها وبريق ظلامها ..بإغرائها المستتر خلف رداء البراءة .. فلا تدري هل الإغراء هو الحقيقي والبراءة هي غشاء التورية ..أم أن البراءة هي الحقيقية بينما الإغراء هو المستحدث ..!! كل ما أفهمه هو أن هكر العالم أجمع غير قادرون على اختراق تلك الابتسامة ..

يدكِ البيضاء المميزة بأنامل صغيرة هي أقرب الى أنامل طفلة منها الى أنامل بالغة ...

دافئة ... مريحة وكأنها وسادة .. حنونة ومليئة بالمشاعر وكأنها لغة أخرى لنبض قلبك ..

رغم أني لم أحارب لأفهمك الا أن هناك شيء مريب فيكِ شدني لاكتشافه ...لستِ بالصعبة ..ولا أنتِ بالسهلة .. أنتِ ما يسمونه بالسهل الممتنع .. تبدين غاية في الوضوح و الشفافية ولكن ما ان يتوغل الشخص فيكِ حتى يفهم أن بداخلك ألف حجرة وحجرة مغلقة بحاجة لفتح وفهم ودراسة ...تمتلكين ثلاث شخصيات أساسية في حين أن لديكِ أخرى فرعية حين تقتضي الحاجة ولكن تلك الثلاث هي الأساسية .. الأولى هي شخصيتك عندما تكونين مع من تحبين وتلك هي شخصيتك الحقيقية .. عفوية ..طبيعية .. بسيطة كفتاة ريفية .. تضحكين دون تكلف ولأبسط الأسباب .. تكون روحك في ذلك الوقت مرحة للغاية ونقية كوردة .. تلك

هي أقرب شخصياتك لقلبي حيث انني أراكِ حينها تجسدين الانعكاس الحقيقي لمعنى النقاء وتجسيد واقعي لخفة الروح ..

شخصيتك الثانية هي تلك في المناسبات ومع من تربطك بهم علاقة سطحية.. وحينها تكونين مترفعة وتتحدين بثقة عالية.. تتلبسك مسحة من الغرور ..تصبح كلماتك معدودة وابتساماتك أقل ..اما عن الضحكة فان استدعى الأمر فإنها تخرج هادئة دون صوت ..

ها أنا قد أعطيتك اجابة لسؤالك المستمر "لماذا يتهمني بالغرور كل من يراني لأول مرة "!! ..لأنك وببساطة وان كنتِ متواضعة الا أن للكبرياء مكانًا في قلبك قد لا تنتبهين له .. لربما هي فطرة أو أنها جيناتكِ أنتِ يا حفيدة كليوباترا .. ماذا أقول لامرأة ولدت مترفة تحمل اسمًا يحمل في معانيه كل أنواع الترفع وعدم الاحتياج لأي شيء !!

أما عن شخصيتك الأخيرة ..فهي تلك التي تبدين فيها وكأنك ستتقيئين من فرط المجاملة ..تنظرين فيها لساعتكِ باستمرار وكأن وجود ذلك الشخص بجوارك قد أحال الثواني جحيمًا .. تكتفين بالإيماءات وكأن اللغة باتت أكبر من أن تخرج من أجل محدثك .. لم تتعلمي المجاملة ..لذلك فإن تلك هي شخصيتك مع من لا تستسيغين الحديث معهم ومع أولئك الذين ينافقون في وجهكِ لأجل المصالح ليس الا ...
وبخصوص المنافقين .. حضرني للتو مقولة لغازي القصيبي الذي تفضلينه وتبريني عن سيرته باستمرار معلقة انه "رجل فخم "... سأخبرك به لأني أعلم أنك تتحرقين شوقًا لسماعه دون أن اجهدكِ بالتطرق لموضوع غيرتي الغريبة من وصفكِ الثاني له حين قلتِ انه "لم يعد هناك رجال مثله ..وكان هذا عندما سمعتِ تصريحه في المقابلة عن الامرأة خلف الرجل العظيم الذي كانه فاكتفى بالرد "في الواقع ..كلهن في الأمام ونحن نركض خلفهن " عمومًا ..أذكر أني قرأته حين اشتقت اليك فوجدته قد قال " قمة المتعة أن تجالس شخصًا يكرهك ويغتابك كثيرًا ورغم ذلك يبين العكس في وجهك ..هذا كافٍ بأن يخبرك أن لحضورك هيبة قادرة على تحويله الى منافق جبان .."..حقًا لقد وجدت انه فخم كما تقولين ..حتى مع اعدائه كان

يترفع عما لا يليق به .. انه ممن ترفع له القبعة اجلالا واحترامًا ..رحمه الله ...

. . .

القت الدفتر بجانبها واستقلت على السرير بتعب .. لقد وصل ما طلبته لذلك قاطعت رغبتها الشديدة في مواصلة القراءة وقامت لتفتح الباب ..سعدت كثيرا اذ أن كل شيء قد وصل حسب احتياجها تمامًا ..اكتفت بالابتسام وإلقاء الكيس على الكرسي في الصالة بعد تفقد محتوياته وعادت لتكمل قراءتها في الغرفة ...كانت شغوفة بإكمال الدفتر حتى انها نست أن الوقت يداهمها وأن عليها الاستعداد لحفل ميلادها... حفل ميلادها ..! بحق ... هل اليوم هو الثالث عشر من ابريل ..!! متى جرت الايام بسرعة هكذا ..!!

ولماذا على الوقت دومًا أن يحاول قطعنا وكأننا منافسه الوحيد في ماراثون الحياة ...!! عمومًا ..ليس الوقت مناسبًا لفلسفتها الآن فشوقها لإكمال القراءة اكبر من اي شيء ... لأنها كانت تحب القراءة أولا ..ثم ..ولان ما كتب كان وكأنه رسائل طويلة ..وهي تعشق الرسائل ...ثم .. إن كاتب الكلمات هو نصف روحها ..بل وكل روحها أيضًا ان صح التعبير فهل تأخر أحدهم يومًا عن روحه ؟!! عادت للقراءة من حيث توقفت ...

" يقول غسان كنفاني ...

لا تصدق أن الانسان ينمو ..لا ..بل انه يولد فجأة في لحظةٍ ينشق فيها صدره عن نبضٍ جديد ... مشهد واحد يطوح به من سقف الطفولة الى وعر الطريق ...

هل تصدقين أنني كبرت حقًا.. كل ما أعرفه أنني ولدت فجأة دون أن أعلم.. هل كنت قبل ذلك على قيد الحياة وقلبي هو الذي وُلد معك ..أم أني كلي على بعضي جسدًا وروحًا وقلبًا قد جئتُ منكِ دون ان يتنبه أحدهم الى حبلك السري الموصول بي مازال موجودً ولم يقصه أحد بعد ..!!

لم أكن أعلم أن صدفة واحدة قد تحيينا بحق ،بطريقة غريبة يمكن لشخص واحد أن يصبح أسرة وأصدقاء ووطن ..

في لحظة قد نقع في الحب فيسكننا كشبح لا تقوى أقوى التعاويذ على طرده ..نصبح مجانين .. متلهفين لأربعة أحرف ..!! تغير قلوبنا ايقاعات نبضها لتضرب على اربعة اوتار ولتعزف على اربعة نغمات .. ألف الشوق ..وحاء الحنين .. وباء الجنون .. وكاف التملك .. تدق بتلك الحروف الأربعة وكأن لغات العالم قد خلت الا منها .. تتغير مقاييسنا للبشر ليصبح الكل مقارنًا بمن نحب .. نفتح قلوبنا لمشاعر جديدة وألوان جديدة وننبه عقولنا بأن مشاريع هدم القناعات قد تتم في اي لحظة واننا مستعدون للموافقة عليها من أجل ذلك الساكن فينا ...

الحب يغيرنا ..يلوننا .. يحيينا .. يجعلنا أطفالا كبار أو مراهقين ونحن في سن الخمسين ..نعلم انه متعب ولكننا لا نكف عنه ...هو متناقض .. تارة يكون كالدواء ..وتارة يصبح كالداء الذي لا شفاء منه ... تارة يسعدنا كما لا يستطيع العالم كله ان يفعل ..وتارة يحزننا بالطريقة التي لا يستطيع العالم كله ان يسعدنا بعدها .. ورغم اننا نعلم بمرارته الا اننا نعشقه .. نتمنى ان نجده ..ان نتعثر به ...نميل اليه كثيرا وحين نُكسر على يده لا نجد قاضي نلجأ اليه ولا محكمة نرفع دعوة عنه اليها ..ذلك ان ارض الحب كما قلتُ سابقًا ،لا محاكم ولا قوانين ولا قضاة ولا محامين يمكثون فيها ..

وماذا بعد كل ما قلته ..هل عفاني الحب من ضرائبه ..!!لا يا حبيبتي .. لم يفعل ..لقد دفعت ضرائب ثمنها اكثر بكثير مما أخذت .. صمتٌ أكثر مما تحدثت على أمل أن تشعري ..ولكني سئمت .. مضى عام ونصف كان من الممكن أن نعيش فيها اروع التفاصيل ولكن عنادنا زاد الامور تعقيدًا .. اردت ان تعرفي بحبك قبل أن أفعل ..ولكنك لم تفعلي ..حاولت ان اتواطأ مع غروري وأتحدى نفسي بإن أجعلك اول من يضعف ..واول من يعترف ولكنك آثرت الصمود وسقطت أنا ..

لا بأس في أن أكون اول من ينطقها .. فلا عيب في ذلك ..

أعترف امام قلبك وبحضرة شاهدا الوقت والروح بأنني متيم بك ..سجينك الماكث طوعًا بحكم مؤبد ويرجو من القضاء العادل أن يعطيه حكمًا اطول لو هناك ...

أعلم انكِ سيدة اللغة وابنة القلم وحفيدة الابجدية ولذلك سأخبرك امام عشيرتكِ بأنني أحبك لكيلا أنتهك قانون العادات وحكم الأدب ..

أحبك للغاية وكثيرا جدًا ...حب مُطلق ..بلا حدود ولا شروط .. أحبك لأنك تلك الفتاة التي أسرتني وحسب ..أحبك يا ترفي و يا أميرة قلبي ..لن أهديك ادارة الفندق بل اريدك ملكة تحكم مملكةً بنيتها لأجلها وسأهدها دونها ..

احبك لدرجة ان حياة واحدة لا تكفيني معك ولو ان هناك حياة أخرى ثم ثالثة ثم مئة حياة لاخترتها بقربك .. اريدك لي بكل ما
فيك ..بضحكاتك ..جنونك ..همساتك ..وحتى روايتك لي لتلك الاحداث البسيطة في يومك .. تضحكين بحب فأثمل بضحكاتك .. تتنهدين بصمت فيعتليني شعور الحزن .. اشعر بكِ دون أن تنبس شفتاك بكلمة وأفهم تعبك قبل أن تذرف عيناك دمعة واحدة ..اريدك روحًا تحل داخل جسدي فلا يصبح لي حياة دونك يا روحي ..

. . .

كل ما ذكرته سلفًا كان مجرد مشاعر قبلية عشتها معك في الخفاء ..تأملات ليلية سرقتها منك لأحفظ ملامحك عن ظهر قلب في حين أنني لم أكن ادرك بسذاجة العشاق أن تلك التأملات ستكويني بنارها في لحظات الاشتياق .. كانت عيناي تلتمع ببريق عشقي لك ولكنني كنت أتعمد اطفاء ذلك البريق في كل مرة .. احاول بتر مشاعري رغم يقيني ان المشاعر لا تبتر واننا لا نملك القدرة على اسكات قلوبنا بشكل دائم .. اننا نعقد الهدن المؤقتة معها فحسب وكلنا ايمان ومعرفة ان اللحظة التي ستستأنف فيها مشاعرنا حديثها وستكمل فيها قلوبنا نطقها باسم ذلك الشخص لن تتأخر ..ولكننا نحاول ان نرتاح فحسب .. لا بأس بيوم اضافي ..

والآن جاء دور ... وبعد ..!!

الآن بات الوقت مناسبًا كي أمارس طقوس حبي علانية على مرأى ومسمع الجميع لا أن أتهرب واختبئ كي امارسها في الخفاء ...

وبعد ....!!

وبعد كل ما سمعته ...

وبعد كل ما حدث ...

هل أنتِ مستعدة كي تكملي الدرب معي .. بحلاوته مرارته وفرحه وترحه ..بالأبيض منه و الأسود ومده وجزره ..

هل أنتِ متيقنة أنكِ تبادلينني ذات الشعور.. أم أن قلبك يود البوح بفائض أحاسيسه لشخص دوني ..

اخترت اليوم بالذات لغرضٍ مهم ..وهو أن يتوافق يوم مولد روحك وقلبك في ذات التاريخ ..فإن كنتِ تريدين ذلك فأخبريني ليحمل الثالث عشر من ابريل الف ذكرى ...

كل عام وأنتِ بداخلي ...

أسندت رأسها قليلا الى الوراء ..و..... يا الهي ..ما الذي يحدث بحق الله !

وضعت يدها على قلبها لتخفف من سرعة نبضه .. يكاد يخترق صدرها ليخرج ويتخذ من حبر الكلمات في ذلك الدفتر مصل حياةٍ له .. لا تعلم كيف ارتفع منسوب الادرينالين ومن أين تولدت كل تلك الطاقة داخل جسدها دون أن تحرك ساكنًا ... لكنها قفزت كطفلة صغيرة وراحت تذرع

الغرفة وهي ترقص بعشوائية ..تبتسم تارة لتعود وتشرد تارة .. كانت اقرب الى الجنون منها الى الحب ..ولكن ..أوليس الحب أعمى يحتاج للجنون كي يقوده كما تقول الأسطورة ؟!!

يحبها ..!! كم تاقت لسماع تلك الكلمة منه ..كم تمنت في ايام كثيرة لو انها كانت اقرب اليه من حبيبته السابقة ولكن كبرياءها كان بالمرصاد لكل احساس يتملكها حين تراه ..أخبرها منذ البداية أن قلبه مشغول فحاولت أن تستقل عنه وتجعل مشاعرها حرة .. لم تكن لتقبل بالتمسك بدور الضحية أو اقحام الاهل في مسائل قلبية لا تحل سوى بتوافق قلبين لا تراضي عائلتين ..رغم جنونها المعروف في وسط صديقاتها الا انها كانت أكثر تعقلا في تلك المرة وقررت قرارا قلب حياتها رأسًا على عقب .. ولكنها وجدت نفسها تميل اليه بمرور الأيام وزيادة اللحظات ..وجدت انه فارس احلامها في حين انه اتاها بفتاة أخرى تجلس معه على ذات الخيل ... ولكنها لم تكن لتقبل بذلك .. اعتادت أن تكون الأولى و الأخيرة ..حين تأتي لا يكون قبلها وحين تذهب لا يأتي بعدها ..تترك بصمتها على كل شيء ليتنبه الآخرون الى انه مملوك ...نقطة في بداية السطر كانت هي ..لربما هي مغرورة ولكن لا بأس بنرجسيتها تلك فلم يكن الأمر بيدها فقد حسم الأمر منذ ان اسماها والداها " ترف " ..كان لاسمها تأثير كبير في تكوينها فرغم بساطتها وتواضعها الا أن شيء بداخلها كان يستيقظ بين الحين والآخر وكأن الغرور فطرة فيها لا صفة ..ماذا تفعل وهي ترف في حياة كل شخص ..وكأنها اكبر من الواقع وأرقى من الأحلام وأسمى من التمني ...

..أطلقت تنهيدة فرح وركضت بسرعة نحو الحمام لتأخذ اسرع دوش في العالم ..كانت تعلم أن الوقت يداهمها وقد انقضت بلمح البصر كل تلك الساعات وعليها الآن أن تجهز نفسها بأسرع ما يمكن ...

خرجت في غضون ثواني ..جففت شعرها بطريقة هامشية وقامت بتجديله بخصل كبيرة ليأخذ شكل التمويج الغير متناسق ..هكذا هي تعشق سحر الفوضى ...

انهت ترتيب مكياجها بصورة سريعة ..كانت تبدو ببراءة طفلة بوجهها الصغير وبأناقة أنثى بحمرتها الصارخة .. بدلت روب الحمام بذلك الفستان الذي بدا مذهلا عليها ..كان ينقصها بعض اللمسات لتصبح جاهزة تمامًا ولكنها لم تستطع اخماد مشاعرها اكثر من ذلك ..حاولت عندما كانت تستحم بأن تطفئ احاسيسها المشتعلة ببرودة ماء الخريف الذي كان قد بدأ يحتضر ولكن محاولاتها لم تفلح ..اشتاقته كثيرًا وبعد كل ما قرأته تشعر برغبة عارمة للاعتراف والبوح ....

ترى ...هل تتصل به ..!!

في انتظار اجابة من عقلها أخذت الدفتر لتتصفحه ..تقلب صفحاته بشرود ولكن ورقة سقطت منه فقطعت عنها اندماجها بالكلمات .. وجدت ورقة تحمل تاريخا ليس ببعيد ..ركزت جيدا فوجدت أن التاريخ يوافق أحد الأيام اللعينة التي كانت محتجزة فيها .. كانت الكلمات مكتوبة بطريقة شبه فوضوية توحي بحاجة كاتبها للخلاص من الأحرف أكثر من حاجته لتنسيق الكلمات بإبداع ...

" أتعلمين أن المسيحيين يلقبون قسيسهم ذاك بالأب الروحي .. يلجؤون اليه ويمثلون أمامه عندما يريدون الاعتراف وتلمس الغفران .. لست مسيحيًا أنا ولكني أمارس طقوس تلك الديانة معكِ الآن .. أحاول اللجوء اليكِ الآن لأفرغ نفسي من كل شيء.. في رسالة ..

لم أنم جيدًا اليوم ... استيقظت عند الساعة السادسة صباحًا لأنني عانيت من صعوبة في التنفس .. أتصدقين اني رششت القليل من عطرك الملقى في ذلك الدرج لأتمكن من التنفس بشكل أفضل ..

أعلم أن كل الأعراض لدي تشخيصها الطبي " مجرد برد " ولكن ماذا عن تشخيصها النفسي ...!!

غريبون هم أولئك الأطباء ... لا أتنفس بشكل جيد لأنني لم التقي (اكسجيني)منذ زمن طويل ،لا لأن فيروس الزكام قد اجتاحني.. أعاني الحمى لأن النار المشتعلة بداخلي منذ غيابك قد زاد اشتعالها وظهرت على

شكل حرارة خارجية بسيطة ولو رأوا كم الحرائق بداخلي لفهموا أن مقياس الحرارة الذي يستخدمونه لا يسمن ولا يغني من جوع وأيقنوا أن عشرة سيارات اطفاء لا تكفي لإخماد نيراني فما بالهم بتلك الأقراص التي يصفونها لي باستمرار ... لا أكاد اميز طعم الأشياء لأن كل شيء فقد طعمه من بعدك وأصبح مُرًا .. حتى القهوة التي كنتِ تنصحينني أن أقلل السكر بداخلها خوفًا على صحتي أصبحت أشربها مُرة في غيابك ..

ليس بي خطب سواك ..وحدك دائي ودوائي .. أخبريهم أنني بخير وان جرعة واحدة منكِ قادرة على اعادتي حيًا ..!"

. . .

سقطت دمعة منها في لحظة تأثر ..ما كل هذا .. منذ متى أصبح بندر شاعرًا يجيد العزف على عود الكلمات ..؟ هل يجعلنا العشق كُتّاب أم أن الفراق يقتل القدرة فينا على الكلام فلا نجد سوى الكتابة رفيقًا ..!! أيًا كان الذي جعله يكتب لها فذلك لا يهم ..المهم أن ما باح به كان رائعًا بحق .. كيف استطاع أن يخزن كل تلك المشاعر بداخله دون أن تشك يومًا انه قد يكون يكن لها ربع احساس .. حَمَلت هاتفها وهي تبتسم ..شعورٌ بالراحة تملكها فأرسلت له عبر هاتفها ...

- متى ستصل أيها الشاعر !!

ضحكت لسخريتها ... متى ستتوقف عن أخذ الأمور مأخذ الهزل ..!

رد باستخفاف - هل جربتِ من قبل دخول مجال الكوميديا ..دمك خفيف ...

ضحكت من فرط السعادة بداخلها ... يبدو أنها أزعجته ..

أرسلت له - لا لم اجرب من قبل .. المهم دعنا من هذا ..هناك أمر أود استشارتك فيه ..

رد - وما هو ..؟!!

- أخبرتني صديقتي أن حبيبها المتغطرس اعترف لها وأخيرًا بحبه .. كانت رسائله تحفة فنية ولكنها تسألني بحيرة ما الذي ينبغي أن تفعله ..!!

- ما هذا السؤال الغريب .. اذا كانت تبادله نفس الشعور فلتخبره فحسب ..

- اي شعور متبادل الذي تتحدث عنه .. انها تعشقه أكثر مما يفعل .. يكاد قلبها ينفجر من كم المشاعر الهائل فيه ...

- اممم .. اشرحي لي أكثر ..!!

- ما تشعر به يفوق الوصف .. عندما كانت تقرأ ما كتبه من أجلها كانت تشعر وكأنها تعتلي قمة غيمة وتجوب بها السماء .. ليس حبًا ..وهل الحب هكذا !!.. انها تشعر وكأن روحه تسكنها ..وكأنه هي .. ان كان سحرًا فسحرٌ أسود هو ..وان كان عشقًا فأقسم لك أن العشق لم يعهد مثل تلك المشاعر ..

- حسنًا .. جيد جدًا .. ولكن لدي استفسار بسيط .. ما دخلك أنتِ كي تقسمي أن العشق لم يعهد مثل تلك المشاعر ..أتتحدثين عن صديقتكِ أم عنكِ !

عضت شفتيها بانزعاج .. لقد أخطأت الآن .. أرسلت له علامة تعجب كعادتها عندما يضيع منها الرد ...

ولكنه رد - أخبرتك ألف مرة أنني سأقتلك بعلامة التعجب تلك ..

- وأنا أخبرتكَ مليون مرة بأنها ستكون أشهى جريمة قتل على مر التاريخ ..

- منذ متى وهناك جرائم شهية ..لديكِ نزعة اجرامية يا سيدة .. ينبغي أخذ الاحتياط منكِ ..

- هناك أشخاص يجعلون للاغتيال طعم مختلف كأن تموت على يد من تحب مثلا ..

- اعتراف مجنون قد يجعلك محط شبهات ..

- وهل تحتاج الحقائق لأسئلة كي تُثبَت ..حين نتعلق بشخص نفضل الموت على يده على البقاء دونه ..

- وهل تفضلين الموت أنتِ على يدي ..!

قلبت الموازين حين ردت - وهل أحبك؟

فتح باب الشقة في تلك اللحظة ودخل.. نظرت اليه فإذا بهِ ما زال ممسكًا بهاتفه وفاجأتها رسالته حين كانت مليئة بالثقة ..

- نعم تحبينني.. والآن هل تؤكدين نظريتك وتفضلين الموت على يدي...! خرجت للصالة لتجد باب الشقة مازال مفتوحًا في حين انه يقف بالداخل بالقرب منه.. أغلقت الباب فخطفت أنظاره بهيأتها الفاتنة.. كان ينظر اليها بإعجاب حين اقتربت منه وسحبت الهاتف من يده بهدوء ..

- انظر الى عيني جيدًا الآن ..اخترقهما واغرق بداخلي أكثر .. هل تجدني حية كي أموت على يديك أم انك اغتلت قلبي منذ زمن بعيد للغاية ..لقد ذابت روحي في تفاصيلك ولم يبقَ لي سوى جسدٍ فان يطالبني بك في كل مرة ..ورغم اني لا أجيد الاختصارات الا أني أحبك .. قالت كلمتها تلك وعادت لتنظر اليه فوجدت عيناه تلمعان بطريقة جميلة ..هل كان يكفيها ما قالته لمعة عيناه أم أنها تحتاج لأن يوثق كتاباته بختم صوته ..! ضمها اليه بحب ونطق وهو يبتسم بينما هي بين يديه ..

- رغم غرابة كلماتك الا أنني لن أغتالك أبدًا مهما كان قتلي لك في عينيكِ شهيًا ..لأنكِ تعيشين بداخلي وحين أقرر أن أؤذيك سأؤذي نفسي لا محالة .. ابتعدت عنه وقد رسمت ابتسامة ماكرة على شفتاها..

- لا تحاول أن تنسيني الآن .. أين هي هديتي ..!! هاه.. لا أرى في يديك أي هدية ..!!

- اممم .. في الواقع يا عزيزتي أني دخت وأنا أبحث عن هدية تليق بجلالتك ولكني لم أجد .. أعذريني ولكني لم أجد ما هو أجمل منكِ كي أهديك اياه .. اتسعت عيناها في غير تصديق مصطنع وراحت تضحك ..

- لا لا ..لا .. لن تضحك علي بهذه الطريقة القديمة .تعلم أني انزعج من أولئك الرجال الذين يستغبين نساؤهن .. لن يخجلني حديثك وينسيني طلبي ... أعلم بأني جميلة ولكن ... أين هديتي. كان يضحك بصدق

- وما الذي أوقعني بامرأة مغرورة مثلك هكذا

- احم احم.. تقصد ذكية.. ذكية يا سيد ..!!

- أوه نعم ..بالطبع ..قالها بسخرية ..حسنًا يا آنسة ذكية ما رأيك في أن أكون هديتك لهذه الليلة ..!!

رفعت حاجبًا ونظرت بغضب - هل تسخر مني الآن ؟!!

تساءل - ولماذا ... ألا أرضي غرورك ..!!

قاطعها صوت جرس الباب قبل أن ترد وكأنه قد أنقذها من مهمة انهاء الحديث معه .. ظهر على وجهه توتر غريب وهو يتلفت يمينًا وشمالا ثم ينظر اليها

- الى الغرفة الآن.. هيا .. قال تلك الكلمات وجذبها من يدها في حين أنها كانت تسأله

- لماذا ... ما الذي حدث !!

أدخلها الى الغرفة و -لا تخرجي أبدًا إلى أن انااديك .. حسنًا ..!

كانت ستومئ برأسها دليل الموافقة ولكن عيناه وقعت على المفتاح في قفل الباب فأخذه ليغلق الباب وراءه ويتركها ..

نظرت بفزع ونطقت بينما هو يقفله - ماذا هناك ..!

- سأعود في الحال ..انتظريني ..أغلق الباب وراءه وتركها متوترة للغاية ..ما الذي يحدث ولماذا بهت لونه هكذا عندما رن جرس الباب .. هل كان ينتظر قدوم أحد أم أن هناك أمرًا سيئا قد حدث !! يا الهي ينبغي أن أسكت عقلي المجنون هذا .. كانت تجوب الغرفة ذهابًا وايابًا لتعود وتضع اذنها على الباب لتفهم من في الخارج .. مرت ربع ساعة وقد طفح

الكيل حقًا ..لولا أنها تخشى أن يكون هناك شخص بالخارج لخلعت الباب من فرط الطّرق .. نظرت للساعة .. والآن أصبحت عشرون دقيقة .. بحثت عن هاتفها ولكن لسوء الحظ كان في الخارج أيضًا .. لم يحدث أن كانت نافدة الصبر أو فضولية ولكن عندما يجتمع التوتر مع الفضول يصبح الوضع جنوني جدًا .. فتح الباب و ....

- ما الذي حدث ..هاه ..من الذي طرق الباب !! أخبرني الآن لماذا حبستني في الداخل ...

- شششش ...وضع يده على فمها ليوقف فيض الأسئلة التي غمرته بها ..

- هلا توقفتِ عن طرح الأسئلة لأستطيع أن أجيبك .. كم أنتِ مزعجة يا صغيرتي .. ابتسم ... سأريكِ الآن لماذا أغلقت الباب ولكن أغلقي عيناك أولا وسيري معنا ...اتفقنا !! هزت رأسها وأغلقت عيناها ،أمسك بيدها وقادها ببطء في ممرات الشقة التي لم تكن قد حفظتها جيدا بعد .." افتحيهما الآن " .. فتحتهما فاتسعت نظرتها وشهقت لجمال ما رأت ..

- واو .. هكذا نطقت ..!! لم تكن تتوقع أن يفعل لها كل هذا رغم الأوضاع المريبة التي يعيشانها ..كانت الطاولة مرتبة بشكل يخطف الأنفاس ..الشموع موزعة بترتيب على الجوانب وعلى الطاولات الجانبية بينما وضعت كعكة شوكولاتة في المنتصف وتلونت الارضية بعدة بلالين وضعت بغير ترتيب ..الأنوار خافتة وساحرة بشكل مبهر ..هل حقًا رتب كل شيء لأجلها هي ..! هل حقًا ومن بين كل التواريخ والأيام تذكر هذا اليوم بالذات.. هل حفظ تاريخ يخصها هي ورغم ذلك كانت قد نسته ... نظرت اليه وعَبرَت نظراتها عمق عيناه ..كانت نظرة مليئة بالمشاعر المعقدة ..مغمورة بالحب والشكر والامتنان ..انحدرت دمعة يتيمة على طرف عيناها ولكنه لحظها سريعا وقرب يده من خدها ومسحها بحنان بينما همس بلطف ..

- وماذا الآن يا أميرتي ...لقد عاهدتك ألا اهدر دموعك أبدًا ..فهل يرضيك أن تنقضي عهدي الآن ..!

رفعت يدها لتطبطب بخفة على خدها بغرض ازالة دموعها التي تركت خلفها أثرا ..بينما ابتسمت بصدق وهي تقول ..

- انها المرة الأولى التي أشعر فيها بأني مهمة للغاية بالنسبة لشخص وعاودت دموعها الهطول مرة أخرى رغم تناقض دموعها والابتسامة التي كانت تعلو شفتاها ...

- هيي هيي دراما كوين ..لا تقلبي اليوم مناحة و دعينا نستمتع باللحظة .. قالها مداعبًا بينما انفجرت هي تضحك باستنكار ..

- عفوًا ..عفوًا ..مين دراما كوين ..!!

وكأن العدوى قد انتقلت اليه ابتسم هو الآخر ..

- تدورين مشاكل من اي شيء ..حرام عليك خربتي ام الرومانسية.. أكلمت ضحكها بصوت خافت ووجدته يتقدم ليضيء الشموع على الكعكة ..

- اطفئيها بهدوء وتمني أمنية ..

نظرت اليه وعيناها مليئتان ببريق السعادة والاماني وقد زادتهما بهجتها جمالا ..اغمضت عينيها بقوة وتمتمت في داخلها بالأمنية التي كانت ولا زالت حلم بالنسبة لها ..فتحتهما بهدوء وبطء شديدين وأرسلت من بين شفتيها الكرزيتين نسمة هواء لطيفة عانقت بدورها ضوء الشموع لتطفئه في لحظة يظهر فيها أن كل الشموع المضاءة في الغرفة كانت تغبط تلك الشموع على الكعكة لأنها هي من أطفأتها ..رفعت رأسها والسعادة تملأ وجهها وقالت وهي تخاطبه بمكر..

- لن أخبرك ما الذي تمنيته..!!

رد وهو يضحك لأسلوبها الطفولي - ولكنني لم أسألك؟!

- اممم... فكرت أن أحذرك فحسب...

- يا إلهي...!أتساءل أحيانا إلى أين يذهب عقلك..! وأرفق كلماته بغمزة لطيفة.. برقت عيناها في إغراء واضح بينما أخبرت شفتاها التي عضتها ببطء أن ما ستقوله حتما لن يكون عاديًا..

- هل تريد أن تعرف أين يذهب عقلي.. عليك أن تفهم مدى عمق تأثيرك علي لتجد الإجابة.. اختفت هيأة الفتاة التي كانت تضحك توا وتسخر منه لتحل محلها نظرات متقدة...من امرأة صاغت كل روايات الأنوثة واساليبها.. في نظرة.. بصدق لا أعلم ما الذي يحدث لي ولكني لا املك عقلا في حضورك.. أشعر و كأنك تسلبني القدرة على التفكير وتجعلني أشعر فحسب..

اقتربت منه وهي تمسك بياقة قميصه

- اصدقني القول ..هل أنت ساحر ام أنني واقعة تحت تأثير تنويم مغناطيسي!!

رغم تفاجئه بها إلا أن نارا بداخله اثارتها كلماتها ونظراتها وحركاتها ولا يبدو أن الوضع سينتهي قبل أن يطفئها.. تقدم خطوة لتصبح المسافة الفاصلة بينهما ضئيلة جدا وتحدث بنبرة صادقة

- أن كنت ساحرًا فأنتِ إذًا أحد شياطيني الذي لم أسبر اغواره فتمرد علي.. وان كنتِ واقعة تحت تأثير تنويم مغناطيسي فهذا يعني أن موجاتك المغناطيسية قد نومتني معك واصبحتِ أنتِ أعظم خيال واقعي عشته.. تعمق بنظرة في عينيها..

- بصدق يا ترف.. هل تعلمين أنك عمرًا آخرًا غير الذي اعيشه وأنني أصبح معكِ فقط على قيد الحب والحياة والفرح..!!

- وهل تعلم أنت أنك تقف امام جسد بعمر السادسة والعشرين يحمل قلبًا بداخله لا يتجاوز عمره العام والنصف ..لقد نبض قلبي ووُلد في اليوم الذي رأيتك فيه أول مرة ولم أكن اعلم قبلا أن لي قلبا حتى أحببتك .. مسح خدها براحة كفه ثم ضمها ببطء الى صدره بشوق وحب ومشاعر ملتهبة ..

- يقال أن الحب يهدينا قلوبنا ..

- وأرواحنا أيضا يا عزيزي..

- اخبريني ... منذ متى وانتِ تشعرين بشيء تجاهي ...؟!

- منذ اللحظة التي عرفتك فيها وكنت أخاف على نفسي كثيرًا من خطر الحب ثلاثي الأقطاب ذاك ...

- هذا يعني انه حب منذ النظرة الأولى ؟!!

- بل وما قابل تلك النظرة .. يبدو أنني أحببتك منذ خُلِقت ..

- أتعلمين .. في لحظة كهذه لا يسعني الا ان استشهد بالبدر .. هل تعرفين ماذا يقول البدر يا بدري ..!!

غاصت برأسها أكثر في وسط بحر دفئه وهي تتساءل ..ماذا يقول !

- ما قلت لك ..

انك عمر والعمر مرة بالعمر ...

اكتفت بابتسامة صادقة في حين لم يكن لديها اضافة سوى ان ترد بكلمات البدر نفسه .. - ويقول البدر أيضًا ...دامك زرعت بداخلي الحب ورد ..ما بي أحد غيرك من الناس يسقيه ..!

أمال رأسها ليواجه نظراتها ...

- ومن أخبرك يا حبي أني سأسمح لأحدٍ من البشر دوني أن يسقي بستان قلبك .. سأروي حبنا بماء عيني ان عجز ماء الأرض عن ارواء.. وسأفدي أرضك بأجزاء مني لتحلله وتصنع منه سمادًا ان احتاجت تربتك لذلك.. لن يعرف قلبك بستانيّ غيري ابدًا طالما أنني ما زلت على قيد الحياة .. تنهدت براحة وهي تغلق عيناها بقوة وتعاود دفن رأسها في صدره بقوة أكبر وكأنها تود غرس نفسها فيه.. طوقته بذراعيها لتحتضنه بقوة أشد من قوة عناقها الأول وكأنها تريد أن تبقي تلك اللحظات وذلك الموقف لآخر العمر ولو أن أسطورة آلة الزمن حقيقية لكانت تغاضت عن

العودة الى الماضي أو تغيير حدث مؤلم قد اصابها سابقًا أو حتى التنبؤ بأحداث المستقبل واكتفت بتلك اللحظة ماضٍ وحاضر ومستقبل لقلبها ..

(حين يحدث الاسوأ ..!)

" لا داعي للمواعظ .. هذه قصة حياتنا يا توم ..

ما ان يتداعى واحد منا حتى يهب الآخر لنجدته بكل الوسائل. لهذا ما زلنا نقف على أرجلنا"

غيوم ميسو في رواية فتاة من ورق

* بندر ...

و هأنذا أخيرًا ...!!!

لم نتعرف جيدا ولم أكتب لكم اي شيء خلال تلك الصفحات لأن الكتابة لم تكن تستهوني قبلا ولكن منذ وقعت في غرام تلك الشقية وأنا احاول ان اسبر اغوار الكلمات واتعلم اسرار الحروف علني أرضي عشيقة اللغة تلك ولا أخفيكم القول أنني لا أغار من اي انسي مطلقًا لثقتي بقلبها الذي لا ينبض سوى لي ولكن غيرتي الكبرى هي من هوايتها التي تسرقها مني وقتًا طويلا ...

عمومًا ..يبدو أنكم تعرفون عني الكثير من خلال ما كُتب في الصفحات السابقة ..وهذا يكفي ...

لنبدأ من أحداث ذلك اليوم الذي كان حلمًا أسطوريًا بالنسبة لي ..ولكن كالعادة تتبدل الأحداث بلمح البصر وكما يقال "الحلو ما يكمل "

كانت مطبقة يديها حولي بقوة وغارقة في وسط صدرٍ يبدو انه حمل لها كل ما أرادت من المشاعر الدافئة والراحة .. كنت أشعر بسعادة عظيمة كونها وأخيرا غرقت فيني ... تحتضنني بغرض احتياجها الي فتجتاح قلبي .. هكذا كانت ولا زالت حبيبتي .. قاتلة بريئة ..تعذب ضحاياها بطرق خفية لا تستخدم فيها اي ماديات ..لذلك فهي لا تترك وراءها اي ادلة مطلقًا ...

- هل تريدينا أن نبقى هكذا مدة اطول وننسى أمر الهدية!

هكذا قلت ولم أكد أن أنهي جملتي حتى وجدتها قد ابتعدت وهي تنظر الي وتسأل - هدية ...!! ألم يكن ما كتبته كافيًا ..!!

قلت ذلك وأنا اتعمد النظر للأعلى في حين وجدت عيناي تنساق مجبرة لرؤية تلك النظرة التهكمية التي علت وجهها والابتسامة المتغطرسة التي سكنت زاوية فمها وهي تسير بشكل مستفز وتقول ..

- أتعلم .. لربما اسلوبك لا يرتقي ليصل الى المستوى الذي يسحرني عادة ولكني أحب تشجيع المبتدئين. احب أن ارعى الَمواهب واتبناها بالإضافة الى أن الصدق الذي لمسته في كلماتك كاد يفلح معي .. التفت لتنظر الي وهي تردف ... ولكني قبلت ما كتبت كهدية ..لست شديدة الطمع للحد الذي يجعلني ارفض محاولات عاشق شعرت بقلبه ينزف مع كل كلمة ..!! استفزني كبريائها جدًا ..أعلم انها تخلط الجد بالهزل ...ترميك بسهم بينما هي تضحك ..وما المزاح إلا جد يرتدي قناع مهرج.. ولكنني قررت أن انتقم لنفسي ..قررت أن استفزها وأرفع ضغطها كما فعلت معي ..أليست هي من تقتل اللحظات الشاعرية بتهكمها ... فليكن اذًا ...!!

- بالطبع اشكر لكِ تواضعكِ آنستي ..

استدرت متعمدًا تجاهلها وما هي الا ثواني حتى القيت بكلماتي التي اخرجتها عن طورها ..

- أتعلمين ..تخيلتكِ أجمل بهذا الفستان !

ورغم أني قابلتها بظهري الا اني شعرت بنظراتها تخترقني ..التفت لأجدها عاقدة حاجبيها بطريقة حزينة ..متفاجئة ..منكسرة .. هل كنت مستفزًا أم فظًا ؟!!.. بالنظر لصمتها يبدو أنني أصبت منطقة محظورة لديها ..لربما اصبت غرورها ..ولكن جملتي التالية لطفت الأجواء بصورة خيالية حيث انقشع ضباب صمتها لتحل بدلا عنه معزوفة ضحكها الرقيقة التي اعشقها كما تعرفون ..

- ولكن لا بأس ..لست عديم الحياء كي أقلل من قيمة محاولات عاشقة بذلت الساعات كي تطابق خيالي .. ابتسمت بمكر بينما فهِمَت ما كنت ألمح وضحكت بطريقة مجنونة وكعادتها عندما تضحك تضرب إيقاعات منتظمة على ناي قلبي ..ترفع المستويات لتعلي النوتات ثم تخفضها لتفقدني صوابي .. ورغم اني كنت قد انزعجت من ردها سابقا الا ان ضحكتها اثارت جنوني فما وجدتني الا اضحك بهدوء وانظر اليها فأراها ملاكًا يضحك بخفة بينما تنتشي بضحكته السماء والأرض بل وتهتز طربًا ..

اتساءل دومًا ..هل حقًا هناك ملائكة تتخفى بصورة بشر وتعيش بيننا على سطح الأرض ..أم أن حبيبتي معجزة حدثت مرة واحدة فقط.. وان كنت مخطئًا في قولي ولم يكن من حق الملائكة أن تترك السماء موطنها لتقطن في الأرض ،فمن اي كوكبٍ جاءت هي ..وهل هي كمذنب هالي الذي لا يضرب الأرض الا كل 75 عامًا وقد كان من حظي أن اصابتني !! وماذا ان كانت بشرًا عاديًا ككل البشر ..ولم تكن ضربة نيزك ولا رمية مذنب فلأي نسلٍ تنتمي جذورها ..أليوسف الذي هامت به امرأة العزيز ووضع فيه نصف جمال البشرية بينما قطعن النسوة ايديهن من شدة جماله وجدّته سارة التي كانت أجمل نساء الأرض هي ..أم لتلك الملكة التي ذكرها الكاتب في رواية (المسخ يعشق مريم) بأن جمالها يفوق الوصف لدرجة اعتاد معها احد الأشخاص الذي كان قبيحًا بشكل فظيع أن يزور القصر بين الفترة والأخرى ليملأ عينيه بجمالها علها تعالج بذلك النقص في داخله .. ! أم أن حبيبتي لا تنتمي للجمال اليوسفي ولا لذلك

الاسطوري ..بل هي من عالمٍ آخر .. !! أيكون نسبها يلتقي مع أولئك الجنيات حارسات ابواب الشر اللاتي يذكرهن الكاتب فوزي في روايته (زوجتي من الجن) بأن جمالهن يكاد يتجاوز الخيال ... وان كان .. فهل تكون من بيئةٍ غير بيئة الانس هي ...

بالنظر اليها .. هي أكبر من جسد بشري .. انها التقاء بين الماديات والروحيات فسحرها يتجاوز الخارج .. انها فاتنة من الداخل بقوة.. فاتنة بحق.. سرت في جسدي رعشة لطيفة وأنار قلبي بوهج جميل ازاء كل ما فكرت به وأنا أنظر اليها ..مشيت خطوات بطيئة حتى وصلت اليها ...
- وماذا الآن .. لقد ضاع من الوقت ام يكفي ... ألا ترغبين في رؤية ما احضرته لكِ .. ابتسمت كطفلة كافأتها معلمتها للتو ونظرت بخجل وهي تقول .. " بلى"

- اممم ..ولكنني مجرد عاشق مبتدئ فهل ستروقك اختياراتي ...

- وأنا ايضا مجرد عاشقة عمياء مأخوذة بجمال حبيبي حد التلف .. انت وكل شيء منك جنة بالنسبة لي ..

لم أجد أمام ما نطقت به سوى ان ابتسم وابدأ عرضي بعدها .. ركعتُ على ركبةٍ واحدة وأخرجت من جيبي الأمامي علبة قطيفةٍ حمراء مزينة ببضعة نقوش ذهبية.. فتحتها في وسط ذهولها ليبرق منها خاتم ألماسي هادئ وجذاب في الوقت ذاته ... قاطعت صدمتها ..

- أعلم بأنك قد ترين هذا العرض مجرد استعراض ولكن ..حين خطبتك قبل عام ونص وألبستك ذلك الخاتم كانت الامور كلها خارجة عن السيطرة .. ولكني الآن اريدك لي بملئ ارادتي لأنني بالفعل لا أقوى على العيش دونك .. رفعت بصري لألتقي عيناها .. كانت متفاجئة ،مذهولة و.... تلتمع بصورة جميلة ...اقتَرَبت وحين ظننت أنها ستقول شيئًا كانت قد جلست على ركبتيها وعانقتني بقوة وهي تهمس .." هل هذه حقيقة أم حلم !!! أخبرني رجاءً انها حقيقة والا فلا توقظني ان كان حلمًا ...

ضممتها بقوة أكبر .. هل تشعرين بعناقي ...!! هل يصلك صوت أنفاسي ..!! انها حقيقة اذًا .. ابتعدت قليلا ووقفت بينما وقفت أنا وأمسكت بيدها ..نزعت ذلك الخاتم القديم .. ذلك الخاتم الذي البسته اياها دون حب ولا شغف ..ذلك الخاتم الذي يحمل تاريخًا سيئا بالنسبة لي ..البستها خاتمًا جديدًا يليق بالتغيرات التي طرأت على علاقتنا ..خاتما سيكون شاهدًا على حبنا الذي صنعه تناقض القدر ... وأقدارنا التي كلما التي كلما هربنا بعيدًا جعلت طرقنا تلتقي مجددًا ..كان بتاريخ اليوم بحيث سيكون هذا اليوم شاهدًا على ميلادها وميلاد قلبي وميلاد حبنا معًا .. نظرت في عينيها و.... حقًا هناك مشاعر أكبر من الكلمات ..لربما كل ما حدث بداخلي وعمق النظرة في عينيها كانت بحاجة لأبجدية أخرى كي تصفها ... أعطيتها خاتمي كي تلبسني اياه ..وعندما أمسكت بيدي ارتعشت يدها بخفة ليسقط الخاتم منها دون قصد .. نظرت الي لحظة ..ابتسمت قليلا ثم اتسعت ابتسامتها لتضحك ..

- أوه آسفة .. لم اقصد ذلك ..التقطت الخاتم ووضعته حول اصبعي ..كانتا يداها ارق وانعم ما لمست أناملي يومًا .. ورغم انها لم تكن المرة الأولى التي المس فيها يداها الا ان مع تبدل المشاعر يتبدل كل شيء ... تتبدل العيون والنظرات والمقاصد وفي كل مرة نشعر بأن هناك شيئا جديدا ..بل وكأننا لم نكن نعرف ذلك الشخص من قبل ..!

- تسمحين لي برقصة ؟؟!

نظرت الي باستغراب .. - ولكنني لم ارقص من قبل ..

- و ان يكن ..لا بأس .. دعينا ننسى الواقع قليلا ونفسح المجال لقلوبنا كي ترقص .. اقتربت منها لأهمس في أذنها ..دعينا نصنع رقصتنا الخاصة .. هيا !! ..ابتسمت هي بينما اخترت موسيقى هادئة لنرقص على ايقاعها ..امسكت بيدها واحتضنتها في يدي ..التفت يدي الأخرى لتطوق خصرها ..وضعت يدها الأخرى على كتفي واشتبكت عينانا في حديث عيون .. همست قلوبنا وضربت ايقاعات مختلفة لا تجيد ترجمتها سوى المشاعر فحسب ..تمنيت لو أننا ندخل في سبات تظل أعيننا ملتقية فيه أبد

الدهر ،او ان يهجم أحد سحرة الزمن فيجمدون الزمن عند تلك اللحظة المليئة بالرومانسية ..لفتني رغم استغراقي في بحر نظراتها براعة رقصها .. قربت شفتاي من اذنها لأتمتم .." يبدو أنكِ خبيرة بالرقص عكس ما كنت تعتقدين "!! ابتسمت لتهمس بذات الطريقة " هذا ما يحدث عندما اترك قلبي بين يديك " ..كانت كلماتها تلك اشبه بسيل من النعيم الجارف ..كما أن تلك الليلة لم تكن كأي ليلة ..أخيرا اصبحت حبيبتي ملكي روحًا وقلبًا وجسدًا ولن اخجل من الحاق ياء ملكيتي الخاصة باسمها ..انها ترفي الآن بكل ما تحمله تلك الكلمة من معاني ..

. . .

اشحت تركيزي قليلا عن الأوراق في يدي لأجد النوم قد ادركها بينما هي تنتظرني لأفرغ من ذلك الملف الذي شكلت قضيته لغز بالنسبة لي بينما استمتعت تفاصيله الغامضة بنشر الصداع في رأسي ..رغم انني لم اكن اذهب لمقر العمل الا ان ملفات القضايا خاصتي كانت تصلني الى المنزل بالإضافة الى ان علي حماية الدكتورة ترف التي شغلت قضية خطفها وسائل الاعلام بينما لم يزد غموض التفاصيل وتورط عدة جهات مشهورة بإثارة الخوف وزعزعة الأمن الأمور سوى سوءًا فهي لم تعد مجرد قضية خطف فحسب بل ارتبطت بأعضاء خارجيين مطلوبين وبشدة اذ انهم في الأساس تجار ممنوعات وتجار بشر أيضا .. وقد اوكلت القضية الي بالإضافة الى فيصل وعدة ضباط آخرين.. لم أكن قد فاتحتها بأية أسئلة عما حدث سوى اسئلة سطحية وكان من المقرر كما اتفقت أنا وفيصل وضابط آخر بأن يكون الغد هو يوم الاستجواب فقد بدا لي ذلك مناسبًا بالإضافة الى أننا اتفقنا بأن البقاء في هذه الشقة لم يعد ضروريًا لأن الخطر قد زال أثره تقريبًا ..نظرت الى حبيبتي وهي نائمة بفوضوية على الأريكة ومرتدية سروالها الجينز القصير وتيشرت اسود ،كان هاتفها في يدها فقد وعدتني بمشاهدة فيلم خمسة نجوم كما قالت ولكن النوم أخلف وعدها ..شعرتُ بتأنيب الضمير ووخزة في صدري اثر شريط الذكريات الذي مر أمامي في تلك اللحظة ...ما الذي أوصلنا لكل هذا ..!!مشردون

في شقة تبعد ما يزيد عن خمسة عشر كيلومترات عن منزلنا ورغم هذا لم يحدث أن تحدثت مع أحد من اهلي منذ ما حدث الا مرة واحدة فقط .. ملاحقون - أوهي فقط ملاحقة - من قِبَل أشخاص خطيرين همهم الوحيد مالهم أو حياتها ..كنت قد حاولت خلق بيئةٍ لطيفة لها لأخرجها من جو الذكريات والعالم الأسود الذي قبعت به لفترة وقد ساعدتني هي بدورها بتمثيل المرح والسعادة رغم اني اسمع أزيز بكاءها ليلا عندما أنام فتخرج هي لتمارس طقوس ألمها خارجًا بعيدًا عني ورغم أني أعلم أن أحد أولئك الحقيرين قد حاول اغتصابها كانتقام ارادته لميس لها ..

نعم ... قد علمت ذلك دون قصدٍ منها وشعرت وكأن خنجرًا قد اخترق صدري ..لم اخبرها بذلك لكيلا أجرح شعورها ..لم أخبرها أن يداي قد وقعت خطأً على دفترٍ كانت قد افرغت فيه كل ما حدث معها ..شعرت بألمها وبحجم الاهانات التي لحقت بها ..كانت تبدي القوة ولكنني اعرف حبيبتي ،انها ارق من النسمة من الداخل فكيف بكل ما حدث الا يمسها بسوء ...!!

ألقي اللوم على ذاتي واتساءل لو أن تلك الليلة لم تكن ؟!! لو أنني لم اعد للبيت وأجن مما رأيت فأخرج عن طوري واقود السيارة بسرعة تسابق الريح لأتفاجأ بسيارة تعترض طريقي ..وحياتي أيضًا ..!! لربما كانت ترف بحال أفضل حينها ..او لربما كانت ظروفنا تسير على وتيرة أحسن .. كل ما حدث أنا المسؤول عنه وكل ما سيحدث كذلك .. أخاف من الغد بطريقة مرضِيَّة فكل شيء هادئ في الوقت الحالي ولست أثق بهذا الهدوء المبتذل .. أشعر وكأنه الهدوء الكاذب الذي يسبق العاصفة .. ويفز قلبي "متى ستأتي العاصفة !!".. أو أن العواصف قد هبت منذ فترة طويلة ولربما ينشغل فكري الآن بانتظار الاعصار الذي لن تعود بعده الأشياء كما كانت أبدًا .. يحتار عقلي ...كيف القت الأقدار هذه الفتاة في طريقي وكيف طاوعتُ القدر الذي ظننته يومًا تآمر ضدي وأحببتها .. لا أنكر اني كرهتها في البداية حين ظننت أني سأضطر لخلع المرأة التي أحب من قلبي لأرتبط بهذه عنوة (رغم أنني كان ينبغي أن افهم أننا لا نحمل مشاعر لمن لا يعنوننا ،وحقيقة أني كرهتها بدايةً تحمل وجهًا واحدًا وهو

أني حملت لها الشعور منذ اول لحظة ،حتى وان كان معاديًا) ..ولكنها ومنذ أول ليلة تزوجنا فيها ازالت الكره وكل المشاعر السوداء من قلبي لتُلبس علاقتنا سوار الصداقة .. وفي الحقيقة انها صدمتني ..كنت أتوقع ليلة درامية بحتة تذهب فيها لأهلها باكية أو تستمر معي بقلب جريح ولكن قوتها وذكائها جذبا عقلي منذ ذلك الحين .. وتغافلت حقيقة أن الصداقة غالبًا ما تتحول لحب ومشيت معها في طريق الصداقة ذاك حتى صحوت يومًا لأجد نفسي واقعًا في قاع بئر الحب .. هل قررت الشرب من ذلك البئر باسم الصداقة فجذبني اليه ليوقظ عقلي من سباته ويريه ما يعتري قلبي ..أم أنني حاولت التحرر من صداقتنا فرميت نفسي منتحرًا في قاع بئر الحب ..أم انها هي من ألقت بي ..أم أن عاصفة مشاعر هوجاء حركتني فوجدتني أترنح مخمورًا من دون خمر فسقطت وحدي فيه .. لا أعلم .. وهل ينبغي أن أعلم .. هل تستشيرنا العلاقات قبل أن تتطور ..!! هل دقت الصداقة قلبي لتخبرني " عذرًا على الإزعاج يا سيدي ..ولكنني أود أن أعلمك أني راحلة ..فلا ينبغي لي أن ابقى في مكان ليس بمكاني فقلبك بات لا يستوعب سوى الحب ".. لو أنها فعلت لكان الأمر أسهل ولكنت أجبتها " لماذا سترحلين ..!! انني أمانع وبشدة أيضًا ..ليس من حقك أن تسلبيني شعور الأمان لأجل مشاعر كبرت داخل قلبي دون أن أعي !!"

ولكنها لم تفعل ولم تترك لي فرصة الاختيار فهل أنا الآن ملامًا على ما حدث .. هاجت مشاعري بداخلي وباتت أصعب من أن تخضع لترويضي لها .. وكما ينقلب العبد على سيده في حالات ،انقلبت مشاعري على قلبٍ خلقها بداية ..عدت من غوصي العميق في بحر ذاكرتي التي اتمنى ان تخلص منها ولكن النسيان ترف لا يعرفه العاشقون كما يقال ..أعيد النظر في وجه ذلك القمر الذي ترك توسط السماء أو البقاء في زوايا الفضاء لينام على الأريكة بتلك الطريقة الطفولية والمشاغبة ..نامت قبل موعدها فانطفأت السماء وتاه البشر في ظلامٍ ذلك الليل الحالك الذي عاشوه دون قمر ..أعلم أن السهر مضرًا ولكن حبيبتي تحمل على عاتقها مهمة البقاء مستيقظة حتى آخر الليل فليس من السهل أن تكون قمرًا .. ولكنها في المقابل ورغم تعبها الا انها تنير ليل الجميع تواسي وحدتهم .. تبقى معهم

حين ينفضّ الجميع من حولهم ويتركونهم في أسرتّهم يتنهدون .. لطالما كانت حبيبتي مرشدة روحية للجميع ولي أولا ..انها الخير الذي استقصد قلبي دونًا عن العالم بأسره ولربما كانت نتاجًا لدعوة أمي الدائمة "الله يسخر لك الخير وين ما كان !" .. نعم ..انها الخير ..

انها البياض مجسدًا في هيأة مخلوق ..تومض كل خلية فيه بوميض براق يحمل لونًا مختلفًا عن باقي الخلايا .. حملتها بلطف لكيلا تستيقظ ..شعرت بأنفاسها الدافئة وكأنها تلفظها من رئتي ونبضاتها الخافتة والمنتظمة وكأنها تنبضها من وسط صدري ... وضعتها على السرير ببطء و قبل أن تتقلب يمينًا كنت قد سحبت يدي من تحتها لأتركها تنام في سلام ..رغم انكاري الشديد لكلمة "بسلام "!! فهي حين تنام يخيل الي وكأن أخطبوطًا افترش السرير ..تمد أرجلها وذراعيها بطريقتها الفوضوية تلك التي بت أعشقها ..أدمنت أن اكون نائمًا فتلطم خدي يدها لاستيقظ فزعًا بينما هي ما زالت غارقة في سباتها ..لا بأس ..ينبغي أن نتقبل من نحب كما هم و دون ادنى تذمر رغم اني اتمنى الا استيقظ لأجد قدها في فمي كنتيجة لإحدى معاركها التي تخوضها وهي نائمة ..لم أخبركم بإحدى مزايا حبيبتي فهي بعد لاعبة كونفو بارعة جدًا ..ولكن مهاراتها تلك لا تستيقظ الا حين تنام هي ..ولكن لا بأس أيضًا .. كنت سعيدًا بأفكاري الداخلية وبتلك النكات التي يلقيها عقلي علي في أول مرة قرر ان يكف فيها عن كونه عاقلا ولكني سمعت صوتًا زعزع أمني الفكري واعاد لعقلي جديته ..صوتًا أتمنى لو أنني لم اسمعه في ذلك اليوم أبدًا ...

(هروب) ...

كانت نسمات الغروب الباردة المغلفة بدفء جميل تهب عليه بكرم مبالغ فيه من طقس ذلك اليوم بينما هو يجلس بعيدًا عنها قليلا وينظر اليها وهي نائمة رغم أن الساعة لم تتجاوز السابعة والنصف مساءً ... كان يدخن سيجارته بهدوء ويبدو ان الافكار قد اسكرته عندما التقطت اذناه موجات صوت صادرة من الخارج ..كانت شقته التي يسكنانها حاليًا تبعد ما يزيد عن سبعة كيلومترات عن أقرب منزل لهما في حين تفصل غابة واسعة بين تلك العمارة التي يقطنانها واقرب شارع عام تمر به السيارات .. كانت الأصوات خافتة لا تكاد تسمع الا انه شعر بالريبة منها اذ انه لا يأتي زائرون عادة لهذا المكان فمن هذا الذي قَدِم يا ترى ؟!!... قام ليتفقد النافذة وينظر من خلالها وقد ادهشه وجود ثلاث سيارات جيب سوداء يخرج منها رجال تكاد تتمزق قمصانهم من شدة العضلات تحتها ..

اللعنة ... ما الذي يحدث ...!!

هل كان الوقت مناسبًا للتفكير او للسب أو للشتم أو ندب الحظ ... لا لم يكن ..خصوصًا وان الجنود المكلفين بحماية الشقة قد تركوا أماكنهم اليوم لأن التحقيقات قد اعلنت أن الخطر قد زال وأن الأعضاء المطلوب حماية ترف منهم قد اختفوا تمامًا .... يا للحماقة ...!! كيف استسهل موضوعًا كهذا ...!! ذهب اليها ليوقظها بسرعة البرق علهم يستطيعون الهروب قبل أن يقتحم اولئك الرجال شقتهم ...

- ترف ..ترف ..استيقظي يا عزيزتي ..قالها بهدوء يشوبه الذعر ...

- ماذا هناك ...قامت من نومها فزعة ...

- اسمعيني جيدًا الآن وانصتي الي ...يجب ان نهرب بسرعة وفي هذه اللحظة ..بسرعة الآن ..قومي معي ..

كانت مفزوعة لدرجة تمنى لو انه يضمها اليه ويهدئها ولكن لا وقت لهذا ..

- ماذا ...لماذا نهرب .. !! هل حدث أمر ...!!

حاول ان يشرح لها بلطف كي لا يثير قلبها فهو اعلم بما حاولت نسيانه وما كبتته طويلا حتى شوه نفسيتها وقطع شرايين الأمان بداخلها فباتت تخاف اي شيء .. أمسك وجهها بين يديه وهو يقول ...

- انظري الي جيدًا ..علينا ان نترك هذا المكان فورًا قبل أن يصلوا الينا .... اعدك أنني لن اترك الاذى يمسك ابدًا ولكن دعينا نتحرك الآن ...تحركت وهي ترتجف من شدة الخوف وتبتلع ريقها وتحلم بأسوأ كوابيسها .. هل سيحدث كما حدث في الماضي ..هل ستعود لتلك البؤرة النتنة مجددًا .. هل ستسمح لهم ان يسلبوها حريتها مجددًا ...!! لا لن يحدث ... فالأمر بيدها الآن ... لن يعثروا عليها ليعيدوها لتلك الدائرة اللعينة مرة أخرى... التقط بندر هاتفه ومفتاح السيارة وهمّ بفتح الباب ببطءٍ شديد.. لم يكن هناك أحد أمامه.. أغلق الباب وراءه ونزلوا درجات السلم بهدوء وفي زاوية مظلمة من الطابق الذي الثالث.. قررا الاختباء حين وصل الى آذانهم وقع خطوات ليست ببعيدة.. ما إن اختبأوا حتى وجدوا ذات المجموعة التي كانت في الأسفل يمشون بحذر وكأنهم يعتقدون انها وبندر ما زالا في الشقة.. ما ان اختفى اولئك الرجال في الطوابق التالية حتى تركا تلك الزاوية ليهبطا درجات السلم المؤدية الى الطابق الأول وما ان وصلا حتى أدارا ظهورهم لباب العمارة الرئيسي وخرجا من الباب الخلفي .. كانت السيارة مركونة بجانب شجرة غطت بظلها المكان فباتت الاضاءة خافتة فيه ..كان لا يزال اثنان من أولئك الاشخاص يقفون امام العمارة تحسبًا لأي طارئ فعمد هو وترف على السير بهدوء دون ان يحدثا اي فوضى ..وما ان وصلا الى سيارتهم حتى فتح الباب بمفتاحه

يدويا دون ان يصدر اي صوت ..وهمّ بإخراج مسدسه ليضعه بجانبه بينما ركبت هي في المقعد الامامي المجاور لمقعده وانطلقا ...

* خمس دقائق قبل الاقتحام

.... بهدوء وصلوا الى الشقة التي حفظوا مكانها وخططوا لاقتحامها منذ فترة يسيرة ..او منذ أمر سيدهم الذي بدا مجنونًا في الآونة الأخيرة وكأنه فقد آخر ما تبقى له من عقل " أريد تلك المرأة حية أو ميتة ...هل تفهمون !! لقد دفعنا ثمنها الملايين وعقدنا الصفقة واستلمنا الأموال من أجل عملية بيع الأعضاء ولا يمكننا التراجع الآن ..فكر بأنه قد يستطيع ان يقوم بعملية اختطاف أخرى و يسدد الثمن بجسد شخص آخر ..او امرأة أخرى كي لا يعلم أحد بأمر لهروب ولكنها كانت تملك فصيلة دم نادرة ..كانت فصيلتها من نوع (B) سالب ،وهذا ما جعل من الصعب العثور على اخرى تطابقها ... أكمل صراخه "لقد هربت تلك المرأة المسؤولة عن العملية بالمال كله (لميس) وتركتنا وحدنا نتدبر امورنا ..كما أنني وحدي من كنت مسؤولا عن الأمر برمته بينما هي لم تكن سوى طرفًا خفيًا ..ولا يوجد احد يعلم بأمرها سوانا لذلك فإننا وحدنا من نقف امام المدفع ...

لن تخرج تلك المرأة من هذه البلاد حتى نحصل عليها والا ..... تحسس عنقه بيده وهو يزدري ريقه ...فرؤوسنا وحدها ستكون الثمن امام الرئيس ..

.. واحد ..اثنان .. ثلاثة ..و..... ركلة واحدة كسرت الباب ليملؤوا أرجاء المكان في غضون ثواني ..انتشروا كالجراد في المكان يبحثون في كل بقعة .. حتى الأماكن التي لا يمكن لجسد بشري ان يتسع لها كانوا يبحثون بها .. لحظة ..ثم . ...

- سيدي .. انهم هنا في الخارج ... انها تركب السيارة مع رجل آخر ... هكذا هتف صوت قادم من السماعة اللاسلكية المتواجدة في داخل أذن كل واحد منهم ...

- سحقًا .... احلقوا بهما الآن ...فورًا ...!!! هكذا صرخ قائدهم الذي كانت ساعاته الأربعة والعشرين قد بدأت تنفد ومعها ستنفد حياته أيضًا ...

. . . .

ما ان ادار محرك السيارة حتى أثار صوت تشغيلها والأنوار القادمة منها انتباه اولئك الرجال امام العمارة ..انطلقوا ولم تؤثر بعجلات مركبتهم تلك الرصاصات التي صوبت على نحو طائش والقادمة من مسدساتهم ...

..على طريقٍ وعر غير مستوي يسيرون بسرعة تتخطى المئة بينما تلحقهم سيارة أخرى لم تكن ابطأ هي بدورها .. " انعطف يمينًا !!" ..هكذا صرخت بتلك الكلمات من بين صرخاتها الكثيرة والتي توالت منذ ركوبهم ... انعطف بقوة وهو يدير محرك المقود وكأنه يرجوه أن يستجيب له وينعطف بتلك الطريقة المفاجئة .. وانعطفت السيارة في اللحظة الأخيرة وقبل أن يلقيا حتفهم بسبب تلك الصخرة .. " سنمووت ..خفف السرعة رجاءً ..!!" لم يستطع أن يستجب لرجائها خصوصًا وانه حين كان ينظر لمرآته الجانبية وجد سيارة أخرى تنضم لرفيقتها تلك ..

" ما الذي نهرب منه بحق الله ..!! .. ابتسم بخبث وهو ينظر لهم وقد اقتربوا منهم ..." حسنًا اذا ... يبدو أننا سنحتفل !!" ..هكذا علق وعروقه قد زينت جبينه من شدة الغضب بينما زم شفتيه في خبث ...

- اخرجي الهاتف من جيبي واتصلي بفيصل فورًا ... صرخ بهذه الكلمات وهو يحاول ان يجعل صوته يصل اليها في وسط هبات الهواء القوية التي تخترق صوته من جهة نافذته المفتوحة ..ووصلت كلماته اليها فأدخلت يدها في جيبه والتقطت الهاتف ... بحثت عن رقم صديقه فيصل في وسط الأرقام الكثيرة ووجدته ..رنة فأخرى ... اتصال فآخر .. " بندر ...انه لا

يرد "! .. نظر اليها وعيناه تكاد تخرج من مكانها وهو يعض على اسنانه بعصبية شديدة .."اللعنة ... اللعنة !!" ..ضرب المقود ضربة عنيفة وكأنه يفرغ كل غضب ذلك الوقت فيه فانحرفت المركبة عن مسارها قليلا وقبل ان تقع اي كارثة كان قد تدارك الوضع وثبت كلتا يديه فأعادها الى مسارها الأصلي .. قال وهو يحاول أن يخرج الكلمات وكأن الغضب قد أفقده صوابه ..."ارسلي له رسالة اخبريه فيها أننا قد هوجمنا وتركنا الشقة .. ابتلع ريقه وهو يزفر بقوة اخبريه انه قد يأتي لدفننا ان لم يصل الدعم قريبًا .. هيا ..!!

كانت تحمل الهاتف ويداها تهتز وترتعش من فرط الخوف لم تعد تعرف مكان الحروف على الشاشة وكأن تلك المرة هي اولى المرات التي تمسك فيها هاتفًا لترقن رسالة ولكنها تمالكت اعصابها وارسلت الرسالة .. لطالما شاهدت العديد من أفلام الأكشن الامريكية حيث المطاردات الجنونية وحرب المسدسات وكانت تستمتع بذلك حقًا ..ولكنها الآن غير مستمتعة أبدًا ..أيستمتع الشخص وهو على علم انه على موعد مع الموت في وقتٍ قريب .. بعد ثانية أو دقيقة ..او ربما ساعة .. ليس المهم هو الزمن بل الحقيقة التي لا يمكن التنكر لها .. كانت على وشك أن تفقد عقلها ازاء كل ما يحدث ولكنه حين نطق بكلماته التالية فهي بالتأكيد فقدت عقلها ولم يتبقى لديها اي تيار عصبي سليم .. "لنتبادل الأماكن الآن ..هيا ...اهتمي بالقيادة وسأهتم أنا بأمرهم .. " ...ماذا ...!! صرخت بلهجة غير مصدقة .. لربما ارادت منه ان يخبرها ان ما سمعته كان خاطئًا ولكنه أصر ... الآن ... هيا ..!! أمسكت المقود بكلتا يديها وهي مدركة أن التحكم بتلك السرعة التي زادت عشرين درجة على ما كانت عليه ليس أمرًا تفضله أبدًا ولكنها بدلت مكانها معه وهي مكرهة .. انتقل من مقعدها الأمامي الى المقعد الخلفي واخرج مسدس آخر كان قد احتفظ به ..طلب منها فتح النوافذ الخلفية وسقف السيارة ففعلت .. وحينها فقط ادركت أن فيلم الأكشن الحقيقي قد بدأ للتو ..!! ..

أطل بنصف جسده من النافذة الخلفية وأطلق رصاصتان تاهت احداها على الطريق بينما اخترقت الأخرى العجلة الأمامية لإحدى السيارات

فأصابتها ..خرجت سيارتهم عن التحكم فبكل تلك السرعة الجنونية ما كانت لتستطيع المضي قدمًا بثلاث عجلات ... انحرفت عن مسارها والتفّت يمينًا لتنزل في طريقٍ متدحرج مليء بالمنخفضات ...

" بقي لأولئك الاوغاد سيارة واحدة ..فلنرى الآن " ..رغم صعوبة الموقف الا انها قد كانت مدهوشة لرؤيته هكذا ..لم تكن قد رأته على ساحة القتال من قبل او في مقر العمل كما كان ينبغي ان يكون عمله ..كانت تسمع منه عن كل تلك الصعوبات التي واجهها والتي يواجهها ..عن ايام التدريب القاسية والتي قضوها نائمين في الصحاري المقفرة والغابات المليئة بالمصاعب ..كانت تعرف ان عمله مخاطرة بحد ذاته ولكن لهذه الدرجة ..!! لم يكن بندر بطبيعته شريرًا ولا لئيمًا ولكن النظرات في عينيه في تلك اللحظة كانت توحي لها انه لو تولى امرهم لأحرقهم كما أحرق هتلر اليهود ..

اصبحت الامور معقدة فبعد ان هاجمهم هو بدؤوا بإطلاق النار هم أيضًا ..كانت هي مفزوعة وتقود وهي لا تعلم الى كيف تولت هذه المهمة ..تلتفت اليه ثم للطريق وقلبها مقبوض ..منذ تعلمت القيادة لم يحدث ان تجاوزت سرعتها الثمانين ولكنها الان تقود سيارة بسرعة المئة والعشرين وفوق هذا هناك من يطلق النار من خلفها ..في طريق لم يساعدها بدوره فقد كان مليئًا بالنتوءات .. رغم طلقاتهم الكثيرة الا انهم لم يصابوا بأذى فقد كانت ورغم خوفها بارعة في تدوير السيارة يمنةً ويسرةً بطريقة غريبة يبدو انها خارجة عن كونها حرفية لتدخل في طور حركة لاإرادية ناتجة عن يداها المرتعشتان ..

طلقة ثم أخرى ... صرخ بحماس ..."أصبتهم !!" ..وانحرفت مركبتهم ليلقوا حتفهم " القوا التحية على أصدقائكم في الجحيم " !! لم يكد ينهي سخريته تلك حتى اعترضت صخرة كبيرة طريقهم المظلم ..وفي وسط تلك السرعة كان ضربًا من الجنون ان تفاجئ العجلات بفرملة أو لفة مباغتة دون سابق انذار ولكنها فعلتها ..ولأن الحظ لا يقف معنا في كل مرة فإن السيارة قد انحرفت واتجهت في طريق تملؤه الأحجار الصغيرة التي كانت تجعل حركة العجلات أصعب مع كل ثانية ..كانت تسير

بطريقة مضطربة وكأنها قد وصلت لآخر مراحل الجنون ..لم تستطع هي السيطرة عليها رغم محاولاتها وتغاضيها عن كل الضربات التي أصابت رأسها وهي تحاول ان تدوس الفرامل أكثر او ان تعيد السيطرة على المقود لتخرج من ذلك الطريق الذي لم تكن ترى له من نهاية ..ولكن هدية ميلادها أتتها متأخرة من الطبيعة فقد اعترضت شجرة كبيرة طريقهما ولأن السيارة كانت خارجة عن السيطرة فقد اصطدمت بها بقوة مخيفة تحطم معها زجاج السيارة الامامي ورغم انها كانت على وشك ان تندفع خارجة منه الا أن الحظ وقف معها هذه المرة فقد كانت تربط حزام الأمان ..ولم يمنع فكها من التحطم الا كيس الهواء الذي خرج كأحد اجراءات الأمان وحال بينها وبين العديد من الاصابات .. أما بندر فقد تخبط في المقاعد الخلفية رغم محاولاته للتمسك بأي شيء ..كان من الممكن أن يندفع خارجًا من اي نوافذه المفتوحة هو الآخر ولكنه احكم تطويق احد المقاعد الامامية بكلتا يديه فأصابته الخدوش اثر الزجاج المتطاير وفقد وعيه فسكت عن نداءه باسمها ..

" ترف ... ترف " انهضي عزيزتي رجاءً ...هيا ...لا تتركيني الآن .." ! ..كان يتوسل اليها الا تتركه وحده وقد امتلأت عيناه بدموع لم تذرف بعد ..رغم أن حالته مزرية هو الآخر الا انه كاد يحترق لأجلها ..لم يهمه كمّ الاصابات في وجهه وجسده ولم يأبه لرجله التي كانت تعرج وهو يشق طريقه نحو الباب الأمامي ليطمئن عليها ..كانت في حالة يرثى لها وقد ذعر من منظر الدم الذي يغطي جبينها .. أغمض عينيه وهو يرجوها أن تبقى على قيد الحياة ولكن الدموع استغلت ضعفه ذاك وهزمت كبريائه لتغادر عينيه وتستقر على خده ... سمع تأوهاتها ففتح عينيه ليبتسم وهو يربت على كتفها .." لا عليك عزيزتي ... ستصبح الأمور على ما يرام " .. فتحت عيناها بصعوبة بالغة ونطقت بتلك الحروف بتعب وكأنها تحتاج لأكسجين العالم كله لتلفظ تلك الحروف ..

- هل ..... هل أنتَ بخير !!! .. نظر اليها بتعجب ....ماذا !!! .. نعم أنا بخير يا عزيزتي " .. امسك بكتفيها وهو يحاول اخراجها ..." اتكئي علي .. انتِ قوية وستجتازين هذا الأمر ..فقط ساعديني رجاءً " ..

كان يتحدث معها وهي لا تكاد تدرك ما يقول ولكنها حاولت أن تستند على قدميها أكثر لكيلا تتعبه فقد بدا منهكًا ..أسندها لجذع الشجرة تلك ..ذات الشجرة التي كانت السبب لما هم فيه الآن ،وها هي الآن بعد أن اسقطتهم همت بإسنادهم ..و يا لتناقض هذا العالم ..هل يطعنك شخص ليضمد جرحك و يخيطه بعد ما فعل !!!

جلست وأسندت رأسها وهي تستمد القدرة على بقائها جالسة من قوة تلك الشجرة ..ذهب ليحضر شنطة الاسعافات الأولية من السيارة بعد ان طمأنها بأن كل شيء سيكون بخير .. بدأ بوضع المطهر على جرح جبينها الذي بدا غائرًا ..ضغط عليه لفترة بسيطة وبدا وكأن النزيف يتوقف تدريجيا ..لف الشاش حوله ليغلقه بعد ذلك بإحكام .. نظف الجروح الأخرى دون أن يلتفت لنفسه او حتى يشعر بحاجته هو الآخر للتطبيب ..

- " ساقك ...؟!!"

- ماذا ..!!نظر اليها وقد قطب جبينه وهو يسأل باستغراب ..

- أقصد ساقك .. ماذا حل بها ..انك تعرج ..!!

ابتسم بصعوبة وهو يطمئنها بينما شعر وكأنه يحتاج لمئة عضلة ليرسم تلك الابتسامة على وجهه ..

- لا تخافي يا صغيرتي يبدو الامر وكأنه التواء بسيط في الكاحل ..ليس أمرًا خطيرًا ..لا تقلقي .. عاد لتنظيف جرح يدها فسحبت يدها وهي تشير الى قدمه .. " دعني أرى ...!! "

- ماذا ...!!

- دعني أراها الآن ..هيا ..!!

- لا لا ..انكِ متعبة ..اخبرتك انني بخير وبصدق فالأمر ليس ..... ،قاطعته وهي تستند لتقف ...

- لا لست متعبة .. دعني اراها الآن والا سأنزع الضمادات عن جروحي ..

نظر باستغراب فأجابت نظراته بقولها ..

- ان كنت تفضل ان تتألم لتضمد جروحي فيجب علي ان انزف لأعادل ألمي بألمك ..

هتف بها عندما رآها تحاول نزع الشاش عن رأسها - هل جننتِ !!!

- نعم ..والآن مد ساقك لأراها والا سأفتحه ..

كان مازال مستغربًا تصرفها ولكن الجدية الظاهرة في حديثها جعلته يمد ساقه لتعاينها .. نظرت اليها وراحت تتفحصها بدقة ..

علّقت وهي تهمهم بهدوء وكأنها تخبر نفسها " يبدو لي انها مجرد رضة بسيطة ولم تصب العظام بأي كسر وهذا أفضل ..أخذت قطعة قماش كانت متواجدة وشدتها بقوة على مكان الألم ..

- هذا سيكون أفضل الى ان نخرج من هذا المكان .. نظرت اليه وهي تراه يدير رأسه وكأن ما فعلته قد آلمه .. وضعت يدها على كتفه وهي تسأله ..

- حبيبي ..هل تؤلمك كثيرًا ..!! هز رأسه نفيًا رغم انها كانت تعلم انه يكذب ،كما كذبت هي عندما قالت انها مجرد رضة بسيطة في حين ان تخثر الدم الشديد في المكان يخبر بأنه وكأن خدشًا قد اصاب المكان ولكنها حاولت الا تثير ذعره فحسب ...ازال تقاسيم التعب عن وجهه وهو يتحدث ..

- يبدو أن السماء ستظلم أكثر بعد قليل فالوقت متأخر ..دعينا نبحث عن مكان نشعل فيه بعض النار ونقضي فيه ليلتنا ..

- حسنًا ..دعنا نبحث.. قامت لتسنده رغم الاعياء الذي تشعر به والصداع الشديد الذي يغزو رأسها إثر ذلك الارتطام القوي ولكنها كانت متماسكة ..او لعلها تتصنع التماسك لكيلا تثقل عاتقه بالمتاعب ..أشار اليها كي تسير وحدها وانه قادر على السير دون مساعدة ..

نملت ارجلها من فرط التعب فقد قطعا مسافةً كبيرة وسارا نحو ما يقارب النصف ساعة دون جدوى فكل الأماكن تبدو مخيفة وموحشة وغير مهيأة

للجلوس فضلا عن قضاء ليلة كاملة فيها .. "انتظري !! دعينا نتجه من هنا ..يبدو وكأن تلك الفتحة لكهف او مغارة . اتجها نحو تلك الفتحة وبالفعل كان كهفًا . اخرج نفسًا عميقًا من داخله وهو يستند الى ذلك الحائط الحجري ويجلس بعد ان انهكه التعب .. نظرت الى المكان فتسربت وُحشته الى قلبها فأصابها الذعر ..كان مظلمًا وهادئا الا من بعض الأصوات الغريبة التي تتسلل من الخارج فتبدو اضخم فيه إثر الصدى الذي تحدثه جدرانه الحجرية في الاصوات ..كان غبار الاتربة التي نُفضَت وهم يمشون يملأ الأرجاء الأمر الذي سبب لها رغبة متواصلة في العطاس ...

- هل .... هل سنبقى هنا طوال الليل ؟!!.. بدا صوتها مرتجفًا حين سألته ولكنه- ولا تدري لماذا - لربما فهم أنها تشعر بالتقزز او انها تناست الوضع الذي هم فيه وتريد مكانًا أفضل .. كانت ما تزال تقف في مكانها دون حراك وعيناها مثبتتان عليه رغم علمها بالإجابة ولكن الخوف في قلبها دفعها لانتظار اجابة لن تأتي ..

- اعتذر يا بنت العز ..كان لازم احجز في فندق خمسة نجوم ..!!

ماذا ...هل كان رده قاسيًا ام انها وحدها من فرط الذعر شعرت بذلك ..!! وإن كان غاضبًا ..هل كان ينبغي ان يصب غضبه عليها وكأنها المسؤولة وراء كل ما حدث .. تركته دون ان تفتح فمها معه بحرف .. قررت ان تدعه يرتاح فيكفي ما هو فيه .. جلست على صخرةٍ ملساء كانت تبدو أفضل من البقية ..شرعت تنظر الى الظلام الذي ما يلبث ان يزيد حدته أكثر فأكثر مع مرور الوقت .. تعمقت اكثر في الظلام الذي تغزو به السماء هذه الأرض فاختفت وتلاشت كل الماديات أمامها لتجد نفسها تُبحر في ظلامٍ تعرفه جيدًا ..انه الظلام الذي يسكنها ....

. . .

بداخل كل منا شيء من الظلام ولكن تختلف حدته من شخص الى آخر كما حال السماء .. عند بداية الغروب يكون النور متواجدًا أكثر بقليل مما كانه سابقًا ..دقائق فأخرى .. يصبح الوضع وكأن الشمس هي الدخيلة التي لا

تريدها السماء ... ساعة فأخرى .. الظلام هو المسيطر ...!!
وكذلك حالنا نحن البشر ..فبعض الظلام ليس سيئًا بل انه شيء جميل لتحقيق التوازن فينا داخليًا ..ان نحمل شيء من الخير وشيء من الشر فيغلب خيرنا على شرنا في كل مرة .. أن نعرف ماهية السواد و يكون بيدنا القرار أن نعيش معه ولكننا نختار النور .. ليس انجازًا ان تتشبث في سلوك الملائكة وتخطو خطوهم في حين انك لم ترى سواهم ،بل ان الانجاز ان تكون فرصتك لأن تسلك سلوك الشياطين مساوية لفرصة ان تحذو حذو الملائكة ولكنك تختار ان تبقى نقيًا ..

تقول ايليف شافاق على لسان شمس التبريزي في رواية قواعد العشق الأربعون " في هذا العالم ،ليست الاشياء المتشابهة او المنتظمة ،بل المتناقضات الصارخة هي ما تجعلنا نتقدم خطرة الى الأمام ..ففي داخل كل منا توجد جميع المتناقضات في هذا الكون ،لذلك يجب على المؤمن ان يلتقي بالكافر القابع بداخله ،وعلى الشخص الكافر ان يتعرف على المؤمن الصامت بداخله ،الى أن نصل الى اليوم الذي يبلغ المرء فيه حد الكمال ..مرحلة الأنسان المثالي "...

وهكذا نحن ... بين الخير والشر نقف فإما ان نميل لهنا واما ان نميل لهناك ..اما ان نقدس العتمة او ان نترك الضوء يتخللنا .. اما ان نسمح للظلام ان يستعبدنا ..يصبح جزءًا منا ..يسكننا ويمكث فينا ..او ان نواجهه ونصارعه لنسمح للنور بأن ينتصر بداخلنا .. فالحياة حرب وسيتحتم علينا في كل مرة ان نحارب لنحصل على ما نريد ..كما أننا لا يجب ان ننسى ابدًا ان التضاد أساس هذا الكون ..شمس وقمر . سماء وارض ..جنة ونار ..ظلام و نور ..خير وشر ..حب وكره ووحدنا من نختار في اي اتجاه نود ان نسير ..وكما ان التضاد اساس خلق الكون فهو اساسنا نحن معشر البشر أيضًا ..خُلقنا من اصل امرأة ورجل وتقف قراراتنا بين ضميرٍ حي ونفس أمارة بالسوء ...

.. شعرت وكأن صخرةً ثقيلة تطبق على صدرها إثر ذلك الصمت المبالغ فيه والذي اتحد مع الجو الكئيب للمكان بالإضافة الى الظلام الذي يشتد أكثر ولا يضيف سوى مزيدًا من المشاعر الكئيبة .. تحدثت متناسية

آلامها .. أو لربما كانت محاولة منها لتخفيف حدة الحزن بالسخرية منه ،كانت توجه نظراتها الى الفراغ رغم ان كلماتها موجهة لجليسها الوحيد في ذلك المكان .. تصنعت اللامبالاة وهي تقول

- بما أننا سنموت في كل الأحوال .. ما رأيك بمشاركة بعض الأسرار ..!! .. لم تكن تتوقع منه اي تعليق ..ولكن صوته أتاها غريبًا مليئًا بالخيبة ...

- ليس لدي ما أشاركه ..صمت قليلا ليكمل بعدها ... بالإضافة الى اننا لن نموت في هذا المكان . ..

نظرت اليه وهي مقطبة الجبين وتتساءل بشكلٍ مزعج ..

- ما بالك .. هل تزعجك فكرة الموت ..!! هل كان الوقت مناسبًا لمناقشة موضوع دسم كالموت ناهيك عن انها تسميها فكرة .. حدّث نفسه في صمت " لابد ان الضربة التي اصابت رأسها قد افقدتها سلامتها العقلية يبدو وكأنها جُنّت " ولكنه لم يمنع نفسه من ان يعلق على ما قالته ...

- هل يمكنكِ أن تصمتِي رجاءً !! ..رغم ان طلبه كان جادًا ويبدو عليه وكأنه يحتاج لسنوات من الصمت لكي يعيد ترتيب افكاره .. الا انها لم تبد لطلبه اي اعتبار وقالت وكأنها تبدي ملاحظة ...

-أتعلم ..كنت اشعر بإثارة لا مثيل لها عندما اشاهد توم كروز وهو يركب دراجته النارية ويسبق بها سياراتهم ويطلق النار ويجتاز كل مطارداتهم في فيلم Mission impossible..ولكنني اليوم ورغم كل الذعر الذي اصاب قلبي الا انني شعرت بإثارة لا مثيل لها تفوق تلك التي تجتاحني حين اشاهد فيلمه بأضعاف. يبدو لي ان ممارسة الفعل اروع بكثير من الاكتفاء بمشاهدته ..نظر اليها ببلاهة وهو يحاول فهمها ..هل طلب منها منذ دقائق ان تصمت ام انها فهمت ما قاله بطريقة عكسية ..رغم انه قابل كلامها بالصمت الا انها قررت ان تتحدث فحسب علّ ذلك يخفف شعور الوحشة بداخلها ..قالت و هي تشرد بنظراتها وكأنها تفكر ..

"تعرف بندر .. يقولون الحياة مجرد اختبار ".... صمتت وكأنها تحاول الوصول الى فكرةٍ ما ..." اتوقع ان اختباراتنا هالسنة وزارية ..!!" ...يدها الموضوعة على خدها وعيناها اللتان تنظران للأعلى ..كل ذلك يوحي بأنها تفكر بعمق ..ولكن كلماتها الأخيرة استوقفته بطريقة جعلته يؤجل أمر ترتيب أفكاره لتفرج شفتاه عن ابتسامة صغيرة ما لبثت ان اصبحت ضحكة حقيقية ..ضحك بصوتٍ عالٍ ودون ان تدرك وجدت نفسها تضحك معه هي الأخرى ..لربما لم يكن ما قالته هو السبب في ضحكها ولكن وكما قلت سابقًا ،فالسعادة معدية بطريقة او بأخرى ..!!

- مجنونة ... شايفة الموقف اللي احنا فيه وتضحكين بعد .!!

عقدت حاجباها وبعينان تشع بعدم التصديق - انت اللي ضحكت اول !!!

- ادري ..بس انتِ اللي ضحكتيني !

نظرات التشكيك على وجهها جعلتها تبدو وكأنها غير مقتنعة بما قاله ولكنها اكتفت بنظرات أخرى خبيثة رمتها عليه ..

- دعينا من كل هذا الهراء ... ما رأيكِ ان تشاركيني هذه اللعبة .. يبدو انه للتو استوعب انه كان مملا جدًا خلال الساعات الماضية ..ولكنها اجابته بطريقته - ليس لدي ما اشاركه معك ..

رمقها بنظرة جانبية وهو يقول - حسنًا اذا ..يبدو لي انكِ لم تغفري لي بعد ...اممم ..ما رأيكِ لو شاركتك أحد اسراري شرط ان نلعب اللعبة اولا.
-اممم ... رغم ان عرضك سخيفًا الا أنني قبلت ..!!

- وهل تملكين غير ذلك ..ابتسامة النصر على وجهه لم تعجبها الا انها آثرت السكوت ... حسنًا سأبدأ انا بطبيعة الحال ..سأعطيكِ في كل مرة كلمة وستجيبين بأول ما يتبادر الى ذهنك لحظة سماعك لها ...فهمتِ ..!
هزت رأسها بالإيجاب ..

- حسنًا لنبدأ ...

- عائلة ... - أمان ..

- اصدقاء .. - ثقة ..

- وطن .. - معاناة..

- زواج .. - مشاركة ..

- حب .. - جنون ..

- شهادة .. - استقلال ..

- أطفال ... - مسؤولية ..

صمت لثواني ثم أضاف ...

- بندر ...

افرجت شفتاها عن ابتسامة جميلة وهي تجيب " حياة "

كان ينبغي ان يقف الكلام عند تلك اللقطة وان يتبع رغبته التي اجتاحته لينظر مطولا الى عينيها ويضمها اليه ليشاركها بعض الدفء الذي غمره بسببها .. رغم بساطة الموقف وهول الأحداث أضف الى ذلك جهلهما بإحداثيات المكان الذي يمكثان فيه الا ان نبضات قلبه حين ردت جعلته يعرف تمامًا انه لن يصل أبدا بدونها وان GPS قلبه كان يصرخ له بجنون .." للوصول الى وجهتك التفت يمينًا ...يمينًا !!" ..وحين التفت يمينًا كان وجهها الجميل البريء وابتسامتها الطفولية يبرقان في عينيه فأيقن تمامًا انه قد ألقى حقيبة سفره منذ مدة في مطار قلبها حين وصل فقد كانت هي وجهته ..

. . .

فرقعت بأصابعها بعفوية امام عينيه ليفيق من شروده ...

- يا بخت اللي ماخذ عقلك ..علقت ببساطة ...

نظر اليها وقد عاد من رحلة سرحانه ..تلك الرحلة التي دله قلبه فيها على اجمل بقاع الأرض وأكثرها سحرًا .. تلك البقعة التي يريدها جدًا ويخاف

ان يستدل عليها البشر يومًا ما ليجعلوها مقصدًا سياحيًا فمنظرٌ كذلك المنظر خُلق للتأمل والصمت والاستمتاع فقط .. كان يقرأ عن باريس وقد كان يبدو شغوفًا بما يقال عنها مدينة الحب تلك وكله أمل ان يلتقي بحب عمره في موعد باريسي ..ولكنه لم يكن يتخيل للحظة ان يجلب له القدر باريس كلها في امرأة ..

..شعرها المتدفق بحرية على كتفيها بينما ينساب بهدوء وجمال الى اسفل ظهرها كروعة نهر السين في جريانه وانسيابه في ليلةٍ ربيعية طقسها معتدل .. طولها المعتدل واستقامتها الفريدة وجسدها المنحوت بدقة وروعة وكأنه برج ايفل ..رائحتها العطرة التي لا يمكن تمييزها أبدًا ..فيها شيء من جوي وقليل من اسكادا وكأن مدينة العطور تلك قررت ان تقدم عطرها الفريد من نوعه لهذا العالم عبرها ... دقة أنفها المستقيم وتلك الجدية التي تضيفها حدته وكأنه اغلى قطعة يحتضنها اللوفر ... عيناها اللتان تحملان ليلة ظلماء مليئة بالرومانسية الخادعة والعديد من غرف المشاعر التي تأوي كل ألوان المشاعر واشكال وانماط الحب وكأنها فندق الفور سيزن في ابهى صوره .. شفتاها وعبق الورود الذي تسكبه في قبلة ..وحدائق الجوري الممزوج بالياسمين وقليل من البنفسج التي اختلطت بصورة بديعة تصنع ذلك اللون المستحيل في الوردة الساكنة تحت انفها مباشرة ...امرأة تتقن الاغواء خلف رداء البراءة كطبيعة مدينة تحمل اضواء لافتة وساحرة تخرج عن طورها ليلا لتعود لاحتشامها نهارًا ...

ان لم تكن قد زرت مدينة حلمت بها من قبل واردتها بشدة قد يهديك القدر تلك المدينة في تضاريس امرأة ..تمامًا كخالد بن طوبال الذي عشق قسطنطينية وجسورها حد الوجع فأهداه القدر امرأة ترتدي لون تلك المدينة وتفوح منها رائحتها كما كانت بعيدة وشاهقة تماما كجسور تلك المدينة ..اهداه القدر كمكافأة لجنونه وعشقه، قسطنطينية كلها في امرأة تحمل عيناها لون الحداد الذي ترتديه تلك المدينة ،تماما كما تخلى القدر عن حلمي الساذج بالتقاء حبي في موعد باريسي وحجز لي موعد مع تلك المدينة بنفسها ..موعد مع ابراجها وانهارها ومتاحفها وعبق ورودها واصالة عطورها ان لم يكن ذلك الموعد هو موعد مع الحياة بذاتها ..

. . .

- حسنًا ..انه دوري الآن ..!!

-اوه بالطبع هيا أبداي ...

كانت تضرب بسبابتها اسفل ذقنها كما تفعل عادةً عندما تفكر ولم تكن تعلم ان تلك الحركة تزيدها جمالا في عينيه في كل مرة ..

- اممم ... امرأة - كمال

- وظيفة - شغف

- زواج - تقبل

- حب - تعب

- عنكبوت ...!! نظر باستنكار وبدت الحيرة على وجهه وهو يسأل

- ماذا !! ..لم يكن قد انتبه لصوتها الذي بدا مفزوعا ولا لإصبعها الذي ترك مكانه على ذقنها ليشير الى مكان آخر .. "عنكبوت "!! صرخت وهي تبتعد خطوات للوراء ولكنه فهم هذه المرة ان ما قالته لم يكن ضمن اللعبة ونظر الى حيث يشير اصبعها فتحرك بهدوء من مكانه باحثا عن عصا خشبية او اي قطعة لوح ..وما ان وجد ذلك العود الخشبي الطويل في احدى الزوايا حتى قربه ببطء من ذلك العنكبوت ليتسلق عليه ووضعه خارجًا .. عاد ليجد الصدمة ما زالت ظاهره على وجهها وهي تتلفت بفزع وتطلب منه ان يبحث في المكان عن اي حشرات اخرى ..بالنسبة له كان رد فعلها مبالغ فيه ولكنه اغتر بفكرة ان تكون انثاه رقيقة للحد الذي ترتجف معه من عنكبوت .. تفحص المكان ليُدخل الطمأنينة الى نفسها ولكنها لم تكن مطمئنة البتة فقد صبرت على مكان كهذا ولكنها لن تصبر على كائنات أخرى تشاركها هذا المكان!!

اقترب منها وهو يمسك بيديها ..

- انظري الي عزيزتي ..لن يقع لنا اي مكروه و ستمر هذه الليلة بسرعة و هدوء

حاول طمأنتها بكلماته ثم احتضنها ليشعرها بالدفء والحب فتسلل ذلك الدفء اليه بصورة كبيرة ...اراد ان يواسيها بحضنه ؛ فواسته..
اراد ان يدفئها فدفأته ..سربت اليه سيل من المشاعر اللامتناهية ..شبيهة بتلك التي تجتاحك بعد حمام دافئ في ليلة شتاء قارس ..غرابة المشاعر كانت تجتاحه ..شعر وكأن اجسادهما تتناغم وتبعث طاقة حرارية موزعة اليه ثم اليها في حلقة متزنة ..أهذا ما يسمونه لغة الجسد !!؟ وهل يتحدث الجسد بهذه الطريقة الصامتة والجميلة في آنٍ واحد !! في خضم تساؤلاته وجدها تتثاءب .. اذن فقد شعرت بالدفء هي أيضا رغم برودة الجو ..وكأن اجسادهما تشاركت في عزف سيمفونية حالمة ..هادئة ودافئة .. تدفق الشعور بالنعاس الى عينيه ايضا .. كان ينقص تلك اللحظة كي تكتمل ،احدى سيمفونيات بيتهوفن ..ولربما معزوفة القمر ... انها بالفعل من اجمل المعزوفات على الاطلاق ..ولكنه لم يكن بحاجة لسماعها في ذلك الوقت فقمران كافيان بالنسبة له ،كما ان اللحن الذي عزفه اختبائها في حضنه كان قصة تحتاج لكتاب آخر ان كان في العمر بقية ..

. . .

اخترقت اشعة الشمس عيناه فبدا له وكأنها تسللت باكرًا ..فتحهما ببطء ليجد رأسه مستندًا للجدار بجانبه ففهم سبب الألم الرهيب في عنقه ..كانت ما تزال نائمة وقد حجب اشعة الشمس عن وجهها رأسها الذي دسته في صدره .. التفت جانبًا ليخفف حدة الألم ولكنها استيقظت جراء حركته ..نظرت اليه وقد بدا وجهه مكسوًا بالتعب ...

- صباح الخير ..

رد وهو يبتسم - صباح النور !!

- هل نمت جيدًا ؟ يبدو وكأنك لم تنم ..

- لا عليكِ .. أعتقد انني لم أتمكن من النوم بسلام بسبب ذلك العنكبوت .. ضحكت وقد فهمت تلميحاته ..

- يسعدني كونك لا تخاف شيئًا .. أشعر بالأمان ..!

كانت عيناه قد اكتسبتا بريق الثقة ولكنه قال وكأنه يذكر حقيقة مرة " من الغريب ان يُشعرَكِ وجودي بالأمان في حين ان اقترابي منك لا يزيدني سوى خوفًا .." .. كانت نظراتها تطرح اسئلة كثيرة فاختصر الاجابة ..

- في الواقع .. أنا لا أخاف شيئًا سواكِ ...

كان اعترافه ذاك أكبر دليل على حبه العظيم لها ..يقال أننا نتغير بفعل الحب وانه يستحيل ان نعود بعد الحب كما كنا قبله ..بندر الذي تلقى تدريبات قاسية ونام في العراء وتدرب على العنف بطريقة وحشية ..ذاك الرجل الذي يذهب في كل مرة الى عمله ولديه شك في انه قد لا يعود ..يخافها هي .. هي التي لا تملك له اي ضر ولا نفع ..

اي ضر ولا نفع ..!!!؟ ومن أخبرها بذلك ..!! بل انها الوحيدة القادرة على قتله ..!! ألم يسلمها قلبه لتديره كيف شاءت ..ماذا لو انها قررت ان تفصل أحد شراييه ذات يوم ..ماذا لو انها أرادت بعض الهدوء فعمدت الى اسكات نبضه للحظات !! ان من نحبهم اخطر علينا الف مرة ممن نكن لهم العداء ..وعيون من نحب قد تردينا جثثًا ان ارادت ورغم ان التاريخ يحكي عن معاركنا الشرسة في ساحة الحرب الا اننا في ساحة الحب نخضع ،نصبح أكثر ضعفًا ونستسلم بسهولة ..

ألم يخبر قيس ليلى بأن نظرة منها اشد عليه من الف من سهامهم ..!!

ألم يحج يومًا فيتوب من كل الذنوب الا من هواها ..!!

" اتوب اليك يا رحمان مما عملت فقد تظاهرت الذنوب

واما من هوى ليلى وتركي زيارتها فإني لا أتوب "

ألم يعترف طلال (ذلك الثري المراوغ) في رواية الاسود يليق بك بأنه ورغم كل ما لديه يشعر وكأنه طفل ضائع وتائه دونها رغم ان تصرفاتها اصابت كبريائه ..!!

ألم نرقع - جميعنا - ثياب علاقاتنا بالآخرين حتى باتت دامية ورغم ذلك فضلنا ارتدائها بالية على ان نخلعها للأبد ..!!

هكذا نحن .. في الحب ننسى من نكون لنبدأ علاقاتنا بشخصيات جديدة لم نتخيل يومًا انها قد تكون فينا .. يقال بأن هناك ظاهرة علمية تسمى "خجل التاج " وفيها تنمو الاشجار بعض الاشجار بجانب بعضها دون ان تتشابك ..بل ان اغصانها تتوقف عن النمو لتترك حدود بينها وبين جاراتها .. اتساءل دومًا .. أيعرف الحب شيئًا كهذا ؟!! ..هل نستطيع ان نحب دون ان نتفرع ونكبر داخل الآخر لنسبب له الأذى ..!! هل يمكننا ألا نذوب تماما في الآخر بل نترك كياننا جانبًا وكيانه في الجانب الآخر تحسبًا للطوارئ ..!! لماذا لا يأخذ الحب من الأشجار سوى تشابكها ببعضها وتفرع اغصانها بداخل مساحة اشجار أخرى رغم ان خصوصية المساحة والحدود موجودة في بعض الأشجار ..!!

لماذا لا يفضل من العلم سوى ظاهرة الاندماج رغم ان الانشطار مسموح به علميًا ..!!

لماذا لا يقتدي بالنواة سوى في حاجتها لاستقطاب الكترون خارجي لتصل لحالة الاستقرار رغم انها تستطيع ان تفقد بعضا من الالكترونات فتستقر ..!! لماذا يشعرنا الحب بأننا انقاض ستتهاوى وأننا انصاف وبحاجة للآخر كي نكتمل وأن جسدنا مجرد مركبة لذلك القلب بداخلنا الى ان نجد من نعطيه اياه رغم ان جبران يؤكد لنا اننا كاملون بالآخر او بدونه بقوله " ومن تحب ليس نصفك الآخر .." ..صحيح أننا نشعر بشكل أفضل حين نحب ونُحَب ..حين نلتقي بمن يكمل الجملة نيابة عنا ..ولكن ..عندما لا نجد من يفعل ذلك فلا يعني هذا أننا فاشلون عاطفيا ،او ان الحياة لم تعد تستحق العيش ..ولا يعني أبدًا أن هذه ذريعة كي نلهث وراء انصاف العلاقات او ما نسميه بحب من طرف واحد ،او حتى ان نهدر مشاعرنا في

غير مكانها ..بل اننا نعلم في قرارة انفسنا أننا كاملون لأن الله خلقنا بشر متكاملون لا جسد مشطور كما نصور انفسنا ..يقول كازانتزاكي "ان كنت تملك الفرشاة والألوان فيمكنك ان ترسم جنتك " ..

. .

نظرت اليه وهو يقف ..

- الى اين ستذهب !!

-سأبحث عن طريقة نخرج بها من هذا المكان وسأجرب ان أصلح السيارة فكما تعلمين هي لم تعد تعمل كما أن هاتفي تعطل بعد ذلك الحادث وانتِ -ولأن الحظ دائمًا ما يقف معنا- لم تحضري هاتفك ..

- سآتي معك اذًا ..

- لا ... ابقي هنا فالمكان أكثر أمانًا ..كما أنني لن اطيل الغياب .. تحرك مبتعدًا ثم عاد وكأنه تذكر شيئًا "ابقيه معكِ تحسبًا لأي طارئ "

- ماذا !! ..كان قد ترك المسدس في يدها وكأن سؤالها كان بديهيًا في حين انه يعلم انه لا يملك لها ما يقال .. ذهب هو بينما ظلت ممسكة به في يدها لتتفحصه ..كانت تعرف كيف يستعمل جيدا فلم تكن أفلام الأكشن تلك بلا فائدة في نهاية المطاف ..خبأته خلف ظهرها وثبتته في سروالها الجينز .. لم تكن تشعر بشيء قبل ان يذهب ولكنها الآن تشعر وكأن ناقوس الخطر بداخلها يدق .. قد تكون مجرد اوهام او انها الحاسة السادسة كما يقال ..هذا ان صح التعبير وان كانت الحواس خمسة فقط ..المهم ان هذا ليس وقتًا مناسبًا للفلسفة فالجو يبدو مخيفا رغم كل استعراضات الشمس التي بدت وكأنها معتدة بنورها .. مرت اللحظات الواحدة تلو الأخرى وهي تذرع المكان ذهابا وايابًا ،لربما كانت تشعر بالملل قليلا ولكن الخوف بدا مسيطرا جدًا في تلك اللحظات .. جلست على الصخرة المجاورة لها منكسة رأسها تتأمل الأرض التي لم يكن فيها ما يستحق التأمل باهتمام .. خفق قلبها بانتظام أكثر وشعرت بالراحة تسكنها حين رأت انعكاس ظله على الأرض ..ولحسن الحظ ها هو قد عاد .. رفعت رأسها وهي تهم

بسؤاله عما حدث ولكن ما رأته استوقف الكلمات على لسانها فعادت هاربة الى حنجرتها ،لربما كادت تختنق بحروفها التي بارزت بها كثيرا في تلك اللحظة ولكانت تطبيقًا عمليًا لقول "عندما لا يجد الجلاد من يجلده سيعود لجلد ذاته ".. اتسعت حدقتاها بشدة حتى بات السواد في عينيها اوسع من البياض ... هو ليس بندر !! اذن لم تكن تلك الانذارات التي انطلقت بداخلها قبل فترة قصيرة كاذبة ..

كان شخصًا يصوب فوهة المسدس نحوها ويأمرها بالتزام الصمت والا ..... والا ماذا ..!! لم يكن ليخيفها الكلام بعد "الا " سوى ان يكون القول بأنهم تخلصوا منه وسيلحقونها به .. كانت حياته بالنسبة لها في تلك اللحظة اهم من حياتها لأنها تدرك انه فقط ان عاش فستبقى حية هي الأخرى سواءً توارى جسدها تحت الثرى او بقي يجوب الأرض كحاله الآن ... لم يزد وجود الرجلين الآخرين في المكان الأمر سوى تعقيدًا .. كانت تفكر بطريق للخلاص منهم عندما أتتها الطريقة تقدم نفسها ..

. . .

انتهى من بحثه الذي أسفر عن اللانتائج ..لا شيء يذكر فحتى سيارته ترفض ان تعمل ولا يبدو ان الخلل فيها واضح كي يصلحه ..كان قد قرر بعد استشارة عقله بأن يسيرا كل تلك المسافة الى ان يصلا لأقرب شارع ،ومن هناك سيتمكنان من تدبر امورهما .. رغم ان الفكرة تبدو متعبة وتلك الغابة لا تبدو مسالمة الا ان الحلول لم تكن سخية ولم تتقافز لتقدم له على اطباق من فضة .. هي فكرة واحدة أتته على طبق من حديد صدِئ ولم يكن يملك سوى ان يكون ممتنًا لها ... وصل الى المكان الذي قضيا فيه الليلة الماضية .. ذلك الكهف الذي بدا له حينها وكأنه أحد قصور الروم العظيمة فحينها كان قد تقبل واقع الجلوس في وسط تلك الغابة المخيفة الى ان برزت تلك الفتحة لذلك الكهف فغمرته سعادة شعر معها وكأنها فتحة لأحد ابواب الجنة .. شعر وكأن شيئا مريبًا يحدث ..نظر من مسافة ليست بعيدة فخيل اليه ان احدهم يقف في الخارج .. مشى بهدوء وتوارى خلف

الأشجار لينظر من مسافةٍ قريبة فوجد ان ما رآه لم يكن خيالا وان هناك بالفعل من يقف في الخارج .. التقط حجرا من على الأرض واقترب من وراءه خلسة و قبل ان يلمحه كمم فمه بيده ليهوي بذلك الحجر على رأسه فسقط فورا والدماء تفور من رأسه ..التقط مسدسه من بين يديه وانتشله دون ان يصدر ضجة ليستولي على الهاتف الذي كان يحمله معه بعد ذلك .. بات يقف خارج الكهف الآن ينظر الى الرجلين بالداخل ليرسم خطة الهجوم بينما لمحته هي فأشار لها كي تنتبه ولا تلفت النظر ..دار حول الكهف ليصل الى مدخله من الجهة اليسرى حيث يقف احدهم في الداخل .. اقترب منه وقبل ان يتحرك احاط رقبته بإحدى يديه بينما صوب المسدس نحو رأسه باليد الأخرى ،وفي تلك اللحظة التفت الرجل الآخر - ذلك الذي كان يشير بالمسدس نحو ترف - وقبل ان يدرك وبلحظة خاطفة اخرجت المسدس من خلف ظهرها وهي تصرخ فيه " مكانك ... اياك ان تتحرك "!! ... نظر اليها بعينين شرستين محمرتان من شدة الغضب فأشارت اليه كي يلقي سلاحه أرضًا فخضع لما طلبته وألقاه ..

سألته بصوت مليء بالاحتقار - ماذا سنفعل بهذين الكلبين ..!!

كان صوته مستهزئًا جدًا حين قال - لا عليك سأقدم لهما خدمات تليق بهما .. ولكن أولا - قال مخاطبًا ذلك الشخص الذي يمسكه - ينبغي ان نعرف اين يختبئ سيدك أيها الحقير ..!!

ظن انه قد بات مسيطرًا على الموقف وقد غلف عيناه بغشاوة منعته من الانتباه الى ذلك السافل وهو يخرج سكينًا من جيبه الجانبي ليغرزه في فخذه بوحشية .. كانت الطعنة مؤلمة حد الموت فصرخ بألم ..أدارت وجهها نحوه وهي تصرخ باسمه فالتقط الرجل الذي أمامها مسدسه من على الأرض ولم تدركه الا ورصاصة حارقة تخترق كتف ذراعها الأيمن ..رغم ان الطعنة كانت رهيبة الا انه رأى ما حدث لها ولم يفقه لنفسه الا وهو يطلق النار على أولئك السفلة ليسقط اولهم فور اصابته بينما يترنح احدهم وهو يشهق منتظرًا الرصاصة الأخرى التي اسكتت شهقاته .

. . .

هل كان خيالا ما حدث ام انه واقعًا ومن شدة مرارته لم يستسغه عقله فأعتقد بأنه حلمًا ..

كانت هناك ..في وسط الكهف جسدها يقبع ..كروح تنازع يرتفع صدرها ويهبط ..بين شهقات وهذيان ضاعت حروفها وضاع هو معها ..

يضغط بيده على جرحها بقوة متناسيًا جرحه الذي ينزف بغزارة ولكنه يعلم انها اهم منه لنفسه بكثير .. يعلم ان حياته مرتبطة بحياتها .. هي نبضه الذي يبقيه على قيد الحياة رغم الالم والتعب ورغم سوء الحياة .. هي السبب الوحيد الذي من اجله يعيش بعد ان كانت الحياة بالنسبة له مجرد لا شيء .. عندما دخل في تلك الدوامة قبل شهور ..عندما عاش فترة في طريقٍ يفصل بين الحياة والموت .. بين غياب الحواس عند أداء وظائفها واقتصار الوقت على دقات قلب ينازع وما لبث طويلا حتى اصبح ذلك القلب ذاته مستميتًا من أجل الحياة .. عندما كانت هي النور الذي اشرق بداخله داعيًا قلبه للحياة .. لربما كان خروجه من الغيبوبة غريبًا والأغرب شخصيته الجديدة التي خرج بها ،ولكن لا شيء يستدعي الاستغراب اذا ما نظرنا جيدًا للفترة التي قضاها ممدًا على سرير المستشفى ولا يفعل شيئًا سوى الاستئناس لحديثها عن يومياتها والبكاء قلبيًا للمعاناة التي تضطر لخوضها بالإضافة الى سعادة روحه التي لا توصف عندما تضحك او تضع رأسها على صدره لتغفو .. رغم ان حواسه لم تكن تعمل حينها ورغم انه لم يكن يملك القدرة على التعبير لها عن مواساته او احساسه بها الا ان استماعه لها كان كافيًا لأن يجعلها كل شيء بالنسبة لروحه ..جزئه ونصفه وكله ..

يقال .."شيئان لا تكذبهما أبدًا .. دموع الرجال وقلوب النساء " .. وقد كانت دموعه التي نزلت في مجتمع يرى بكاء الرجل نفيًا لرجولته أكبر دليل على ان اهتمامه بها أكبر من اهتمامه بعادات وحكم مجتمع لم يأبه له يومًا ..

نظر اليها وهي تتألم ورغم ضغطه على جرحها الا ان ذلك لم يكن ليساعد على ايقاف النزيف .. "ترف . انظري الي .. ابقي معي هيا .. كل شيء

سيكون جيدًا "!! .. نظرت اليه وهي تحاول ان تبقى مستيقظة ولكنها لا تلبث دقائق حتى تعود وتغمض عينيها ،ثم تسمعه يحدثها فتعاود فتحهما .. نزع قميصه الذي كان يرتديه وشقّه الى قطعتين .. قام بلف القماش حول كتفها كي يوقف الدم عن الخروج .. انتهى من ذلك فأراح رأسها على بين يديه وهو يمسكها بهدوء ويهمس لها بأن تتماسك ..نظرت اليه وهو عاري الصدر وقد برزت عضلاته ورغم ألمها ابتسمت وهي تعلق بصوت خافت " رؤيتك هكذا تغريني بالبقاء على قيد الحياة " .. ابتسم وهو يجيب ..

- سأمتنع عن ارتداء القمصان للأبد ان بقيتي معي ..
ضحكت وبدت ضحكتها متعبة اذ أخذت تقبض عينيها بشدة لتداري ألمها .. لم يستطع البقاء معها أكثر فكان لا بد من ان يبحث عن مفاتيح سيارتهم التي كانوا يركبونها ولا بد من ان يبحث عن مكان وقوفها أيضًا ..نظر اليها وهو يخبرها بأنه سيتركها قليلا ليتدبر طريقة لمساعدتها ولكنها استوقفته بقولها " لا داعي لذلك .. أشعر وكأنني يجب ان ارحل .."

كان صوته جديا وواثقًا رغم المرارة التي تشوبه ..

- لا ..لم يقترب .. سنخرج من هنا سويًا وسنكمل حياتنا معًا .. لقد وعدتني ان تبقي معي للأبد .. والآن يجب ان تفي بوعدك .. نظرت اليه بطريقة منكسرة وعينان مليئتان بالدموع ورغم ذلك وقف وتركها فأمسكت يده وهي تقول - لا تنسى انني أحبك .. ربت على يدها وهو يضيف " لا تنسي ان تعيدي ما قلته عندما نعود للمنزل ... وأضاف " معًا !!"

. . .

كان يؤمن ان لكل شيء نهاية ولكنه في تلك اللحظة ورغم الحزن الذي يعتصر قلبه كان واثقًا انها ليست النهاية ..لكل شخص نهاية ولكن نهاية كل شخص تأتيه بطريقة تليق به .. تلك النهاية لم تكن تليق به ، بها ،بهما .. مشى رغم عرجه ..مشى رغم جرحه.. مشى رغم وجعه وكل المآسي على كاهله ولكنه لم ييأس ..حيث كان يؤمن ان الفرح بجانبنا دائمًا ولكنه كان بانتظار من يدق بابه .. وكان متأكدًا ان اولئك الأوغاد قد تركوا سيارتهم في مكان ما قبل مجيئهم .. استفاد من الهاتف في يده بأن اتصل

على الطوارئ ولكن في منطقة كهذه بالتأكيد لا وجود للشبكة ..كان منهكًا للغاية خارجيا وداخليا ونفسيا وبدنيا وروحيا ..ولم يزد تعثره بغصن تلك الشجرة او لربما كانت جذورها وليس غصنها الأمر سوى مزيدا من السوء ..

نظر لملابسه التي احالها لون الدماء الى الأحمر وكأنه غير قادر على اكمال المسير فقد بدا عليه الخمول بشكل كبير ..

دقائق أخرى واذ بالخمول يتحول الى اعياء شديد ..عدم قدرة في التحكم بجسده .. يا ترى هل ما نزفه كان كثيرًا لتلك الدرجة ؟!!

يبدو انه سينام ..بل يحتاج لأن ينام ..لربما نومًا طويلا هادئًا دون اي انقطاع في مكان لا بشر فيه لإيقاظك ..شعر وكأنه يطفو فوق سطح ..... سطح ... !!!

سطح من وريقات شجرٍ بالية لم تعد الاشجار تجد جدوى من حملها أكثر فقامت بإسقاطها ... تماما كحاله (حالهما) فلربما لم تعد الحياة ترغب في تكبد عناء حملها اكثر ..اراد ان يستجمع القوى ليعيد تركيزه ..ليس من اجله بل من اجل امرأة احاط قلبها بوعوده وذراعها بقميصه وتركها تنتظر ..ولكن لم يكن هناك نفع للمحاولة .. كان قد سقط على أرضٍ كانت من النذل ان فرشت له اوراق شجر ميتة بدلا من ان تحتضنه بكلتا يديها .. لربما اختلفت طرقهم منذ البداية ولكن النهاية كانت واحدة.. ارضٌ لا تجود سوى بأوراقها منتهية الأجل وسماء تلمع شمسها وتبث طنًا من الألم لأجسادهما المرهقة ولم يكن للأمل اي شأن في الموضوع..

جروح تنزف ببطء وقلوب تنزف بغزارة هذيان وافكار وشريط حياةٍ يمر ... هكذا تكون النهاية في الحياة الواقعية .. لن يصاب السجان بتأنيب الضمير ليفرج عن السجين ،بل سيموت السجين ليستمر السجان في استكمال ظلمه ووحشيته .. !!

لن تستعيد الأمة العربية وعيها لتعود قوية ومحل فخر كما كانت في عصر الاسلام واجيال العلماء واشراف العرب ..بل ستستمر في كونها "ملطشة "

ومحط سخرية ونهب واعتداء .. لن يتزوج الامير من الأميرة ليخلدا قصة حب اسطورية تتحدث عنها الأجيال ..بل سيموتان ليدفنا بجانب بعضهما كنوع من الرومانسية الحزينة التي تستوجب نزول الدمع ،ففي حياة مثل حياتنا نعشق البكاء في الأفراح والأتراح ولا تحتفظ ذاكرتنا سوى بذكرى شخص يجن في سبيل ابنة عمه ،وآخر يقتل نفسه على جثة حبيبته .. لا قيس تزوج من ليلى ،ولا روميو فهم خطة جولييت ..وبين حقيقة عربية واسطورة غربية يكشف لنا الحب ان اساطير الأبدية فارغة .. ونعود لنستشهد مرة اخرى ب " احبب من شئت ..فأنت مفارقه .."!!

.. في واقع الحياة ..

.. ستفوز طلقة حاقدة على صدرٍ خصب ..

..وفكرة ضالة على عقل تشرب العلم تشربًا ..

. سيبقى للشر هذه الأرض كي يمتلكها .. وسيبقى للحياة دجالها الذي تنتهي بنزوله .. وسنبقى نحن بانتظار جنة الأخيار التي نأمل ان ندخلها ..

.. لا تصدق نهايات ديزني الراقصة .. فالنهاية تعني الختام لكل شيء ..

بندر ... مرة أخرى ..

شيء من الضجيج يتسلل الى اذني ..اصوات خافتة .. محادثات متفاوتة .. تمتمات وصرخة لطيفة ب " ششش .. ابقوا هادئين " ..

- هل استيقظ الآن ... !!

- لا لم يفق بعد ..

- ماذا عن كلام الطبيب .. !!

- لقد قال بأن تأثير البنج سيزول خلال الدقائق الآتية ..

- اصمتوا رجاءً .. ليس مهم كم دقيقة سيقضي الى أن يصحو فلدي استعداد لانتظاره هكذا حتى نهاية عمري ..

.. كل تلك السابقة اصوات لأشخاص لربما أعرفهم .. طبقاتها عالية ،متوسطة ،منخفضة .. نعم .. انها اصوات حادة ،ثم لطيفة ..رجالية واخرى نسائية .. ولكن هناك صوت لم تخطئه اذناي .. بل انها تحفظه جيدًا .. تعشقه .. تعيش على ترددداته ..

آاااه ..كم من الوجع انطفأ داخلي لحظة سماع صوتها .. جاهدت عيناي لكي تتغلب على بقايا المخدر بداخلي وتُفتَح . كانت هي آخر من تحدث ..كانت أمي .. جنتي التي ما ان ابعدتني عنها الظروف حتى اصبح بداخلي جحيم يزيد ناره كل يوم ،كلما زاد الحنين وكأنه يقتطع لنفسه حطبًا من شجرة اشواقي .. قالت بأنها ستقضي عمرها كله بانتظاري .. !!

لن اسأل ان كانت امي جادة فيما تقول ام لا .. فوحده الماضي يخبرني بأنها قد تقتطع جزءًا من روحها لتسكنها فيّ .. ليالي كثيرة تعِست فيها لأفرح انا .. وبكت لأضحك أنا .. تألمت لأشفى أنا .. ولن تتوانى عن الموت لأحيا أنا .. بصعوبة بالغة أرمش وكأنني اقاوم آخر ذرة مخدر بداخلي .. احرك عيناي ثم ارمش .. ثم اقبض عليهما بقوة ،ثم افتح ببطء .. ثم ... شيء من البياض يخترق عتمتي .. اجهزة ... بشر ... و .... لم أمت بعد !!! حسنًا حسنًا ..فلننسى ما قلته سابقًا عن سوء الحياة وموت الأمير والأميرة.. ولنعد الى المكان الذي قلت فيه انها لم تكن نهاية تليق بي ،بها ،بنا .. بنشوة المنتصر استطيع ان افرش ذيلي بغرور كطاووس مزهوًا بنفسه واتبختر رافعًا رأسي لأعيد الكلام .. "صدق حدسي وتأكدت ظنوني ..تلك نهاية لم تكن تناسب قصة حقيقية وصادقة تحمل في طياتها قلوب نقية ..

تهرع أمي الي ... تمطرني بالقبلات وكأني ما زلت طفلها المدلل .. قبلة تطبعها على جبيني وأخرى على رأسي ..تلك في خدي الأيمن و تلك اخطأت طريق خدي الأيسر وطُبعت على جفني ..

لا بأس ..قبليني اينما تريدين ..فكل جسدي مكانك يا أمي ..

كل جسدي مكانك..

رغم اصوات الأجهزة وضوضائها من حولي الا ان تلك الجملة فتحت لعقلي باب للفلسفة ..

.. تطالب الدول الرأسمالية بالحرية المطلقة للفرد .. ولا أدري بصراحة الى اين سيصلون بحريتهم فكلما تجاوزوا عقبة فتحوا اخرى وكأن الحرية عندهم في التخلص من قطع القماش عليهم ،هذا وان كانت الاقمشة الموجودة على بعضهم تتجاوز القطعة الواحدة ... المهم ..هذا وبالرغم من ان قوانينهم تقدس الفرد وتتعامل معه بحنية تتجاوز منطق الام مع اولادها ..حتى انها ترمي كل جريمة قتل تثبت على المتهم الى عوامل نفسية وبيئية ومجتمعية .. عمومًا وبلا طول سيرة ولا ادري من اي باب دخلت الى هذا الحديث ،كل ما اردت قوله هو اننا نطالب بالحرية المطلقة

ولا نعلم انها لا وجود لها .. تصرفاتنا تحت سيطرة والدينا (ليس اجبارًا) ولكننا نخضع لهم طوعا وبدافع الحب ..قلوبنا مملوكة لمن نعشق ..تضحك لضحكهم وتبكي لبكائهم ..تحزن لحزنهم وتنتشي فرحًا بفرحهم ..

يهدر المرء عمره في محاولة ان يكمل نصف دينه ،في حين ان الزواج كما يعرفه ادهم شرقاوي بأنه " رق حضاري " .. ببساطة ..كل من نحب يملك مكانا فينا وجزءًا منا وسنفني حياتنا من اجل راحتهم سواءً كانوا آباءً او أبناءً او ازواجا ولا مكان لحرية مطلقة بالكامل وحتى ان لم يكن لدينا من نهتم لأمره فسنبقى نتأرجح كالدمى بقوانين المجتمعات والبلاد .

وكما أن ..... لحظة ...!! أعتقد بأن اعصابكم بدأت تتلف وأنتم تتساءلون " متى تنتهي تجارة الكلام هذه ونعرف ماذا حل بترف " ...!!

وهل تعتقدون أنني نسيت أمرها ..لقد كانت اول شيء سألت عنه بعد ان رأت عيناي أمي ..اعتقد بأنني حتى بعد فقدت وعيي في تلك الليلة كانت لا تزال متواجدة في عقلي وتأتيني على هيأة اطياف ضوئية .

هذا أولا ..اما ثانيا فلا بد ان الفضول يحرقكم لمعرفة كيف خرجنا من تلك الدوامة ..حتى وان لم تكونوا من النوع الفضولي فسأخبركم به لزيادة معلوماتكم لا اكثر ..

أتعلمون .. إنني متعب للغاية وما زالت ساقي تئن خصوصا بعد ان غاب تأثير ذلك المخدر ..لذلك سأتركها تخبركم بذلك لأني ما عدت قادرًا .. لربما هذا آخر لقاء لقلمي بكم ولكن ..

ستجدونني في طيات القصة وتفاصيلها ولن ابدوا غائبا طالما انكم تركبون قطار حياتي ..

وكالوطن كانت ..

امرأة مليئة بالتضاريس ..تمتلك عينان تمتلئ بمباني قديمة ..حديثة ..وأخرى قيد الانشاء ..

لها قلب يعاني انفجارًا مشاعريًا من فرط الأحاسيس فيه ..

وبين فترة وأخرى تصب نهر مشاعرها ذاك في جدولي لأمتلئ بها ..

.. كانت عميقة كوطن ولكن بعكس الأوطان كانت بلا حدود ..

. . .

(وفي النهاية ..ينتصر الحب)

هكذا نحن .. نعيش حياة واحدة تملؤها الحروب حد الاكتفاء ..لدينا من الأسلحة ما لا نطيق بحمله ولكن لا يد لنا في الاختيار اذ اننا مجبرون ..حرب مع ذاك وأخرى مع ذاك .. واحدة مع الألم وأخرى مع الفشل .. معركة مع الضعف بينما تنتصر القوة في المعركة الأخرى ..

نوقن ان كسب معركة لا يعني بالتالي كسب الحرب ،ونعلم جيدًا أن الفوز والخسارة في كل معاركنا كلها مسائل نسبية ليس الا ..

ورغم كل ما نؤمن به وكل الأسلحة التي نضيق بها ذرعا وتفيض بنا.. إلا اننا في الحب نتجرد من كل ما اكتسبناه يومًا وتعلمناه ،بل وننسى فائض التجارب التي خزناها لوقت الحاجة ،لنخوض معركة الحب حفاةً عراة مجردين من كل خيوط القناعة الفكرية وأحذية الارادة .. لذلك عندما نفوز نظن ان معركتنا تلك قد كانت الأخيرة وأننا قد ظفرنا بغنائم الحب للأبد .. وكذلك عندما نخسر فإن قلعة قوتنا تتهدم وروح عزيمتنا تلفظ انفاسها الأخيرة ناسين بذلك او متناسين ان هزيمة معركة لا يعني بالضرورة خسارة حرب وأن النصر دائما وابدا سيكون حليف من يصمد حتى النهاية ..ومهما طالت الخسارات وتعدت آهاتنا الأرقام ..في النهاية تنتصر المشاعر الحقيقية فحسب حتى لو طال بها الأمد ولم تأتي الينا الا حين اصبحنا نمتلك رِجلا ثالثة (كناية عن العصا التي نتكئ عليها عندما نكبر في العمر) وحتى وان كانت مليئة بتعريات الزمن على وجهها ..

. . .

تحاول الانتقال من عالم اللاوعي الى عالم الوعي .. تضع قدمها في محاولة منها لصعود اول خطوة في سلم التركيز ..

تداهمها الأفكار الغريبة فتحرك بطريقة لاإرادية يدها التي لا يبدو انها كانت حرة .. تستنجد جفناها الكسولان ان يقللا من تكاسلهما ليُفتحا ..

يأتي صوت تميزه من بين ملايين الأصوات..

- هاها ..أعلم انك مستيقظة ..افتحي عينيك الآن ..

تحاول جمع الحروف التي وصلتها مبعثرة ولكن الصداع في رأسها يحول بينها وبين ذلك ..

يخرج صوتها بصورة سريعة وقبل ان يخترق ضوء الغرفة عيناها ليتخطى حقيقة ان الضوء اسرع من الصوت ..

- أين ... أين أنا ..!! هل مت ...!!

لم يتلقى صوتها المبحوح اي رد سوى سخرية لم يكن الأوان وقتها من شخص بجانبها

- بالطبع ... أنتِ ميتة الآن ونحن في العالم الآخر ...!! نحن ملائكة القبر ..افتحي عينيك لنطرح عليك بعض الأسئلة ..

تفتح عيناها بمقدار ضئيل ورغم ذلك تركز نظراتها على ذلك الشخص بجانبها لترمي له ابتسامة متعبة وهي تقول بصوت شاحب ..

- وهل ابتُليت بك في قبري أيضًا ..!!

لا يرد .. ولكن الضحكات التي وصلت اليها تخبر بوجود أشخاص آخرين في الغرفة .. تغير اتجاه نظراتها لتلتقط موجات ضوئية لأشخاص تعرفهم ..والدتها .. والدته .. أخواتها الجميلات .. فرح .... و ..... فرح !!!

نعم ..انها فرح .. لقد تزوجت بعد ثلاث أشهر من ارتباطها هي ببندر وغادرت الى بريطانيا لتستقر مع زوجها وتكمل الماجستير .. أووه ..ها

هي قد عادت الآن ... يا الهي كم اشتاقت اليها .. كانت من النوع الذي يشبه السكر الذي يذوب سريعا وبسفرها زادت مرارة حياتها ..

رغم الغرفة البيضاء وانبوب المصل الذي يخترق شريانها الايسر الا ان الأمر لم يكن بذلك السوء فلطالما عاشت وتعايشت مع ذلك المصل الذي يخترق شراييها واوردتها ليل نهار .. ذلك المصل الذي حتى هذه اللحظة ما زال يغذيها .. نظرت اليه فوجدته يقف بجانبها الأيمن ..لربما تركوا له اليد اليمنى لتشبك انبوبه هو على راحته واستولوا على اليد اليسرى لينهكوها بمغذياتهم .. بعد ان تحدثوا معها واطمأنوا عليها وفي خضم انشغالهم بالحديث وشرب القهوة وتوزيع " حلاوة سلامتهم " وكأنها ليلة العيد ..

اقترب منها ليقول ولمعة جميلة تكتسح عيناها ..

- بما أنني المَلَك المكلف بسؤالك فسأترك جميع الأسئلة جانبًا واكتفي بسؤال واحد فقط ..

" أخبريني .. من هو حبيبك .."!

لربما كان ينبغي ان تشرع بالحديث له عنه ولكنه دائما ما يفسد مزاجها بغمزاته الواثقة .. أشارت اليه لكي يقترب اكثر ،وعندما اقترب همست له في اذنه ..

- ذلك الأحمق الذي يقف بجانبي الآن ويثيرني بجنون..

- هل حقًا أفعل ذلك ؟!

- ماذا !

- هل أثيركِ بجنون !!

عضت شفتيها وهي تقول " جدًا ..!!"

- الآن الآن ؟!!

-جدًا جدًا

نظر اليهم ثم اليها ثم وقف وهو يقول بصوت عالي ...

- آمل ألا ازعجكم ولكن .. أنا والمدام نحتاج لأن نتحدث قليلا ... أضاف بعد سكت لثواني " لوحدنا .."!! ..ابتسم بطريقة وقحة فتبادلوا نظرات ذات مغزى بينهم وضحكات مكتومة بينما حاولت والدته ووالدتها الا تفلت منهما ابتسامة واحداهما تعلق .." سنعود لزيارتكَما لاحقًا " !!

نهض الجميع للخروج ولربما لم يلاحظ احد وجه ترف الذي بدا محمرا للغاية ولربما ساخنًا كمقلاة لو ان احدهم تحسسه .. اقتربت فرح من " تروفتها " وهي تحتضنها بقوة وتعدها بزيارتها في الغد بينما دقت كتف بندر بخفة وهي تضحك قائلة " آمل الا تنسى انها مستشفى في النهاية " !!

نظر اليها باستغباء بعد ان رحلت فرح وهو يقول .." والآن ماذا ..!! لقد رحلوا .."

لربما لم يلاحظ انفاسها المتسارعة من مدى صدمتها بما فعل ..

- الى الجحيم الآن ..

حدق فيها ببلاهة وهو يقول " وهل جعلتني اصرفهم لكي ترسليني الى الجحيم !!

نظرت اليه وهي ترفع حاجباها " هل طلبت منك أنا ان تصرفهم " رد بكل ثقة

- بلى ...

لم تفته نظراتها الحانقة وهي تقول ..- والله ... !! ومتى كان هذا ..!!

- اممم .. بصراحة ..لم تخبريني بذلك علنا ..ولكنني استنتجته مما قلته .. كانت تود ان تقتله في تلك اللحظة ولكنه كعادته جعلها تضحك لحديثه .. أخبرته وهي تضحك " لقد أحرجتني حقًا .."!!

-و ماذا في الأمر ..هم يعلمون أننا متزوجون في نهاية المطاف ..حواجبه المتراقصة تلك جعلته يبدو بغيضًا ..

- أووه ..حقًا ..!! ما رأيك في عروض مجانية طالما ان الجميع يعلم !!؟ عض شفتيه باستفزاز وهو يقول " فكرة ممتعة جدًا "!!

- حقير..!!

نظر الى عينيها وهو يضحك .." أعشقكِ حين تغضبين "!!

- سيكون عليك دفع أموال طائلة لقاء علاج قولوني اذًا ..!!

- ولكنني أحب هدوئك أكثر ..

ضحكت بسخرية - تخاف على أموالك ... بخيل ..

- ههه .. أحبك حين تتصنعين الغضب أيضًا ...

- لستُ أتصنع ..!!

- وأحبكِ حين تكذبين ..

- هيي لست أكذب ...

- وعندما تصرين على ما تقولين ..

- حقا!

- وأحب نظراتكِ المجرمة .. تلك التي تعطي عينيك شكلا أجمل .. حدق فيها قليلا .. كهذه النظرات في عينيك الآن ...

تلك القبلة التي أرسلها لها في الهواء جعلتها تبتسم ..ورغم اخفائها لابتسامتها الا انه لحِظها ..

- وأعشقكِ حين تبتسمين خجلا ..

أهدته ابتسامة أخرى أكثر جمالا وهي تقول ..

" لم أكن أتوقع في ذلك اليوم أننا سنكون معا مرة أخرى .. ظننت أني قد ..... ، ليس مهمًا .. المهم ان كل ذلك انتهى و حسب .. ابتسم لها بصدق وهو يقبض على يديها بقوة خوفًا من ان تفلت منه مجددًا وهو يعود

بذاكرته الى ذلك اليوم والى حديث فيصل له عن الطريقة التي وجدوهم بها ..

كان قد أخبره انه قد لم يلاحظ رسالته تلك الا في ساعة متأخرة من الفجر ،ورغم ذلك فقد حاول ان يصل اليه ولكنه لم يستطع ..وحتى نظام تحديد المواقع لم يستطع ان يحدد له اي موقع فقد بدا وكأن الهاتف قد تعطل .. اضطر ان يأخذ دورية ويذهب لتفقد الشقة ولكنهم لم يجدوهم هناك أيضا ومن منظر المكان وكركبته فهم ما قد حدث .. أخذوا يبحثون في الأرجاء وفي كل منطقة تقع في نطاق خمسة كيلومترات من المنزل .. طال البحث جدا ولكنهم سمعوا صوت اطلاق الرصاص في وقت كانوا قد يئسوا فيه من وجودهم .. وسعوا البحث باتجاه مصدر الصوت ..وعندما وصلوا وجدوها وحدها تنزف ببطء .. كانت قد دلتهم على الاتجاه الذي سار فيه وعندما وجدوه كان يبدو عليه وكأنه في عالمٍ آخر ..

- بندر ..

أخرجه صوتها من ذكراه - ماذا ..؟

- في ماذا تفكر ..!

- فيكِ..

- ولكنني هنا بجانبك ..

ابتسم بلطف - وهنا تكمن الغرابة فأنا أفكر فيكِ حتى وأنتِ معي ..

ضحكت بحب وهي تهز رأسها نفيًا - كاذب

- وأُحبك ..!!

أعطى ذلك الضوء الجميل الذي اشع من عيناها المزيد من المصداقية لكلاهما وهي ترد " وأنا أيضًا "

- أنتِ ماذا ...

- أُحببك ...!! .. كان لتشديدها على حرف الباء مفعولا قويا أراح قلبه وسكّن آلامه وأعاد لروحه نقاءها وكأنه ولد من جديد ..

- أتعلمين ...!! سكت بعد كلمته تلك فردت بتساؤل " ماذا !!"

- كان من الجيد ان تركناهم يغادرون الغرفة ..

غمز بلطف فضحكت بتعب ممزوج بالكثير من الحب وهي تضيف ..

- مجنون ..

- بكِ ...

(رسالتي الأخيرة ..)

وها قد جاء الوقت لأضع النقطة في نهاية النص .. ولأختم رسائلي اليك ..

لربما شيء في داخلي لا يريد ان ينتهي منك ولكن - ولا ادري ان كان من سوء الحظ او من حسنه - فلقد تزامنت كتابتي اليك مع بداية صفحة الوجع في حياتي .. وبما انني هممت بقلب تلك الصفحة وازالتها من حياتي فينبغي علي إذن أن اطويها بذكرياتها وايامها وناسها ...

يتعرف البشر عادةً على بعضهم في بداية اللقاءات ولكننا لم نفعل .. كنتَ غريب وفي بلاد غريبة عنك ،ولكني أيضا غريبة ،فهل يكون من اللائق ألا اعرفك بي قبل ان اطويك مع الماضي ،او اطوي رسائلي معك ..

حسنًا اذًا .. فليكن ..

لم يحدث وان اخبرتك بقصتي ولكن وجعي قد وصلك من خلال مواضيعي وانصاف رسائلي ،كما أن نار رسائلك قد داهمتني ايضا ولم أتمكن من تقديم العزاء لك ..

قصتي غريبة ومجنونة في آن واحد .. كما أن البشر فيها ليسوا طبيعيين أبدًا بدءًا بحبيبة حبيبي وصولا الى تجار البشر الذين اعترضوا طريقي .. تجار بشر !!!...

هل .... هل يوصلك حديثي لنقطة ..؟!

لربما تقابلت افكارك مع حديث الصحف قبل ايام ليست ببعيدة عن الخلية التي تم القبض عليها بعد محاولة خطف لامرأة ..

أووه ..نعم بالضبط .. ما فكرت به صحيح .. وتلك المرأة في الحقيقة لم تكن سوى أنا .. ! ألم أخبرك بأن حياتي تصلح لأن تكون فيلمًا واقعيًا .. عموما ..فقد انتهى كل شيء وسأغلق صفحة الألم وارمي معها قلمي النصف ممتلئ لأبدأ صفحة جديدة للحياة بقلمٍ ممتلئ وجديد .. اتعرف عليه ،يتعرف علي لنبدأ معًا رحلة نحمل فيها آمالا وفائض من الأحلام نحو مستقبلٍ مجهول ..

.. اشكرك على ثقتك بي فنحن لا نبث احاديث قلوبنا لمن لا نثق به ..ولكنني لم اعد غريبة عنك بعد ان اصبحت قادرًا على ايجاد هويتي من مقالات تلك الحادثة .. كما انك لم تعد غريب الي بعد نجاح بحثي البوليسي ومعرفتي هويتك .. لربما استطيع ان ارتب القصة لأفهم انك كنت تعلم هويتي منذ البداية .. وحاولت مساعدتي حين وجدتني اتشارك صعوبة الواقع مع الغرباء في "قروب " للحديث والفضفضة ..

أليس كذلك يا تيم ... !!

لطالما اعتبرت حبنا خطيئة ،وظننت ان ما حدث لي كان بسبب ايماني بأن في الحياة من يستحق التضحية .. لطالما تمنيت وجود قانون عادل ينصف قلبي الذي كانت بدايته معك وظننت ان النهاية كانت معك أيضا ..

رغم اننا لم ننهي علاقتنا تلك التي بدأت برسالة في يد أخيك الصغير تبوح لي فيها عما يوقدك عند رؤيتي بطريقة تليق بها حقا ..الا ان القدر قد دار ولعب لعبته كي يجمعنا معًا مرة أخرى لنكتب رسالة وداعنا ..أو .. لأكتب وحدي رسالة الوداع وانهيك مني كما بدأتك قبل عدة سنوات ..

كنت اعتقد ان غفراني لن يصلك يوما وأنني لن اعيد بناء ما حطمته فيني من بعدك ولكنني ادركت انني كنت مخطئة حين وجدت ان قدري هو شخص آخر .. لربما لم تكن مخطئًا في هجرك .. ولربما كانت دموعك تلك حقيقية حين اخبرتني انه ينبغي ان نموت احيانا لكي يحيا من نحب وانك ستضحي بقلبك الذي تعلم ان فتاة غيري لن تملؤه .. لأجلي ..

لربما كرهتك حينها ..وكرهتك أكثر حين ادركت انني اكرهك .. لأنني كنت اعلم ان الكره يعني بقايا حب غاضبة ..

ولكنني الآن اغفر لك ..

نعم ... !! لن اعاتبك .. ولن اهجيك ..لأننا نعاتب من نحب ونهجي من نعدي فقط ،وانت لم تكن يوما عدوًا كما انك لم تعد حبيبًا ..

أغفر لك لأنني لم اهن عليك ..ولأنني ادرك الآن ان بقاؤك على موعد مع حروفي يعني انك لم تفرغ مني بعد وهذا يعني بدوره انك تألمت اضعاف ألمي واشتريت لتر دمعي بلترين من دمعك ..

لهذا اغفر لك .. لأنني علمت انني لم اكن لك ولم تكن لي .. صحيح انني كان ينبغي ان اقرر ايضا حين فرضت انت قرارك الغير قابل للنقاش بأن ظروفنا لا تتناسب .. ولكنني الآن اهنئك على بعد نظرك ورؤيتك السليمة لما رأيته حينها مجرد جنون ..

أتعلم .. لربما كنت انت منطقة جنوني في هذا العالم .. صحيح ان هناك من احبه بجنون الآن .. ولكن .. اعتقد ان الجنون الاول هو اجمل ما يحدث.. ولو ان الايام ستعود للوراء الآن لكنت اخترت قصتنا كما عشناها ...غريب ان تكون بطل املي ذات يوم لتعود وتكون بطل المي .. ومن المحزن ايضا ان تكون فرحتي ثم تنقلب لتصبح ترحي ايضا ..

ولكنني اعشق التضاد لو انك ما تزال تذكر ذلك .. ولأني اعشقه جعلت النهاية متضادة عما يجب عليها ان تكون عليه ..

لن اتمنى لك السوء فيكفي ما ذقناه .. التق بإنسانة اجمل مني كي اجد فيها عزائي لهجرك .. وانتبه لنفسك جيدا ..

الختام ...

« النهاية ..»

" كل نهاية هي في الحقيقة بداية لشيء جديد "

(بعد سبع سنوات)

يدق المنبه بصوته المزعج ..تتقلب يمينا ويسارا و ... يا الهي ..صوت الواجب ينادي ..

تنظر اليه وهو ينام بجانبها ..في تلك اللحظة تحسده على بقائه نائما ..تترنح وهي تسير مغمضة العينين ..تصل الى المنبه ..تغلقه ..لربما لم تكن تستيقظ سوى على ضوء الشمس في السابق ولكنها اصبحت ملزمة الآن بأن تستيقظ قبل شروق الشمس بفترة .. تغسل وجهها ،تفرش اسنانها ،تربط شعرها الحريري الى الخلف ،تنزل الى المطبخ .. تجد العاملة قد حضرت لها قهوتها كما تحب ..تبتسم في وجهها بامتنان لجهودها وهي تخبرها " صباح الخير".. ترتشف القهوة ببطء ..تتسلل رائحتها العميقة لأعمق نقطة في دماغها لتوقظه ورغم مرارتها الا انها الذ شيء بالنسبة لها .. تعد البان كيك بكل الحب ..تحشي طبقات ذلك الصحن بالنوتيلا كما تحبها جودي ..والصحن الآخر بمربى الفراولة كما يفضلها يزن ،بينما تدهن طبقات الصحن الآخر بالقليل من العسل كما تفضله هي وبندر .. تضع الصحون جانبا لترتب ال اللانش بوكس وتملؤه بقطع صحية تناسب يوم صغارها الطويل .. قطعة من بسكويت الشوفان لكلاهما ،عصير برتقال لجودي وتفاح ليزن ..توست تحشيه بالجبنة وقطع الخس لجودي ،بينما مجرد جبنة صفراء في داخل التوست الآخر ليزن الذي لا يأكل اي نوع من الجبنة عداها .. قطع فواكه لكلاهما ...وها قد انتهت ..يرتفع صوت أذان الفجر ..تحمل معها كأسا من الماء وتضعه في صينية كبيرة ..تضع كأسا آخر من اللبن وتحملها باتجاه غرفة خالتها حنان او ماما حنان ،تلك المرأة التي اصبحت أمًا ثانية لها منذ اهدتها ابنها .. تفتح الباب بهدوء ..توقظها من اجل الصلاة ولا تنسى ان تعطيها كأس اللبن ثم الدواء ..تعود لتصعد الدرج ..تفتح باب الغرفة وهي تنظر لجدارها المدهون نصفه بالأزرق الخافت ونصفه الآخر بالوردي البارد .. تنظر

الى ملاكيها الذين لا يبدوان في هيأة الملائكة سوى وهم نيام وما ان يستيقظا حتى تبدأ الشيطنة على اصولها .. توقظها بحب ثم توقظه ثم تعود لتوقظها ثم توقظه ثم ..... تصرخ بتوعد " يزن .. جودي ..استيقظا والا .... يستيقظا ليسير كل منهما بترنح باتجاه دورة المياه .. وهما يعلمان ان امطارًا من المياه كانت ستهطل عليهما لو ان والدتهما اكمل جملتها بعد الا .... تضحك وتنتظرهما ..يخرجان بنشاط فتغمز لهما قائلة " هيا نوقظ بابا ..!!" وتتذكر طريقة ايقاظهم التي تجعلها تظن وكأن زلزال قد ضرب المنزل .. يضحكان ويسبقانها ..تقام المهرجانات فوق رأسه وهو نائم ..صراخ .. قفز ... وقُبَل .. و... ينظر اليهما وهو يزفر ثم يلقي نظرات الحقد عليها وهي تقف امام الباب وتضحك ...

- " ماذا ... هل قامت القيامة !!"

تضحك أكثر وهي تعلق ... " لا ... ولكنها قد تقوم قريبا ان لم تستيقظ بسرعة "

يوكل امره لله ويستيقظ وهو يتوعدهم بالانتقام الذي يأتيهم على هيأة قُبل ودغدغة ولعب لا ينتهي ... ينزل ليتوضأ وهو يخبرهم ان يسبقاه .. تكمل ضحكتها وهي تراه يمشي بغير اتزان وكأنه ثمل .. تحاول ان تغيظه وهي تقول بمزاجها الرائق " صباح الورد حبيبي "

ينظر اليها بخبث وهو يقترب " تبقّى أنتِ ..لم انتقم منكِ بعد ".. ترفع صوت ضحكها وهي تقول " صلاة ..صلاااة "

ما ان يعود هو ويزن من المسجد " ورغم ان يزن بعمر الثلاث سنوات الا انها تصر على ان يأخذه معه للصلاة " حتى يكون الفطور جاهز ..وكالعادة ترتبه على طاولة الحديقة تحت ضوء الشمس الخافت الممزوج بلمحات من بقايا الليل الراحل ..يجلسون بغير ترتيب على الطاولة الدائرية وقد انضمت والدته اليهم أيضا ..يركض الوقت دون ان يدركوا وقد ملؤوه بحديثهم ومزاح بندر السخيف الذي رغم سخفه الا انه يجعلها تضحك حد التعب ..تشير لجودي ويزن كي يسرعا لكيلا يتأخرا على المدرسة .. وجودي لعلمكم فهي في السابعة من عمرها وتدرس في

الصف الاول ،بينما يزن قد انضم للروضة لتوه .. تلبس جودي ملابسها بينما تحاول ان تغلق قميص يزن ..ترتب له شعره وفي دقائق يصبح جاهزًا بينما تحتاج جودي " الأميرة " لوقت اطول .. تمشط لها شعرها الأسود القصير ..تلبسها طوق " ميكي ماوس " الذي تحبه .. عطر ، مرطب ، خاتم صغير يناسب اميرتها الصغيرة ،و... ها قد انتهت .. ينزلون الدرج بسرعة وهي ترفع صوتها محذرة .. تفتح الباب لتجده ينتظرهما في السيارة .. تشير الى خدها وهي تسألهم ان كانا قد نسيا أمرا ام لا .. يملؤونها ببصمات حبهم وتغدقهم من جهتها بالعديد من القبل.. تودعهم وهي تلوح له كي يقود بهدوء ..ما ان تنسحب السيارة من امامهما حتى تغلق الباب وكعادتها تذهب لممارسة بعض الرياضات المنزلية والجري لمدة نصف ساعة على جهاز الجري فساعاتها لم تعد تسمح بأكثر من ثلاث ايام في الجيم ..اختصرت رياضاتها ورفعت سرعة الجهاز فانتهت في غضون ربع ساعة ..ذهبت لتجهيز نفسها واوراقها للمؤتمر الطبي الذي ستقيمه الليلة فقد حققت اكثر مما ارادت خلال السنوات الفائتة ولم تعد مجرد طبيبة عادية فهي الآن من أشهر الأطباء في مجال ابحاث الأمراض والادوية ومشاركتها السابقة في ابحاث هارفارد حول بعض الامراض لم تزد شهرتها تلك سوى المزيد من التوسع ..بالإضافة الى انها سعت لصنع تراكيب دوائية خلال السنوات السابقة ونجحت في ذلك ليصبح اسم الدكتورة ترف تاريخ وأكثر وها قد جاء هذا الفيروس ليزيد من ترسيخ اسمها .. فيروس TR17 هو الفيروس الذي عملت على ايجاد لقاح له ..والمؤتمر الذي ستعقده اليوم سيناقش مدى قبول دوائها من قبل منظمة الصحة العالمية او لا لتبدأ الاختبارات البشرية ..

تأنقت وحضرت نفسها وهي تستجمع قواها وتأمل أن تتم الموافقة عليه ليبدأ استعماله وينتهي كابوس هذا المرض .. تصورت نفسها بعد سنوات وهي اسطورة .. يذكر اسمها كلما حكى التاريخ عن هذه المرض المتعب أغمضت عينيها وهي تحاول تصور المستقبل ..وجدته يضع يدها على كتفها وهو يعلق " ستنجحين بالتأكيد " ..هيا ..كيلا تتأخرين .. ابتسم لها وحمل حقيبة اللابتوب وسبقها الى الأسفل .. حملت حقيبة يدها وأعادت

النظر الى وجهها في المرآة .. بوجه كهذا كان يجب ان تصبح ملكة جمال لا باحثة طبية ..ابتسمت لخاطر الغرور الذي مر بداخلها .. ركبت السيارة وشقت طريقها نحو الفندق حيث سيقام المؤتمر ... كانت تتنفس بطريقة سريعة ومتوترة ..

- هل أخبرتكِ كم أنكِ جميلة اليوم ..!!

- اممم .. اليوم فقط ؟

- بل وكل يوم ..

- وهل اخبرتك انا كم انني احبك ..!!

- بلى فعلتِ ذلك .. تقريبا قبل ثلاث سنوات ..

- تقريبا ....!

- اممم.. تقريبًا ...

- أيها الجاحد ..

يضحك وهو يرد - بصراحة لست جاحدًا ولكن زوجك يحمل ذاكرة سمكة كما يقولون .. ينبغي ان تذكريني بحبك كل خمس ثواني ..

نظرت اليه ودون ان تنطق فتحت هاتفها وسجلت صوتها وهي تقول " الحب كلمة صغيرة على ما احلمه لك بداخلي .. اعشقك كثيرًا ،وكثيرًا جدًا ،وللغاية أيضا " ارسلتها له وهي تردف " استمع لهذا التسجيل كلما نسيت مقدار حبي لك ولم اكن بجانبك لتذكير يا سمكتي الصغيرة "

ابتسم لها بحب ووجدت هي ان التوتر قد فارقها نوعًا ما .. نظر اليها وهو يحاول ان يثير انتباهها لمواضيع اخرى ...

- بالحديث عن الاسماك ..تخيلي لو انني سمكة مثلا ..فلأي انواع الأسماك تعتقدين بأنني قد أنتمي ..؟!!

أخذت تتصنع التفكير وتطرق بسباتها على ذقنها.. مكثت بضع لحظات ثم قالت " لقد وجدتها.. اعتقد بأنك اقرب الى فصيلة الضفادع الذهبية " صرخ والصدمة ظاهرة في عينيه " ماذا **!!!!**" كان واضحا جدا انه اعتقد انها ستخبره انه قرشها الفتاك ...

أخذت تضحك بجنون وتمسح الدموع المتسللة من شدة ضحكها وهي تقول " أمزح ...كنت امزح فقط " ..بينما هو تابع والدهشة على وجهه " هل اخبرتني للتو بأنني مجرد ضفدع " ..لم تجد القوة كي تتحدث حيث انها انهارت بالضحك ... " اخبرتك انني كنت امزح فقط ..ولكن الاسم عالق في ذاكرتي منذ ايام المدرسة .. سكتت قليلا ثم علقت .." ثم انك ينبغي ان تشكرني حيث ان الضفادع الذهبية تعتبر نادرة جدا " حسنًا حسنًا ..انسى الأمر ... اممم ..."هامور" **!!!**

- ماذا.. لماذا **!**.. ثم من ضفدع لهامور مرة واحدة ...**!!**

ضحكت وهي تقول "اغفر لي رجاءً " ..اممم .. لا ادري لماذا ولكنني اراك هكذا .. سيطرتك .. طريقة توليك سلطة كل الامور تجعلني اشعر وكأنك هكذا .. اوك ..حسنًا ..وماذا عني ..؟

- أنتِ كالسمكة المهرجة ..

رفعت حاجباها باستغراب فأكمل ..

- تعيش السمكة المهرجة حياتها متطفلة فقط ..تمامًا كما تتطفلين انتِ على حياتي ..

- هاها.. هل أخبرتك من قبل كم أنك مضحك ... سكتت قليلا لتكمل .. ولكن تعلم ..كلاهما يستفيدان في النهاية ..فكما ان السمكة تتطفل للحصول على الحماية فهي تجذب الأسماك الأخرى عبر ضوئها لتصبح غذاءً لشقائق النعمان ..اي انها في النهاية تتبادل منفعتها مع تلك الأخرى ..

قال وضحكة خفية تختبئ خلف محياه " قد يبدو الأمر منطقيا ولكنها في النهاية متطفلة ..

- واو ..واو .. ما رأيك في ان تقول بأني دودة شريطة وخلاص ..

- اوو ..فكرة مذهلة ..لما لم افكر بذلك من قبل ..

بنرجسيتها المعتادة وبغرورها الذي يزيد من جاذبيتها ردت " حتى لو دودة شريطية ..سأظل اسكنك دومًا .. أعيش فيك ولن اسمح لغيري في الاقتراب .. سواء اعجبك تطفلي ام لا ..

- أوه لا .. المعذرة سيدتي ولكنني لم اعترض على ذلك .. ابتسم بخبث ... فهذا حتمًا ما اريده ... نظرات التحدي المثير في عينيها كانت توازي تعابير الخبث خلف ابتسامته تمامًا ...

رن هاتفها في تلك اللحظة وراحت تنظر الى الشاشة ..رقم غريب ولكنه لم يثر ريبتها حيث انها تتوقع اي اتصال من منظمي المؤتمر .. ترد ويأتيها صوت بلغة عربية ركيكة تظهر بأن لصاحبها لهجة غير تلك التي يتحدث بها.. - مرحبا ... دكتور ترف ..

- المعذرة ...من أنت !!

- " ستذهبين الآن الى المؤتمر لتتباهين بإنجازك.. وعندما تنتهي فقرة التباهي ستبيعون اللقاح لشركات ادوية تقوم هي بدورها برفع السعر بطرق خيالية لا يتحمل تكلفتها سوى اصحاب الطبقة العليا بينما يموت الآلاف منا كل يوم لأنهم لا يملكون اسعار الدواء ... في قريتي ندفن الجثث بطريقة جماعية من شدة الفقر ولا نجد حتى المسكن لنخفض به حرارتنا فضلا عن لقاحك الذي ستبيعونه الآن وكأنه اقراص من ذهب.. "

- اسمع اسمع .. أولا أنا لا اعرف من أنت ..ثم من اين اتيت برقم هاتفي .. ولكني اعتقد ان كل معلوماتك مغلوطة حيث ان هناك سوء فهم كبير بيننا .. ورغم كرهي للتبرير الا انك وغيرك ينبغي ان تعلم انني لم اهدر كل ذلك الوقت والجهد ليكون الدواء محصورا على طبقة بعينها .. لست مادية ولا اؤمن بالعرقية ويمكنني مساعدتك فعلا ان اعطيتني معلوماتك ..

- نواياك يا دكتورة لا تصنع واقعنا ..وما ذكرته قبل قليل سيحدث .. لن نجد الدواء بسعر منخفض وسنموت جميعًا في حين تقفين أنتِ من أجل انتظار دورك للتكريم .. ستلحق أمي المريضة بجدتي المتوفاة منذ عدة أيام وأخي الذي أحال المرض ربيعه الخامس خريفا سيدفن بجانب أبي ليواسيه في قبره وسألحق بهم أنا أيضا ان لم افعل شيئا لتغيير مسار هذا القدر عما قريب ...

- أنت لا تفهم شيئا من هذا .. أنا لست مثلهم .. بالعكس ..أنا مثلكم .. رغم كل ما حولي الا أنني لا استطيع نسيان من اين أتيت ولا من تركت خلفي .. كانت غايتي الوحيدة هي ان اجعل الطب يقدم رسالة سامية من خلال مساعدة الآخرين بغض النظر ان كانوا يملكون اجرة علاجهم ام لا .. انني متوجهة الآن لتقديم ابحاثي وحالما ينجح الامر أعدك بأنني سأساعد الجميع .. فقط اخبرني من اين انت ...!!

- اصمتي رجاءً .. تبدين ثرثارة للغاية بالإضافة الى انني لا تهمني وعودك.. هي سبع ساعات فحسب تركبين فيها الطيارة المتوجهة الى العراق أنتي وبحاثك ولقاحك وادواتك والا .... تستطيعين نسيان أن لديك ابناء ..

- ماذا ....!! ما الذي تقوله .. هل جننت .. من أنت ...!!! عن اي ابناء تتحدث ..لا دخل لأطفالي بالموضوع ...

- ها قد أصبحت ست ساعات وتسع وخمسون دقيقة ..بدأ العد يا دكتورة .. انتبهي جيدًا فهناك على يمينك سيارة سوداء ... هل ترينها ... !! .. لا تقلقي لن يؤذيك احد منا ..نحن فقط سنرصد تحركاتك خلال المدة التي ستقضينها قبل ان تركبي الطيارة .. وانصحك بالتحرك بسرعة فالوقت المهدر لا يشترى بالمال ...

وسط جنونها وعدم تصديقها وقفت .. هل تآمر وعيها ولا وعيها عليها الآن ... " هيي انتظر ... لا تغلق رجاءً ... اين ابنتي ..."

" ماما ... مامااا !!" توقف الزمن للحظات بعد سماعها ذلك الصراخ وليته لم يكمل مسيره بعد ذلك .. كان ذلك صوت جودي أليس كذلك ... !! نعم انه صوتها ... ما الذي تفعله هناك ... ثم ... من هذا الذي يبكي ..!!! هل هو يزن ..!! لا لا ليس يزن .. يزن يخاف الغرباء جدًا ..لا يمكن ان يكون هو .. أني احلم فقط ... نعم انني احلم ..لالا بل هو كابوس ..ايقظوني رجاءً منه ... رجاءً لم يعد النوم مسليا ..أيقظوني رجاءً ...

- ترف .... ترف ...

من الذي ينادي ... هل هو بندر !!! ...هل سيسأل عما قاله ذلك الشخص على الهاتف ... نعم ..لربما سيسأل ... ولكن .. لم يسأل ... ولم أنا مضطرة لإجابته.. فهذا ليس الا حلم.. مجرد حلم وسينتهي .. اقسم ألا انام مطلقا بعد الآن ..فقط أوقظوني ... " ماما .... مامااا " .... ليوقظني احدكم رجاءً ...

صوت رقيق ينتشلها من ضوضاء تساؤلاتها ..." ترفي ..الى أين ذهبتِ ..لقد وصلنا !..

... ختام ....

يقال أنه "لا توجد بداية حقيقية ،هي مجرد سلسلة لنهايات متتالية " ويقال أيضا بأن كل نهاية عبارة عن بداية جديدة ..فالنهاية حين تكون ابتداء لشيء آخر لا تعتبر نهاية مطلقًا ...

فلسفة البداية والنهاية موجودة منذ الأزل والتساؤلات حولها كثيرة .. فهناك من يعلم اننا بدأنا بآدم وحواء وسننتهي بتواري اجسادنا تحت الثرى .. لنعود مرة اخرى للعيش في حياة ابدية وحينها لا يكون الموت بالنسبة لنا عبارة عن نهاية .. وهناك من لا يؤمن بذلك ويرى بأن الكون وجد علميا عن طريق انفجار وكانت هذه البداية ،في حين ان النهاية تتمثل في انتهاء اعمارنا .. اقاويل كثيرة حول سلاسل البدايات وعقد النهايات لنفهم بعد ذلك أن لا وجود للنهاية حقيقةً .. لم استطع ان انهي قصة ترف حقيقة لأن القصص في الحياة الواقعية لا تنتهي .. كل خريف علاقة يعقبه ربيع علاقة أخرى ..وكل شتاء قارس لفشل تذوب ثلوجه بأقبال صيف نجاح آخر ...

هل يجب ان يختم الجميع ب " النهاية دائمًا سعيدة " على طريقة ديزني ؟!! ولكن والت ديزني بنفسه ترك الواقع ليصنع لنفسه عالمًا خياليا يجعل الجميلة تذوب حبًا وترى حقيقة الوحش المختبئة خلف شكله المخيف لتتزوجه .. وجعل الأمير يجوب الأرض شرقها وغربها بحثا عن قدم فتاة تناسب حذاء "سندريلته" الخاصة.. ولو أن الواقع يؤمن بالجوهر لا المظهر ،ولو ان الحب الحقيقي قد ينسى الأصل والفصل والوقت والمكانة من أجل شخص ، ما ترك ديزني واقعه ليصنع لنفسه مدينة خيالية سكانها بسذاجة بطوط ونقاء سندريلا ودهاء وبراعة النمر الوردي ...

عمومًا ..ستترك الرواية الآن بعد ان انهيتها لتنسى شخصياتها بعد مدة ،ذلك انك تملك حياتك الخاصة التي تغنيك بمفاجآتها عن حياة الآخرين ،وستكمل ترف حياتها كما فعلت منذ زمن ..ستتغلب على صعابها وتواجه واقعها وتبدأ كل يوم وكأنه يوم جديد يستحق العيش ،وعليك ان تفعل مثلها ..حاول ان تملأ روحك بالقوة والأمل لتعيش حياتك وكلك يقين ان لا

شيء يدوم أبدا وفي لحظة واحدة قد يتغير كل شيء ولا يعود بعده كما كان أبدا..

مع خالص حبي ...

فاتن

كان يقرأ عن باريس وقد كان يبدو شغوفًا بما يقال عنها مدينة الحب تلك وكله أمل ان يلتقي بحب عمره في موعد باريسي ..ولكنه لم يكن يتخيل للحظة ان يجلب له القدر باريس كلها في امرأة

شعرها المتدفق بحرية على كتفيها بينما ينساب بهدوء وجمال الى.. اسفل ظهرها كروعة نهر السين في جريانه وانسيابه في ليلةٍ ربيعية طقسها معتدل .. طولها المعتدل واستقامتها الفريدة وجسدها المنحوت بدقة وروعة وكأنه برج ايفل ..رائحتها العطرة التي لا يمكن تمييزها أبدًا ..فيها شيء من جوي وقليل من اسكادا وكأن مدينة العطور تلك قررت ان تقدم عطرها الفريد من نوعه لهذا العالم عبرها ... دقة أنفها المستقيم وتلك الجدية التي تضيفها حدته وكأنه اغلى قطعة يحتضنها اللوفر ... عيناها اللتان تحملان ليلة ظلماء مليئة بالرومانسية الخادعة والعديد من غرف المشاعر التي تأوي كل ألوان المشاعر واشكال وانماط الحب وكأنها فندق الفور سيزن في ابهى صوره .. شفتاها وعبق الورود الذي تسكبه في قبلة ..وحدائق الجوري الممزوج بالياسمين وقليل من البنفسج التي اختلطت بصورة بديعة تصنع ذلك اللون المستحيل في الوردة الساكنة تحت انفها مباشرة

امرأة تتقن الاغواء خلف رداء البراءة كطبيعة مدينة تحمل اضواء لافتة وساحرة تخرج عن طورها ليلا لتعود لاحتشامها نهارًا

يمكنكم التواصل مع الكاتبة عبر

fatenalimohammad.28@gmail.com